الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ
كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص:العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر

رقم التسجيل:.....
الرقم التسلسلي:.....

الفضيل حسنين الورتلاني
جهوده الإصلاحيّة وآراؤه العقديّة

ـ مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر ـ

إعداد الطالب:
هشام مودع

إشراف الدكتور:
أ.د/ عمار طسطاس

لجنة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د/ عمارطسطاس	مقرّرًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
د.عبد المالك بن عباس	رئيسا	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر
أ.د/ نور الدين سكحال	عضواً	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
د. زهرة لحلح	عضواً	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعيـة: 1435هـ - 1436هـ/ 2014م - 2015 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء:

إلى آملٍ من الرحمن في كسوة عند انكشاف الأستار.

إلى كل مؤمن يقظ الضمير نقي الإسرار.

إلى المخلصين في هذه الأمة المتقين الأبرار.

إلى والديّ الكريمين وسعتهما رحمة العزيز الغفار.

إلى زوجتي وأولادي أدام الله وصلهم في دار القرار.

إلى إخوتي وأخواتي وكل من أحببتهم في الله وصحبة المختار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير:

أشكر الله – تعالى – على ما هيأ لإتمام هذا البحث من أسباب ، وذلل في تحصيل معلومه كثيراً من الصعاب ، أشكره شكر لائذ بحماه ، ومنقطعٍ لمنه ورضاه ، ومعترف بعجز نفسه وكلل قلمه، وافتقار همته لكلأ خالقه ومولاه.

وبعد :فإنّ الحرّ – عند أهل العلم – من راعى وداد لحظة ، وانتمى لمن علمه لفظة ، وإني من هذا المنطلق أتقدم بباقة شذية من الشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل الدكتور /عمّار طسطاس – حفظه الله تعالى – الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ، فقد أسدى إليه وافر نصحه وإرشاده ، وآزره بالتوجيه حتى استوى على سوقه ، فكان بفضل الله – تعالى– إلى الصواب ردءا، وإلى الأفضل ناصحا ومرشدا ، فجزاه الله – تعالى – عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

وأسجل شكري وامتناني لواحة العلم وراعيته ، وحاضنة الأدب وداعيته ، الجامعة الإسلامية لما أودعته علومها في النفوس من كريم المناقب ، ولما أورثته في الأجيال من التطلع لخالص المآرب ، كما أتقدم بشكري وتقديري إلى مرتع الفضيلة الخصب ، ومنبع التربية العذب ، كلية أصول الدين، تلك الكلية التي جعلها الله تعالى سببا لهداية القلوب ، وسدا إيمانيا منيعا لا تزلزله الخطوب ، فجزى الله العاملين فيها خير الجزاء و أجزل لهم في العاقبة العطاء.

والشكر موصول لكل من أفادني بجواب ، أو مدّني بكتاب، أو أرشدني إلى الصواب، أو دعا لي دعوة في ظهر الغيب خالصة ، لكل هؤلاء مني فيض شكر وتقديروامتنان.

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله العزيز الوهاب ، غافر الذّنب وقابل التوب شديد العقاب ، خلق الخلق لعبادته وأمرهم بإصلاح الطويّة قبل بلوغ الحساب ، وجعل إخلاصهم له شرطا لحسن المآب أرسل رسوله بالهدى فأماط عن وجه الحق النّقاب ، وأيّده بجامع القول وبينات الكتاب، تبصرة وذكرى لكل عبد أناب ، فالصّلاة والسّلام عليه

وعلى الآل والأصحاب ما تنفّس صبح ورقرق جدول وانساب . أمّا بعد:

يعدّ العالم المجاهد الجزائري ،والدّاعية الإسلامي الكبير" الفضيل الورتلاني " أحدأ قطاب النّهضة الجزائرية المعاصرة ،و ذلك لما بذله في سبيل هذا الوطن، وفي سبيل نهضته ، _هو وغيره من المصلحين ،النّاصحين ،المخلصين ، من علماء هذا الوطن المعطاء ، وهذه الأرض المباركة الزّكيّة _،حيث عرف " رحمه الله " بكثرة

تنقّله في الأوطان ،كما عرف بكثرة علاقاته مع العلماء والسّاسة والزّعماء ،وزياراته للملوك والسلاطين ،حتى أنّه يتهيّأ لمن درس سيرته لأوّل وهلة أنّه لم يبق في الأرض مكان ولا زعيم ولا عالم إلاّ زا ره ، وديدنه في ذلك كلّه هو قضيّة وطنه الصّغير" الجزائر " ،ووطنه الكبير " العالم العربي والإسلامي " ، حيث بليت هذه الأوطان بأكبر بليّة في العصر الحديث ألا وهي بلوة الإستعمار الحديث_ وما تبعه من **ضعف في الدّين ووهن في العقيدة** _ ،حيث أتى هذا الأخير على الأخضر واليابس .

1)أهميّة الموضوع :

لمّاكان الورتلاني، صاحب منزلة عليّة ومكانة غير عادية على المستويين العربي والإسلامي ،_ ما جعل منه شخصيّة لها مكانتها في الوطنين معا_، لما له من جهود ودعوات في لمّ الصف وجمع الكلمة ، وما له من صولات وجولات في مقارعة أهل الباطل ،ودكّ حصونهم بشتى الطرق و مختلف الأساليب ، معتمدا في ذلك كلّه على العقيدة الصّحيحة ، وتعاليم الإسلام النّاصعة ، لهذا _كان- تسليط الضوء على جهوده الإصلاحية و آرائه العقدية ، بما في ذلك حياته وسيرته الذّاتية أمر من الأهمية بمكان ،وذلك تخليدا لأثره الطيّب ،وتثمينا لجهوده المباركة .

2) الإشكالية:

و من هنا شرعت في هذا الموضوع منطلقا من الإشكالية التالية :

– ما هي أهمّ الجهود الإصلاحيّة و الآراء العقدية للشيخ الورتلاني بإعتباره علما من أعلام الإصلاح الوطني وواحدا من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟

ويتفرّع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها :

_ ما هي أهمّ الإصلاحات التي قام بها الشيخ الورتلاني ؟

_ ما هي أهمّ القضايا التي تناولها الشيخ في مسيرته الإصلاحيّة والدّعويّة ؟

_ ما هو منهج الشيخ في صياغة العقيدة ،وما هي طريقته في الإستدلال ؟

_ما هو منهجه في الدّعوة إلى العقيدة ؟

3)أسباب اختيار الموضوع:

– و أما عن أسباب إختياري لهذا الموضوع فمنها الذاتية ومنها الموضوعية:

أ/ الأسباب الذاتية:

_ الميل لخدمة آثار علماء هذا الوطن ومصلحيه .

_الرّغبة الشخصيّة في خدمة آثار هذه الجمعيّة المباركة _جمعيّة العلماء _، وآثار أعلامها و ما تركوه من تراث فكري ومعرفي .

_ وأيضا حصول الأجر والثّواب بخدمة آثارعلماء الأمّة ونقلها للأجيال .

ب: الأسباب الموضوعية: أذكر منها :

– **أوّلا** :الرغبة في التعرّف على هذا العلم الجزائري و معرفة جهوده في الإصلاح والدّعوة .

– **ثانيا:** ضمّ آرائه العقديّة إلى آراء غيره من أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين ،حتى تكتمل صورة دعوتهم ومنهجهم، وتتّضح لدى المهتمّين والباحثين في هذا الشّأن.

4)أهداف الدراسة:

و أما أهداف الموضوع فألخّصها في الأهداف التّالية:

_ معرفة مختلف الإصلاحات التي قام بها الشيخ الفضيل الورتلاني .

– إظهار الآراء العقدية لهذا العلم الكبير بإستقرائها من مجموع مقالاته .

– حصول الفائدة و الإستفادة الشّخصيّة من البحث في هذا الموضوع .

– إفادة القراء و المكتبة العربية بهذا البحث المتواضع .

5) حدود الدّراسة (البحث) :

هذا و البحث عموما يتركّز حول حياة هذا الرجل مع التّركيز أكثر على جهوده الإصلاحية و آرائه العقدية بإعطاء القارئ زبدة ذلك.

6) الدراسات السابقة:

– أما عن الدّراسات السابقة ففي حدود علمي لا يوجد دراسة سابقة في الموضوع ذاته (**الآراء العقدية**)،خاصّة على مستوى البحوث و الدراسات الأكاديمية ، إلاّ أنّني في الآونة الأخيرة إطّلعت في جريدة البصائر الجزائريّة ، _بتاريخ (الاثنين 08 _ 14 جمادى الأولى 1435 هـ 10_ 16 مارس 2014م ،ع695 ،ص14.) _ على دراسة في موضوع **متعلّق بالتّربية عند الشيخ الورتلاني** ، وذلك في مقال بعنوان_(:الشّيخ الفضيل الورتلاني في الكتابات المعاصرة)_ وصاحب البحث هو الطالب ، (**مولاي عبد القادر**) ،ماجستير في التاريخ ، معهد التاريخ جامعة الجزائر ، 1999م.

7) صعوبات البحث:

لقد صادفتُ أثناء هذا البحث مجموعة من الصعوبات ، أهمها :

***1**_ صعوبة الحصول على مصادر أو مراجع، حتى ولو رسائل متخصصة في هذا الموضوع مما يجعل البحث يمتاز بالجدّة التي زادت من صعوبة ضبط الأهداف .*

2_ ومن الصعوبات أيضا ،أنّ الورتلاني ليس له كتاب مفرد لهذا الباب _ باب العقائد_ ،ممّا زاد من صعوبة عمليّة البحث وتعسّرها ، فالأستاذ لمن يعرفه يغلب على كتاباته الطّابع السّياسي، وعلى مقالاته النّزعة السّياسيّة الثّوريّة ،أمّا تقريراته في العقيدة فهي نادرة ،و مع ندرتها هي غير مجموعة في كتاب مستقلّ حتى تسهل عمليّة دراستها .

3_ أمَّا الصعوبات الأخرى فتعود لارتباطاتي العائلية _ من جهة_ ، والوظيفية _من جهة أخرى _.

8)منهج البحث:

طبيعة الموضوع تقتضي اتباع منهج علمي يقوم على الجمع بين المنهج **التحليلي النقدي** ، والمنهج **الاستقرائي** ، والمنهج **التّاريخي** ، حيث يقوم المنهج التحليلي والنقدي بالتطرق إلى المصادر والآثار بالنقد مع التحليل، أما المنهج الإستقرائي فيقوم الباحث من خلاله بتتبّع الأقوال وتمحيصها وضمّها إلى بعضها وذلك باستقرائها من مضانّها ومصادرها ،أمّ المنهج التّاريخي فيقوم على دراسة الظواهر الإجتماعية، أو التاريخية، ووصفها مع

التحليل والنقد للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية الداعمة للموضوع.

وقد سرت في هذا الموضوع وفق هذا المنهج العلمي، متبعاً الخطوات التالية:

_ بحث وتأصيل الموضوع من المراجع المتخصّصة .

_جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع ، من الكتب التي تخدمه بما في ذلك مقالات الشّيخ المجموعة بكتاب" **الجزائر الثائرة** " أو المفرّقة بصحف ومجلات الجمعيّة مع صياغتها في قالب واحد ، لأتمكن من عرض الموضوع عرضًا علميا مؤصلاً مع الأمانة في نسبة القول إلى صاحبه.

_ الاستعانة بأقوال العلماء، التي تخدم موضوع البحث، وأنسب الآراء إلى أصحابها من مراجعها المعتمدة مع توثيق المعلومات.

_كتابة الآيات القرآنية المستدل بها، وتوثيقها بنسبة كل آية إلى سورتها ورقم الآية في الهامش.

_المقدّمة لم أجعل فيها هوامش وما احتاج إلى تهميش كتبته ضمن المتن .

_تخريج الأحاديث النّبوية حسب المنهج المعروف في التخريج .

_ خطّة البحث :

و بالنسبة لخطّة البحث فهي مقسمة إلى فصول ثلاثة :

_ **الأوّل** حول عصر الورتلاني ، تناولت فيه الحالة السياسية والإجتماعية وكذا الحالة الثقافية والإقتصادية للعصر الذي عاش فيه .

_ **و الثاني** متعلّق بحياته و سيرته الدّعوية والإصلاحيّة ،وهو مقسّم إلى ستّة مباحث، تناولت من خلالها حياة الورتلاني بدءا من مولده ومراحل تكوينه ، مرورا بانتسابه للحركة الإصلاحية وجهوده فيها إلى غاية وفاته ، مع ذكر آثاره وشهادات العارفين به .

_ **والثّالث** متعلّق بآرائه العقديّة وهو مقسّم إلى خمس مباحث ، وتناولت خلاله تطوّرات الدّرس العقدي كمبحث تمهيدي ثمّ علم الكلام والدّعوة إلى تجديده مع ذكر موقف الجمعية والورتلاني من ذلك ، ثمّ مسألة الخلافة السياسيّة وظهور التصوف مع بيان موقف الورتلاني والجمعية من ذلك كما ذكرت منهج الإستدلال أو تقرير العقائد عند الشيخ الورتلاني مع أمثلة عن منهج الجمعيّة و في المبحث الأخير تناولت الدّعوة إلى التوحيد ومحاربة الشّرك عنده .

_ وقد قسّمت المباحث إلى مطالب،و كلّ بحسب الحاجة و الضرورة المقتضية لذلك .

ـــوفي الأخير جعلت خاتمة مع ذكر أهمّ النتائج و التوصيات.

هذه الخطة والغاية من البحث نبتغي أن يكون بحث لا ندَّعي فيه التفرد بل هو توكيد على آراء وتوصيات السالفين من الباحثين و والمهتمين ، وبالله التوفيق وعليه توكلنا، وإليه القصد خالصا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: عصره.

_تمهيد:

_المبحث الأول : الحالة السياسية.

_المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية.

_المبحث الثالث : الحالة الثقافية.

_ المبحث الرابع :الحالة الإقتصادية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لقد شهد العالم العربي و الإسلامي في هذه الفترة بالذّات_ الفترة التي عاش فيها الورتلاني _ تدهورا كبيرا و ذلك على مختلف الأصعدة وفي شتّى المجالات "حيث صار العالم الإسلامي كالشيخ الهرم لما أصابه من حوادث عظام "[1].

و لاشك أن القطر الجزائري_ مثله مثل بقية الأقطار العربية_ قد عرف تطوّرات وأحداثا عديدة، خلال النصف الأول من القرن العشرين، متميزة عن بقية الفترات وذلك في مجالات مختلفة ، سياسيا وإجتماعيا وثقافيا و إقتصاديا .

بدأ العالم العربي يتململ بعد الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م لـ (أن الحرب الكونية العظمى قد اتت بعجائب عظيمة، وأرت ما لم ير من قبل، فأنشأ الإسلام يميد ويضطرب، ويتمخض تمخضا شديدا منتقلا من حال حاضر إلى آخر مقبل، ومجتازا دورا غايته تجدد عالم اسلامي حديث)[2].

نعم قد عرفت الجزائر– كبقية الأقطار – تطورا ملموسا، في الناحية السياسية أو الناحية الإجتماعية أوالنّاحية الثقافية أو الإقتصادية، خلال النصف الأول من القرن العشرين. و لئن تغير أسلوب الكفاح والمقاومة مع المستعمرين، فإنّ جوهره مازال مستمرا، وبأشكال مختلفة إقتضتها الظروف وتبدل الأحوال لكنها لم تنسى في يوم ما، أنّها تحت سلطة أجنبية ووافد غريب، يجب أن تتخلّص منه، حيث ((كانت الحقيقة في المستعمرات تظهر عارية و كانت "الأوطان الأم " تفضلها لابسة))[3].

استعمل الشّعب الجزائري ما لديه من أساليب في مواجهة فرنسا وردّ هجمتها الشّرسة المتكالبة

---

[1] من كلام أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت –لبنان ، 1997م ، ص8.

[2] _ لوثروب ستيوارد الأمريكي: حاضر العالم الإسلامي، نقله الى العربية : عادل نويهض،دار الفكر ط ن ت ،ط4، 1394 / 1973 ، ج1 ، ص 25 .

[3] _ من كلام فرانس فانون ،(المعذبون في الأرض)، نقلا عن : جان بول سارتر ، مواقف مناهضة للإستعمار ، ترجمة :محمد معراجي ، المؤسسة الوطنية للإتصال و النّشر و الإشهار ، الرويبة – الجزائر ، 2008 م ، ص77.

زمنا ليس قصيرا[1]، حتى اندلعت ثورة التحرير الكبرى عام 1954 والتي كانت بداية لعصر جديد ملؤه الاستقرار والحرية[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] و ذلك إبتداءا من مقاومة الحاج أحمد باي و الأمير عبد القادر مرورا بمختلف الإنتفاضات _الزعاطشة ، المقراني و الحداد ،و انتهاءا بثورة الفاتح نوفمبر 1954 م، انظر :محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة 1954م، دار البعث ط ن ، قسنطينة الجزائر ، ط1 ، 1406هـ /1985م، وانظر أيضا : بوضرساية بو عزّة ، الحاج أحمد باي في(الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم 1830-1848م)، دار الحكمة للنّشر الجزائر ، **2010م** ، إضافة إلى : سليمة كبير ، الحاج أحمد باي (الصامد في وجه الغزاة) ، المكتبة الخضراء ، الشراقة – الجزائر ، 2007م .

[2] وقد أكرم الله الشّعب بالإستقلال بعد ثمانيّة أعوام من الكفاح والجهاد (5 جويلية 1962 م).

المبحث الأول : الحالة السّياسية .

ا- حركة الأمير خالد.

ب- حزب نجم شمال افريقيا.

ج- حزب الليبراليين.

د- جمعية العلماء.

و-حزب الشعب.

ز- الحزب الشيوعي.

ط- حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية .

- الإعداد للثورة (1954م).

الحالة السّياسية :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرفت السّاحة الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 1900 _ 1959 م ، حالة سياسية نشطة. ابتدأت بحركة الأمير خالد والليبراليين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب شمال افريقيا – أولا – حزب الشعب فيما بعد، والحزب الشيوعي الجزائري واحباب البيان، وحركة الإنتصار للحريات الديموقراطية ومرحلة ما قبل الثورة هذه هي اهم الأحداث التي عرفتها الفترة المحددة في البحث.

أ– حركة الأمير خالد:[1]

شاركت الجزائر في الحرب العالمية الأولى 1914– 1918 الى جانب فرنسا، بل قل قد أجبرت على ذلك بموجب القانون الإجباري للتجنيد[2].وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى قدم على مؤتمر فرساي المنعقد بفرنسا عام 1919م وفد جزائري بقيادة الأمير خالد الهاشمي، حفيد الأمير عبد القادر[3] . يطالب فيه المؤتمرين بتطبيق تصريحات الرئيس الأمريكي ولسون على الجزائريين واعطائهم الحق في تقرير مصيرهم. غير أن شيئا لم يحقق مما كان يصبو إليه الوفد من وراء هذه المرحلة.

وإثر عودة الوفد الى الجزائر، عمل الأمير خالد على تشكيل تجمع يؤمن بمبادئه. وقد عرف هؤلاء وقتئذ بـ "كتلة النّواب" وجعلوا لأنفسهم جريدة "الأقدام" لسانا ناطقا بإسمهم[4].

اخذ أعضاء كتلة النواب بقيادة الأمير خالد في الدعوة والمطالبة بإصلاح الأحوال على أساس المساواة بين الجزائريين الغالبية العظمى من السكان– وبين المستوطنين من فرنسيين وبرتغاليين وإسبانيين وغيرهم، وإلغاء القوانين الإستثنائية، وتمكين الجزائريين من الدخول في المجالس النيابية، وتساوي الأعضاء من كلا الطرفين[5].

---

[1] ولد في دمشق سنة 1875 م أبوه هو الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري ،كانت له نشاطات سياسّية عدّة إبّان فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر توفي بدمشق في 9جانفي سنة 1936 م انظر ترجمته في : مريم سيد علي مبارك ، أعلام الجزائر ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2012 م ، ص 24 .

[2] صدر القانون الإجباري للتجنيد سنة 1912م بمرسوم 31 يناير و 3 فبراير 1912م.

[3] انظر ، بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ، دار النفائس ، ط1، 1402 م.

[4] انظر، محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847– 1939. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 48.

[5] (وقد كان لانتصار الأمير خالد على الساحة الإنتخابية أثر سيء في نفوس الأعداء المتغطرسين فدبرت له المؤامرات وحيكت له خيوط الغدر لما أدركت فرنسا أن خطرا كبيرا يهددها من بقاء هذا الرجل داخل الجزائر– فنفته إلى الخارج بعد اتهامات ملفقة).
انظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،ج2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1977م ، ص407.

وبرغم ما آل إليه أمر هذا الرجل، فإنه لم يترك النضال والدفاع عن الجزائريين بالندوات والمحاضرات والرسائل والمذكرات الى الحكومة الفرنسية. ومما يلاحظ أن الوعي السياسي والفكرة الوطنية – في هذه الفترة – قد ازداد اتساعا. فبدأ الشعب الجزائري يتفهم قضاياه أكثر من ذي قبل، ويستشرف الأفاق بحثا عن مصيره ومستقبله ((فبدت فيه روح الحياة، ونهض من سباته العميق، ونشطت همه من غفلتها . لقد انبعث من مضجعه رغم الجوع المدقع الذي كان يتضور فيه أبناؤه ورغم البؤس الذي كان ضاربا بسرداقه من جراء النظام الاستعماري فإن أبناءه رغم التشريد الذي اصابهم كالسرطان المروع، بقي دم الحياة يسري في عروقهم، فهبوا من غفلتهم نافضين عن عاتقهم غبار تخلفهم، يصبون هم الآخرون الى نيل المنى ويتطلعون الى اوج العلا ليكون لهم نصيب في الحياة، فاستعملوا جميع الوسائل السلمية لاسترجاع أراضيهم، تلك الأراضي التي كانت ولازالت مناط حبّهم وعلة حياتهم)).[1]

لم تكن الجزائر متقوقعة على نفسها في تلك الفترة، بل كانت النخبة المثقفة منها – خاصة[2] – تشرئب بأعناقها الى العالم وما يدور فيه، متطلعة الى الشعوب وحركاتها الاستقلالية، العاملة ضد الاستعمار، حيثما وجد. يقول فرحات عباس الذي عايش تلك الفترة بكل مشاكلها: ((لكن حركة الشباب الجزائري لم تزد إلا قوة واتساعا أن النقط الأربعة عشر للرئيس ولسون، واسترجاع بولونيا وتشك سلوفاكيا استقلالهما، وتحرير بلاد البلقان وقيام ورسيا والشيوعية – كذا – وتأسيس عصبة الأمم وبروز تركيا الجديدة، وانتصار مصطفى كامل[3] على السيطرة الأوربية، وإنشاء حزب الدستور في تركيا وحرب الريف وملحمة الأمير عبد الكريم الخطابي، كل هذه الحوادث كانت مواضيع الأحاديث في أوساطنا وساهمت في ترقية مستوى شعبنا السياسي)).[4]

ب– حزب نجم شمال افريقيا:

---

[1] فرحات عباس ، ليل الإستعمار ، نقله إلى العربية : أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة ، المحمدية –المغرب ، بدون ط ت ، ص142

[2] شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة :عيسى عصفور،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2 ،1972م، ص 155-120.

[3] الأصح مصطفى كمال ولد هذا الأخير في 19 مايو 1881 وهو أوّل رئيس للجمهوريّة بتركيا الحديثة لقبه أتاتورك ومعناه (جدّ الأتراك) هذا الأخير كان سببا في إسقاط نظام الخلافة الإسلامي ، توفّي في 10 نوفمبر سنة 1938م ar.wikipedia.org

[4] فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 139-140.

وفي سنة 1929م تكون ما عرف بـ "نجم شمال افريقيا" بفرنسا[1]و قد ضمّ تحت لوائه الكثير من العمال المغاربة والجزائريين منهم على الخصوص، ثم انتقل الى الجزائر فيما بعد كما سيجيء.

ج- حزب الليبراليين :

أما داخل الجزائر فقد كانت الساحة موزعة والصراع محتدا بين أربع قوى متباينة الرؤى، مختلفة الأساليب، منها:

أ- **التيار المحافظ**: الذي يشتمل على الطرقيين ورجال الزوايا والأقطاع.

ب- **اليمين بطرفيه**: الإتحاديين والاندماجيين[2].

ج- **العلماء المصلحون** : الذين جعلوا الفكرة الإسلامية منطلقهم الأول.

د- **الحزب الشيوعي الجزائري**[3].

ولم يأخذ اليمين بطرفيه – الإندماجيين والإتحاديين – اطاره النظامي بصفته حزبا سياسيا الا في خريف 1927، وخاصة عند انضمام كل من الدكتور محمد الصالح بن جلول والصيدلي فرحات عباس[4] ، اللذين كان لهما دور فعال وحركة نشيطة في الحياة السياسية والحركة الوطنية في تلك الآونة.

وفي عام 1929، تم حل حزب "نجم شمال افريقيا" الذي نشأ في المهجر –كما سبق القول – ثم عاد بعد ذلك، أي عام 1933، ونقل نشاطه الى داخل الوطن سنة 1934. وبدأت أفكاره في الانتشار داخل الأوساط الشعبية[5].ولم يمض عام 1936م حتى أسست له فروع واتخذ أصحابه الخطب في الدعوة له، بالإضافة الى جريدة "الأمة" التي أسسها الحزب عام 1930[6].

---

[1] انظر، عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984م، ص 119-143.

[2] الاتحاديون هم :جماعة المثقفين ثقافة فرنسية وقد كانوا يطالبون بقيام فدرالية مع فرنسا – أما الاندماجيون فقد كانوا يطالبون بالاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي.

[3] كان الحزب الشيوعي الجزائري تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي ثم استقل عنه في 1935.

[4] انظر، عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ص 323 وما بعدها.

[5] انظر، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 413 وما بعدها.

[6] يصف الباحثون هذا الحزب بالثوري لدعوته الى استقلال الجزائر عن فرنسا منذ بداية تكوينه. انظر ، سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 422.

د- جمعية العلماء المسلمين :

في هذا العام بالذات، كانت فرنسا تحتفل بمناسبة مرور قرن كامل على استعمار الجزائر. وأعدت لذلك احتفالا كبيرا وجندت كل وسائل البهجة والسّرور، حيث كانت تعتقد انتصار المسيحية والصليب في بلاد الجزائر المسلمة ولم تكد تنتهي تلك الاحتفالات الفرنسية حتى ظهرت الى الوجود جمعية العلماء المسلمين يوم 5 ماي 1931م.

لقد كان لهذه الجمعية الدينية أثر ملموس في القضية الوطنية اذ دفعت بالشعب الى المطالبة بحقوقه المهضومة، والنهوض بالعربية لغته الحقة وأحيت العمل بالقرآن والسنة النبوية الشريفة، وعملت على إحياء الشخصية العربية المسلمة وخلصت قطاعات كبيرة من المجتمع من الخرافات والبدع الممقوتة التي كان يدعو اليها الطرقيون.

وأنشأت الجمعية الصحف والنوادي والمدارس والمعاهد وأرسلت من تلاميذها الى الخارج، كما شاركت الجمعية في الاحتجاج وارسال البرقيات الى الحكام الفرنسيين، وطالبت بالحقوق لهذا الشعب وأبلت في ذلك البلاء الحسن [1].

اعتمدت جمعية العلماء على جذوة العقيدة، وعاطفة الدين، لوثوقها بمدى استجابة الجماهير لهذين العنصرين أكثر من غيرهما، ((يتبين ذلك من عنايتها الخاصة بالبعث الاسلامي والثقافي الهادف الى تجاوز مفاهيم وقيم عصر الانحطاط واعادة الصلة بين الفرد وبين المصادر الصحيحة والسليمة لمفاهيم وقيم الحياة الاجتماعية ممثلة في القرآن والسنة وبذلك وحده يمكن للفرد ان يتحول من السلبية والضياع الى الايجابية المتطورة في اطار جماعي)) [2]. ولم يمنع الجمعية اعتمادها على الدين الاسلامي، أن تخوض في المسائل السياسية. فقد دخلت الميدان السياسي صراحة في المؤتمر الاسلامي عام 1936 الذي جمع كل الاحزاب والحركات الوطنية في البلاد باستثناء – حزب الشعب – مما أدى الى انتقادها من قبل خصومها الطرقيين [3]. يقول الدكتور محمود قاسم: ((وقد عاب بعضهم على جمعية العلماء أنها

---

[1] انظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945م)، نشر دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة – الجزائر – ط1، 1401هـ/1981م، ص 275.

[2] أحمد شرفي الرفاعي، جمع وتعليق الإمام الشيخ العربي التبسي، القسم الأول، مقالات في الدعوة إلى النهضة الاسلامية في الجزائر، نشر دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة – الجزائر – ط1، 1402هـ/1981م، ص 18.

[3] و ممن انتقد جمعية العلماء على مشاركتها في هذا المؤتمر الأستاذ مالك بن نبي ، حيث اعتبر مشاركتها فيه وقوعا في فخ السياسة الإستعمارية ، انظر : مالك بن نبي، شروط النهظة (مشكلات الحضارة) ، دار الوعي ، الجزائر ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ،

وقعت هي الأخرى في شراك السياسة وإن كنا نعتقد أنها دخلته منذ زمن غير قصير. وأيّا ما كان الأمر فان تدخلها في عام 1936م كان ضروريا فقد أصبحت دعوتها مهددة بأكبر الأخطار)) [1] .

يقول الدكتور عبد الله الركيبي: ((وقد انصبّت دعوة رجال الفكر الاصلاحي على النهوض بحيث مست المجتمع من جوانب كثيرة، واعتمدت أساسا على الرجوع الى منابع الدين الاسلامي واقتفاء أثر السنة النبوية الشريفة والعمل على نشر الثقافة العربية والقضاء على الجهل والخرافات و "البدع" التي انتشرت بين رجال معظم "الطرق" الصوفية وساعد على انتشارها الاستعمار. وقد ألحوا على ضرورة توحيد الفكر والاتجاه بين المواطنين والعمل على نشر المدارس والصحف والنوادي و((الجمعيات الأدبية)) وما إلى ذلك مما يمكن أن يكون طريقا للرقيّ المادي والنّهضة الفكرية))[2].

و- حزب الشعب:

فقد ظهر إلى الوجود مرة أخرى بعد اختفائه سنة 1937 تحت اسم ((حزب الشعب الجزائري)) [3]. غير أن زعيمه – مصالي الحاج – كان قد قلص من باعه، وأخذ يعمل من أجل الجزائر – بالدرجة الأولى – على خلاف الفترة السابقة، وازداد صيته في الانتشار بين الأوساط العمالية، وتعرض زعيمه للسجن مدة سنتين بتهمة ملفقة، وحرم من حقوقه السياسية والمدنية.

لما نجح أحد أعضاء الحزب البارزين في انتخابات 1938م بالجزائر العاصمة – الأستاذ أحمد أبو منجل – عد ذلك انتصارا للحزب وزعيمه – مصالي الحاج – المسجون، ثم ألغى هذا الحزب نهائيا، من قبل السلطة الحاكمة عام 1939م، وأوقفت الجريدة الناطقة بإسمه، واعتقل زعيمه مرة أخرى، ((ثم صدر حكم جديد ضده في مارس سنة 1941 بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما وحرمانه من الإقامة في فرنسا لمدة عشرين عاما)) [4]

1433/ 2012م ، و انظر أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج7 ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011م ، ، ص216 ، و انظر أيضا مقال هشام شراد ، موقف مالك بن نبي من الجهود الإصلاحية للشيخ الإبراهيمي ، جريدة البصائر . 19_ 25 رجب 1435 هـ / 19_25 ماي 2014 م ، ع 705 ، ص14 .

[1] محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس – الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية – دار المعارف ،بمصر ،سنة1968م، ص 29.

[2] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط7 ، 1401هـ/1981م، ص562.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم ، ردود الفعل الأولية داخلا و خارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ، دار البعث ط ن ، قسنطينة –الجزائر ، ط1، 1404هـ /1984م، ص 34.

[4] جلال يحي، السياسة الاستعمارية في الجزائر – 1830 – 1960، دار المعرفة، القاهرة_ مصر، الطبعة الأولى، سبتمبر 1959، ص677، 678.

ز–الحزب الشّيوعي:

أما عن الحزب الشيوعي الجزائري، فقد كان في بداية الأمر تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر، ثم انفصل عنه نهائيا سنة 1935م. وكانت له بعض النشاطات المحدودة سياسيا، وعلى رقعة جد ضيقة بين افراد الشعب، وذلك لأسباب كثيرة منها : [1]

الدين الاسلامي الذي كانت تدين به الاغلبية من الجزائريين، والذي يعارض الأفكار الشيوعية، ويعدها من صميم الكفر و الالحاد، والمحافظة التي ينطبع بها الشعب الجزائري، وأفكار جمعية العلماء التي انتشرت كثيرا بين أفراد الجزائريين حين ركزت على الاسلام واللغة العربية. يتحدث الدكتور جلال يحي عن جمعية العلماء فيقول: ((وكانت جمعية العلماء المسلمين وهي التي تمثل قوة الوسط بين قوى الجزائر أكبر الهيئات التي عملت في هذا القطر نفسه والتي تركت آثارا واضحة، دون أن تغير من اتجاهها العام))[2] .

لم يلق الحزب الشيوعي الاستجابة الكافية للتوسع والتغلغل بين المواطنين للأسباب الآنفة الذكر. قال عنه أحد الباحثين: ((وهو حزب ركز اهتمامه وغايته بالقضايا الاجتماعية والشيوعية، مرتبطا في ذلك بالحزب الشيوعي الفرنسي ولم يتعامل مع القضايا السياسية الوطنية إلا من بعيد. ولربما في بعض الأوقات اصطدم بالحركة الوطنية، اصطدامه في البداية بالحركة الثورية))[3] .

واكبر دليل على عدم اتساع الفكرة الشيوعية، وعدم مناصرتها من قبل المواطنين والموطنين، تلك النتيجة التي أحرز عليها الحزب الشيوعي في الانتخابات للمجلس الجزائري سنة 1948. حيث ((لم ينجح سوى تسعة من مترشحي حركة انتصار الحريات الديمقراطية و ثمانية من أنصار الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وشيوعي واحد))[4] .

وكيف يلقى الحزب الشيوعي دعما من الشعب الجزائري، وقد كانت تسيطر عليه فكرة الإتحاد مع الشعب الفرنسي الذي لا تربطه بالشعب الجزائري أدنى علاقة أو وشيجة. فقد كان يرى كل دعوة الى الاستقلال عن فرنسا ضربا من الرجعية وقد ((قرر مندوب الحزب الشيوعي الجزائري في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي أنّ الذين يطالبون بالاستقلال – في الجزائر – هم عملاء عن قصد

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص282 .

[2] المرجع نفسه ،ص 282.

[3] مجلة أول نوفمبر عدد 53 – 1981، الأستاذ :محمد الطيب علوي ،((جبهة التحرير وبيان أول نوفمبر)) ص 28.

[4] مجلة أول نوفمبر، عدد 55 عام 1982، الأستاذ:عبد القادر يحياوي ،((الوضع السياسي في الجزائر بين 1939-1954، ص40.

ووعي، أو بغير قصد لإمبريالية أخرى... إنّ الحزب الشيوعي الجزائري يكافح من أجل دعم الإتحاد بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي)) [1].

قبل أن نغادر هذه الفترة، لابد أن نشير الى أن الحركة الوطنية قد حاولت جمع كل قواها على اختلاف رؤاها وتباين أساليبها في مؤتمر اسلامي عام[2]، حضرته معظم القوى السياسية وحررت فيه مطالب الأمة الجزائرية [3]، لتقدمها الى الحكومة الشعبية في فرنسا، حين وصلت الجبهة الشعبية الى الحكم عام 1936، غير أنّ النتيجة كانت كسابقاتها مع بقية الحكومات المتعاقبة على كرسي الحكم.

ط- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية :

مضت هذه الفترة بكل ملابساتها هذه الفترة التي تصارعت فيها القيم و الأفكار حول كيفية الوصول الى الاستقلال، وتعددت وجهات النظر، كل حسب الخلفية التي يحملها والمشرب الذي نهل منه فكرته التي تشبع بها.

وحينما اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت الحركة الوطنية قد خفتت وخاصة حين زج بزعمائها في السجون، وحلت بعض الأحزاب وتوقفت الجرائد، كالشهاب والبصائر مثلا، بسبب ظروف الحرب القائمة [4].غير أنها بعد الحرب عادت فنشطت الحركة من جديد، وعاودت العمل السياسي ولكن بنفس آخر وبروح جديدة. فأعلن فرحات عباس عن انشاء حزب جديد تحت اسم ((حركة أحباب البيان والحرية)) وذلك قبيل حادثة 8 ماي 1945م، بشهور قليلة. إلا أن الاستعمار كان يدبر أمرا في الخفاء حين رأى نشاطا متزايدا وتململا لدى الشعب الجزائري وخاصة بعد فشله في أدنى النتائج في مؤتمر 1936م.

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت _لبنان ، 1982/1302 ص 371.

[2] انظر ، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1975م، ص 161 ومايليها.

[3] من هذه المطالب 1- ثقة المؤتمرين في حكومة الشعب الجبهة الشعبية، 2- إلغاء جميع القوانين الاستثنائية، 3- منح الحقوق للمسلمين مع بقائهم على هويتهم مثلهم مثل الفرنسيين، 4- منح الجزائريين حق التمثيل في البرلمان الفرنسي، 5- انتخاب مشترك بين المسلمين والفرنسيين، 6- تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر، 7- اعتبار اللغة العربية كالفرنسية لغة رسمية، 8- تسليم المساجد للمسلمين حسب قانون فصل الدين عن الدولة.

[4] انظر، المرجع السابق، ص 185-243.

يصف الدكتور أبو القاسم سعد الله هذه الفترة بكل تحركاتها فيقول: ((أن الجزائر قد عرفت في هذه المرحلة أكبر الهزّات الوطنية والعالمية وكانت مسرحا لانفعالات نفسية متعددة، فقد انعقد فيها لأول مرة مؤتمر شعبي حضره آلاف المواطنين واشترك فيه عدد من الهيئات الوطنية وتحدث فيه الخطباء عن تاريخ الجزائر وحاضرها ووصفوا آلام الشعب و آماله ودعوا إلى مستقبل أفضل يرفع عن الشعب كابوسا طالما حجب النور، ونادوا (بالكيان الجزائري) المتميز باللّغة والدين والوطن)) [1]

بقيت تلك المشاعر حبيسة، خلال فترة الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها خرج الشعب الجزائري الى الشوارع معبرا عن فرحته، مثل بقية شعوب المعمورة، احتفالا بأنتصار الحلفاء ضد النازية. لكن فرنسا قابلت هذه الفرحة بحصد الجماهير وقنبلة المدن والقرى، سطيف وخراطة، وقسنطينة وقالمة... وغيرها من المدن. فأردت مايزيد على خمسة وأربعين ألف قتيلا في حادثة 8 ماي 1945 المشؤومة [2].

وإثر حادثة ماي المؤلمة، أسس فرحات عباس ((الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري، كما أسس زعيم حزب الشعب _ مصالي الحاج _ بعد ذلك عام 1946م حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية)). إلا أن هناك ملاحظة يجب أن نسجلها هنا، و هي أنها في هذه الفترة بالذات خفت التيار الديني. _جمعية العلماء_ و اقتربت من حزب أحباب البيان بشكل واضح. و بدأت بقية القـــوى السياسية في التآلف و العمل على السير معا نحو الهـدف المنشـــــود _الإستقلال_ الذي لم تعد المطالب السياسية تحدي لنيله و تحقيقه. ((لكن مهما يكن من أمر فإن الحركة الإنتصارية لما شرعت في متابعة نشاط شرعي، أسست منظمة خاصة شبه عسكرية و متسترة كل التستر، و كانت مهمتها إعداد الثورة و نفخ الروح الثورية. و فعلا أصبحت هذه الروح تخرج شيئا فشيئا من الطّور النّظري إلى الطّور العملي.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت ،ط2، كانون الثاني (يناير) 1977، ص 41.

[2] ، يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة _الجزائر، ط1، 1980/1400، ص286 وما بعدها.

إن جيلا جديدا ترعرع في مدة ما بين الحربين العالميتين و هذا الجيل لا يغره غرور الخطب و التصريحات و لا تنطوي عليه حيل السياسة و النزعات. قام رجال جدد سئموا من الشرعية الإستعمارية لا ينتظرون منها شيئا و أيقنوا بأن الكفاح المسلح كفيل وحده بدك أركان الإستعمار العتيق و تقويض نظام الرقيق)) [1].

إلا أنّ ضعفا سجل على القيادات الحزبية و عيبت به في تلك الفترة حين إنفجر الصراع _ثانية_ بين الأحزاب يقول الدكتور سعد الله ((إذا نظرنا إلى فترة 1946 _ 1954 وجدنا الإتجاهين الثوري و المعتدل في تنافس شديد على كسب الجماهير)) [2].

و لكن فرنسا لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذه التطورات الخطيرة المهددة التي أصبحت تنبئ بالخطر الذي سينفجر يوما ما. فعملت يد التنكيل القسوة و القمع و الإضطهاد و الإعتقال، ما شاء لها الهوى في كل من تشك في أمره.

ميزت فترة ما بعد حادثة مـــاي، بسلسلة من الأحداث المتوالية لم يسبق لهـــتا مثيل. جندت فيها قوات الإستعمـــار نفسها لشيء بدأت تتحسّسه، و أصبحت تترقبه بين الفينة و الأخرى. ذلك أنه قد ((...تبع مجزرة سنة 1945م هذه حملة نكراء أخرى شنتها جيوش الإستعمار على بلاد القبائل (1947) ... ،و المؤامرة التي دبرت لاعتقال مئات من الشباب الناهض 1950، ثم الحملة المنظمة على منطقة الأوراس (1952)، و حوادث تقتيل الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا (23 ماي 1952) و في 14 جويلية من نفس السنة وقع مثل ذلك مكررا... و لم يتجاوز العالم (المتمدّن أو المتحضّر) كما شئت فسمه... من استنكاره الفضائع و الجرائم الفاشية يومئذ أكثر من احتجاج بارد و كلام سخيف)) [3].

---

[1] فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 254.

[2] مجلة أول نوفمبر عدد 1981/53، أبو القاسم سعد الله، (الاتجاهات الفكرية والثقافية للحركة الوطنية الجزائرية) ص 23.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 4، ص 372.

الإعدادا للثورة (1954) : [1]

لهذا كله أخذ العمل السياسي ينطبع بالسرية والكتمان بعد الإضطهاد المتزايد و المتكرر يوميا [2]. وفي سنة 1951، حاولت الحركة الوطنية رأب الصدع وتناسي كل الضغائن والخلافات فيما بينها، فدعت الى تجميع كل القوى الوطنية بالدرجة الأولى.

غير أنّها لم تنجح في ذلك لاختلاف المشارب والرؤي لكل منها. فكان ذلك التصدع بين هذه القوى السياسية ((بعد ظهورها بشهور قليلة دليلا آخر للشعب على إفلاس الأحزاب السياسية وتعفّن الأوضاع فيما بينها. وزاد في إعراض الشعب عنها وعدم اكتراثه بها ، تحمسّه للكفاح المسلح الذي كان يخوضه الشعب التونسي وشعوب الهند الصينية)) [3] .

ومن ثم راح الشعب الجزائري يتحفز للثورة مثل بقية الشعوب وأخذ يترقب أقرب فرصة للثورة على هذا العدو الغاشم الذي ثارت عليه الشعوب التي كان يستعمرها كما هو مستعمر بلاد الجزائر. ولم يعد الشعب الجزائري يخاف فرنسا ولا يخشى بطشها مادامت قد ثارت عليها شعوب ومستعمرات.

وازداد تصدع القوى السياسية في هذه الفترة بين صفوف حزب حركة الانتصار الديمقراطية وتضاعف الغليان وسط الجماهير، نتيجة التوزع والانقسام بين قادة الحزب أنفسهم حول الزعامة ونسيانهم للمصالح الوطنية التي تبذل مثل هذه السلوكات [4].يقول بعضهم مصورا هذه الحال:

هي الضغائن و الأهواء مانطقوا ... وما تزينه الأحزاب والطـرق

يدعون جهدهم يا قومنا اتحدوا ... وما دعوهم لذا إلا ليفترقـوا

هل من سبيل إلى اقناع طائفة ... بغير مدحك لا ترضى ولا تثق

أو من سبيل إلى توحيد مجتمع ... يسود هيآته العليق والعلق[5]

---

[1] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ، ص227 .

[2] جلال يحي ، السياسة الاستعمارية في الجزائر، ص 301 وما بعدها.

[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 293-294.

[4] فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 257-258.،- كذلك، محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول ،دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة _الجزائر،ط1، 1984/1404، ص 80 ومابعدها.

[5] ابن رحمون، الديوان ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980، ص 133.

تفاقم الوضع واتسعت دائرة الخلاف والتدهور في هذه السنة 1953 بذلك التنازع، وعدم التفاهم بين القادة الحزبيين لحركة الانتصار، فلم تمض شهور حتى ((اجتمع في اواسط شهر يوليو سنة 1954 مؤتمر حزب انتصار الحريات الديمقراطية في بلجيكا ولم تحضر جماعة اللجنة المركزية هذا المؤتمر، فقرر مصالي الحاج و اركانه فصل هذه الجماعة عن الحزب وتفويض نفسه عن سياسة الحزب ومسؤولية توجيهها. فرد على ذلك أعضاء اللجنة المركزية بعقد مؤتمر في الجزائر نفسها في أواسط شهر أغسطس من نفس السنة و أعلنوا أن المسألة ليست مجرد مسألة زعامة وفصلوا مصالي الحاج وأركان حزبه – كذا – وتحملوا مسؤولية سياسة الحزب والسير بها نحو الثورة المسلحة.))[1]

شرع المناضلون المخلصون للقضية الوطنية في العمل الجدي بعيدا عن الزعامات الجوفاء التي آل إليها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فلم تفت في عزائمهم تلك المشاكل المفتعلة وجاء انشاء ((اللجنة الثورية للوحدة والعمل C.R.U.A)[2] في شهر مارس سنة 1954م ليلبي الحاجة الى تنظيم هذه الحركة وليجعل منها القوة المستقلة عن النزعتين، ويحول دون تشتت الطاقات وانقسامها في المخاصمات الحزبية الناشبة بين القيادتين.)[3]

وبعد ترتيبات وتنظيمات واجتماعات سرية محكمة، استطاع هذا الأخير أن يعلن الثورة في غرّة نوفمبر 1954م[4].

---

[1] جلال يحيى، السياسة الاستعمارية في الجزائر، ص 317.

[2] تولّى رئاستها محمّد بوضياف .

[3] الثقافة ،السنة الخامسة عشر – العدد 86، جمادى الثانية، رجب 1405هـ/ مارس، افريل 1985م.

[4] محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ص 53-84.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني :الحالة الإجتماعية .

أ- الوضع العام .

ب-النهضة الحديثة .

ج- نتائج النهضة .

الحالة الإجتماعية :

في هذا المبحث تناولت الوضع العام – إجتماعيا – أي وضع الطبقات السكّانية وماكانت تعانيه من قهر وحرمان من جرّاء ما سلّطه عليها الإستعمار، وحالتها النّفسية الإقتصادية المقيتة التي ترتّبت من تواجد طبقات وجاليات مستغلة من قبل أوربيّين ويهود.

ثم تطرقت إلى تأثير الحركات الوطنية على الجماهير التي ظلت تتطلع إلى حياة كريمة، بعيدة عن قهر الإستعمار واستغلال المعمّرين وابتزاز اليهود.

وفي النّقطة الثالثة و الأخيرة من هذا المبحث كان الحديث حول نتائج ذلك التأثير الذي قامت به الحركات الوطنية من بوادر النهضة والإستعداد إلى خوض المعركة واسترجاع الحرية المفقودة والإستشهاد من أجلها. بالرّغم من تردّي الأوضاع وقلة العتاد وقلة اليد من الحاجة اللاّزمة لشراء السلاح والذخيرة لمواجهة هذه الجيوش الجرارة المدججة بأفتك الأسلحة ووسائل الدمار.

الوضع العام للجزائر:

كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى مجموعات خلال هذه الفترة وذلك للظّروف التي خلّفها الإستعمار، وعمل جهده لترسيخها. وأبرز هذه المجموعات هي: الجالية الأوربية التي سيطرت على دواليب الحياة والحكم منذ مجيئها ((والطابع العام الذي يميز هذه المجموعة هو الإنغلاق على نفسها، والتعصب والعنصرية الشديدتان ضد الجزائريين باعتبارهم يشكلون خطرا على مستقبل وجودها في الجزائر بسبب موقفها العدائي منهم واستحواذها على خيرات بلادهم))[1].

وثاني هذه المجموعات، اليهود الذين كانوا موجودين قبل الإحتلال ببلاد الجزائر ((وكان هؤلاء يسيطرون على رؤوس الأموال، قبيل الاحتلال، ويحتكرون الأجهزة التجارية الكبرى، فظلوا متمتعين بكثير من هذه الامتيازات الخيالية فكان منهم التجار الأغنياء، وكان منهم رجال الأعمال الأثرياء يتحكمون في كثير من الأجهزة الاقتصادية والمالية والصناعية في الجزائر))[2].

أما المجموعة الثالثة والأخيرة، فهي القطاع الساحق من السكان الأصليين، ((أكثر من عشرة ملايين وهم يحتلون المركز الأدنى من السلم الاجتماعي، ويعيشون على هامش الحياة. باعتبارهم مجموعة خاضعة للاحتلال من ناحية ومكروهين من الجالية الأوربية من ناحية أخرى))[3].

وقد كان السكان الأصليون يعانون من ترد في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية، لأسباب كثيرة ((فالمسلم الجزائري يعتبر قانونا فرنسيا، الا أنه من نوع ممتاز، عليه كل ما على الفرنسيين واكثر مما على الفرنسيين وليس له مالهم، والسبب الظاهر في حرمان المسلم الجزائري من كل الحقوق الفرنسية هو احتفاظه على معاملات الشرع الاسلامي في مسائله الشخصية بحيث لا يرث ولايورث ولا يتزوج ولا يطلق الا حسب تعاليم الشريعة الاسلامية لا حسب القانون المدني الفرنسي))[4].

هذه الأسباب جعلت المسلم الجزائري يعاني ويلقى العنت من الإستعمار الفرنسي لصلابته في تمسّكه بهويّته العربيّة المسلمة، وعزوفه عن الأخذ بالقوانين الفرنسية في أحواله الشخصية. فالأعداد الهائلة من السكان الأصليين كانوا ((مضطهدين كما أسفلنا القيل سياسيا، محرومين اقتصاديا مهملين

---

[1] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص90.

[2] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1953، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1983، ص 31-32.

[3] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص 91.

[4] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص349.

اجتماعيا. فكانوا يشكلون أحط طبقة وأحوجها وأجهلها في الجزائر، بالرغم من أن وضعهم الاجتماعي قبيل الاحتلال كان جيدا. ومن أهم هذا الانحطاط الاجتماعي، أن الاستعمار سطا على الأراضي الخصبة فمنحها للمعمرين فنشأ عن الحرمان الجهل وأي مرض اجتماعي أقبح من الجهل))[1].

وتقلّصت مداخيل النّاس نتيجة للحرمان ومصادرة أراضيهم وتعطلهم عن العمل وتعرض السكان للفقر والفاقة، الأمر الذي انعكس على حياتهم الصحية[2]، والإجتماعية فلجأت أعداد كثيرة من السكان الأصليين الى الهجرة الى فرنسا.

ولكن هذه الهجرة كانت محدودة الفائدة، قليلة الجدوى. ((لم يفد منها فائدة ذات بال، بل نشأت عنها مضاعفات اجتماعية خطيرة أخرى: كتشتّت أعضاء الأسرة الواحدة ...، وكحرمان الطفل من رعاية أبيه وتوجيهه، لأنّه مضى عنه إلى الدّيار الفرنسية. وكل هذا يحتمل ويهون إذا قيس بحوادث الشّغل التي كان العمال الجزائريون يتعرضون لها في المعامل الفرنسية فتؤدي بهم: إلى الموت أطوارا، وإلى فقدان أحد أعضاء الجسم في أحسن الاحتمالات أطوارا أخرى))[3].

-النهضة الحديثة :

من خلال ماسبق ندرك أن المجتمع الجزائري كان يعاني من ويلات عديدة ، ومع ذلك فقد كانت هناك نهضة ولو نسبيا ((نهضة حديثة لا يستطيع المرء انكارها تشمل سائر ميادين النهضة من علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وقد تختلف طرق الاصلاح المنشود، إلاّ أنّ الأمر المحقق هو أنه لم يبق في قطر من الجامدين عن النهضة الا النّزر اليسير، ولقد تجلت تلك القضية بأجلى مظاهرها في قيام المدن المختلفة بتأسيس المدارس القرآنية وابتناء المساجد والإقبال على التعليم وتأسيس النوادي العامة للمفاوضة في المسائل الاجتماعية))[4].

فقد كان للتطورات السياسية و الأفكار الإصلاحية التي بسطناها في المبحث السابق أثر بارز في ظهور كثير من أوجه التغير على المجتمع الجزائري الذي رزح طويلا تحت نير الاستعمار. فدبّت في نفسه الحياة وظهرت أفكار، وتحركت عواطف، ظلّت فترة طويلة حبيسة في النفوس. " كرفض التجنيد الإجباري

---

1 عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص31.

2 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 359 ومابعدها.

3 عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي، ص 27.

4 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص379.

مع فرنسا".[1] وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وعودة المشاركين فيها المجندين الجزائريين – إجباريّا – وغيرهم من العمال الذين اشتغلوا في مصانع فرنسا ، مدّة الحرب، عادوا وهم يحملون أفكارا وتصوّرات، غير التي ذهبوا أوّل الأمر. عادوا وهم يحملون شعورا وإحساسا جديدين مغايرين لما كانوا يشعرون به قبل المشاركة في الحرب ،وذلك نتيجة احتكاكهم بالإنسان الأوربي والحياة الأوربية، فعمد هؤلاء الراجعون الى الاشتغال في بعض الأعمال والحرف والتجارة ، وتملّك بعضهم قطعا من الأرض ليفلحوها، وبعض الملكيات المتواضعة، وأصبحوا يفكرون في مستقبلهم ومستقبل أبنائهم من بعدهم ،وعملوا جهدهم على تحسين أوضاعهم الإجتماعية والمالية. وبعثوا بأولادهم إلى المدارس، وحاولوا الخروج من تلك الأوضاع المقيتة التي كانوا عليها.

وظهرت بوادر اليقظة في فترة الحرب الكونية الأولى، وعمت مناطق مختلفة من القطر الجزائري. فكان سكان بسكرة مثلا وهي منطقة ريفية أكثر من حضرية آنذاك، كانوا على درجة كبيرة من الوعي السياسي و الإلمام بقضايا الوطن واستيعاب الأحداث أكثر من ذي قبل. اذ كانوا جازمين أن الحرب العالمية الأولى محنة بالدرجة الأولى أكثر مما هي على الجزائر، وقام بعض الأشخاص في المنطقة المذكورة، كالمرحوم المقدم بن عثمان بطولقة[2]، ببث ونشر فكرة مقاطعة التجنيد وعدم الإستجابة لهذه الدعوى[3].

والباحث لهذه الفترة من تاريخ الجزائر، يجد ((... أن بعض القصائد التي ظهرت أثناء هذه الحرب كانت صريحة في وطنيتها، وفي هجومها على فرنسا بالذات باعتبارها الدولة المحتلة المستعمرة، ويؤكد فيها الشاعر بأنّ الجزائر ليست لفرنسا))[4].

---

[1] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 233 ومابعدها.

[2] المقدم بن عثمان أحد الشخصيات المناهضة للاستعمار الفرنسي بواحة طولقة (بسكرة). نقلا عن : محاضرة الأستاذ أحمد بن ذياب، ((إسهامات محمد العيد آل خليفة في التمهيد للثورة)) المهرجان الأول للشعر محمد العيد آل خليفة، 26 مارس 1982 بسكرة ، كذلك عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ص33 ومابعدها.

[3] من محاضرة الأستاذ أحمد بن ذياب، ((إسهامات محمد العيد آل خليفة في التمهيد للثورة)) ، كذلك عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ص33 ومابعدها.

[4] عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 417. وانظر نموذج لبعض الأشعارضمن كتاب:تمشباش محمد ،بحوث من أعماق أحداث الثورة التحريرية1954 ،دار علي بن زيد للطباعة والنشر،بسكرة _الجزائر ،ط1،2013م، ص131 _138.

لم يعد االجزائري بعد الحرب العالمية الأولى يشعر بأية فوارق ، خاصة أمام المستوطنين المستعمرين، فراح يطالب بالحقوق والمساواة في كل شيء، في التمثيل النيابي في البرلمان، وتطبيق القوانين الإجتماعية والعماليّة على المواطنين وحق الجزائريين في الحصول على الرتب العسكرية كغيرهم دون أيّة تفرقة.[1]

كما تفتحت العقلية الجزائرية على الفكر الوطني بشكل واضح، وتقلص الفكر الخرافي الذي كان مسيطرا على العقول وحل محلّه الفكر الإصلاحي المتمثّل في دعوة العلماء إلى العمل بالقرآن والسنّة وسلوك السلف الصالح . [2]

و أثناء احتفال المستعمرين بذكرى مرور قرن على احتلال الجزائر،قاطع الجزائريون هذه الإحتفالات التي ((حضرها رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه ليترأس هذه الاحتفالات الاستفزازية لمشاعر الجزائريين وكان من المقرر أن تستمر ستة أشهر ولكن مقاطعة الأهالي لها بسبب الشعور بالإهانة جعلها تتوقف بعد شهرين))[3].

ترك هذا الحدث ألما وشعورا مريرين في نفوس الجزائريين وسكان العاصمة بالذّات، لما شاهدوه ورأوه من مآس عنيفة، حاولت من خلالها فرنسا إعادة الصور الفظيعة التي ارتكبها يوم الاحتلال، حتى يستمتعوا بتلك المناظر التي صبوها على الآمنين العزل. وعمت الأوساط الأهلية مشاعر مريرة من السخط والغضب وكان لتلك التظاهرات رد فعل نفسي عميق. فقد نبهت الجزائريين الى واقعهم وجعلتهم على وعي وإدراك بنوايا المستعمر أكثر من أي وقت مضى...)) [4].

وقد انعكست تلك المشاعر على ما كان يصدر من صحف وجرائد. واللاّفت للنّظر ذلك الإستياء العام في معظم الصحف التي تطفح بالحزن والأسى، على ماآلت إليه الجزائر من تأخر و بؤس [5].

---

[1] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1969، ص417.

[2] محمد البشير الابراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الاسلامية، بدون تاريخ، ص41-42.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، ص 89-90. ومن المشاريع الثقافية التي ساهمت في إحباط المشروع الإستعماري في المجال الثقافي(كتاب تاريخ الجزائر) للشيخ مبارك الميلي، انظر:محمد الميلي،الشيخ مبارك الميلي(حياته العلمية ونضاله الوطني) دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط1،2011م،ص119.

[4] محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 96.

[5] محمد علي دبّوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء 1، المطبعة التعاونية، الطبعة الأولى، 1965/1385، ص 21-31.

وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931م، ظهرت الشخصية الجزائرية بوضوح، وعبر عنها المجتمع المسلم في سلوكه وفكره. ولم تمض سنوات حتى أصبح كل فرد يطالب بها، ولا يرضى بغيرها بديلا.[1]

كان الإستعمار الفرنسي يعمل جاهدا على عرقلة كلّ تطور، فراح يشجع البدع والخرافات حتى تسهل له السيطرة على قطاعات كبيرة من الشعب وشجع أصحاب الفكر الطرقي والصوفي المزعوم، وبذل لهم كلما يحتاجونه ليكونوا تيارا معاكسا لتيار الحركة الإصلاحية والوطنية. وذلك لأن ((الفكر الصوفي التقليدي يدعو أساسا إلى الزهد ويرغب فيه، ويصدر أساسا عن الزهد، ويحض عليه. وينتج عن الزهد في الدنيا رغبة واضحة عن الحياة العامة ولاسيما الحياة السياسية. واذا آل أمر التصوف الى هذه الحال، فما أحبه الى قلب الاستعمار، لأن الزهد اهمال للشعور الوطني وعزوف الحياة الكريمة التي تقوم على السيادة السياسية الكاملة))[2].

لكن الشعب الجزائري كان قد أدرك ذلك السرّ من الإستعمار المؤيّد لرجال الطرق والزوايا، فلم يعد ينخدع بتلك الأحابيل والدسائس، وعبّر مرّات عديدة، وفي مواقف مختلفة عن مدى وعيه، والتفّ حول رجال الوطنيّة والإصلاح، وراح يساندهم في محنهم[3] ويقف إلى جانبهم مناصرا مؤيدا، لأنه قد خبر مكائد الإستعمار التي كان يدبرّها هو و أعوانه[4].

وأمام تلك الهجمة الشّرسة من قبل الإستعمار وأذنابه على محو الشّخصية العربية المسلمة في الجزائريين ، والسّير بالخطط والمؤتمرات على تجهيلهم وإفقارهم ليكونوا لقمة سائغة لهم ، نشط رجال الإصلاح والوطنية على إحياء النّخوة العربية المسلمة وربط الوطني الجزائري ببلاد المشرق وتوثيق علاقاته بالبلدان الإسلامية – ولو ثقافيا – فـ: ((...عملوا على إلقاء المحاضرات وفتح المدارس ونشر الكتب التي تتحدث عن تاريخ بلادهم وتعمل على تمجيده وحاولوا أن يخلقوا بذلك جيلا جديدا، مثقفا بثقافة عصرية عن طريق اللغة العربية))[5].

---

[1] انظر، الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 66 الجزائر، محرم/ صفر 1402، نوفمبر/ ديسمبر 1981، الأستاذ :الطاهر فضلاء ((من أعلام الوطنية: الشيخ العقبي)) ص38.

[2] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 50.

[3] كمنع العلماء من الوعظ والإرشاد، ومنعهم من التعليم والقاء المحاضرات.

[4] مثل :مكيدة مقتل الشيخ كحول سنة 1936 بالعاصمة ،وتلفيق التهمة للشيخ الطيب العقبي. انظر الثقافة العدد 66، ص 46 وما بعدها.

[5] محمد البشير الابراهيمي، آثار محمد بشير الابراهيمي ((1)) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 278.

ولم تكن الدوافع إلى التجنيس نفعية مادية أو أدبية، وإنما كانت أيضا هروبا من الضغط الذي ساد هذه الفترة، حتى الذين "تجنسوا" لم يجدوا المعاملة التي يتمتع بها الفرنسي أو الأوربي، بل لم يجدوا المعاملة التي يتمتع بها اليهود والذين سبق لهم أن "تجنّسوا" قبل ذلك [1] .

اتبعت الحركات الوطنية أساليب المهادنة والمطالبة بالحقوق والإصلاحات سياسيا، في بداية الأمر، وذلك للظروف التي كانت تعاني منها البلاد من فقر وجهل وجمود، حتى تهيأت الظروف وحانت الفرصة، وخبروا الحكومات الفرنسية وسياساتها المختلفة واتضح لهم أخيرا أن الطريق الوحيد هو الثورة لاسترجاع ماضاع وأخذ.

يتحدث أحد الزعماء الذين عايشوا فترة مابعد الحرب العالمية الثانية نقلا عن أحد البسطاء من الفلاحين الجزائريين يقول مخاطبا: ((اسمع يا بني، هل تعلم ماذا يحصل عندما تعرف الادارة أن واحدا منا عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ؟ أنها ترسل إليه رجال الدرك فيخرجونه من داره بعد أن يضربوه ويهينوه أمام زوجته... ويرمون به في السجن بلا محاكمة وعندما يخرج منه يضطهده القائد أو الباشا آغا – هذا هو النظام – أننا مسحوقون – معصورون مطحونون وبعد كل هذا يتحدث الحزب عن الانتخابات ماذا سيفعلون بعد الانتخابات؟ هل سيذهبون ويتبخترون امام الفرنسيين ويدخلون في بلدياتهم ومجالسهم العامة وبرلماناتهم؟ والى أين سيقودنا هذا؟ الى خطوات مغيرة... نعم وبعد قرن؟ لكن بعد قرن سنكون قدمتنا. لا يا بني لم نعد نريد أن نسمع الحديث عن الانتخابات. أن ما يلزمنا اليوم هو البنادق))[2] .

–نلحظ من خلال الحوار السابق مدى تطور العقلية الجزائرية ومدى الوعي الذي وصلت إليه الحالة الاجتماعية حتى عند البسطاء من الشعب. كل ذلك ثمرة النهضة الحديثة سياسا اجتماعيا وثقافيا. فقد أتت الصحف والمدارس والنوادي والجمعيات، ونضال رجال الاصلاح وعزم رجال الحركة الوطنية على ترقية مستوى الشعب وانتشاله من الوهدة التي وصل إليها من جراء الاستعمار.

---

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 26–27. انظر كذلك، أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 350 ومابعدها.

[2] مجلة الوطن العربي، السنة الخامسة ، العدد 231 ، من (17إلى 23)يونيو 1981 ((في حديث أحمد بن بلة)) أجرى الحوار :علي سراوي ، ص37 .

-نتائج النهضة:

هذه العوامل السابقة وأخرى غيرها، كبعض الأحداث العالمية من حركات التحرر وثورات في مناطق مختلفة من العالم [1] حركت من نفوس الجزائريين فعملوا على التخلص مما كانوا يعانونه من ويلات الجهل والفقر، وتردي الحالة الصحية وانتشار الأمراض الاجتماعية والجسدية.

في هذه الظروف القاسية، وهذا الضياع الذي كان يعانيه الانسان الجزائري في حياته اليومية، اذ ((المسلم الجزائري من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائري وكفى، ومن حيث القانون الدولي هو فرنسي، ومن حيث المعاملات الداخلية الفرنسية هو "رعية فرنسية" يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية الا اذا رضى بالخروج عن أحكام الشريعة الاسلامية في كل مايتعلق بحالته الشخصية ودخل تحت احكام القانون المدني الفرنسي)) [2] .

في هذه الظّروف، أحسّت فرنسا أن خطرا ما سينفجر، بسبب الوضع المقيت فالحالة الإقتصادية المتردية في سنوات ما بعد أحداث ماي 1945 أثّرت بشكل ملحوظ على الحياة بمختلف مظاهرها، وسببت كثيرا من المشاكل. فنتج عن ذلك كلّه شعور عارم وسخط كبير بسبب سوء الوضع وتردي الحياة. قال شارل روبير أجرون عن هذه الفترة ((... كان الوضع الاقتصادي يتقهقر بالسّرعة نفسها والمحاصيل تتناقص. وافتقرت الجزائر وقد بقيت بدون صناعة الى الأسمدة والمواد المصنوعة والألبسة وراحت آلام جديدة ترهق من هم أفقر الناس)) [3] .

---

[1] انظر جلال يحيى، السياسة الاستعمارية، ص 299 ومابعدها.

كذلك مجلة المجاهد الأسبوعية، عدد 1124، الجمعة 25 ربيع الثاني 1402هـ/ فيفري 1982 لقاءات، أجرى الحديث: رفيق علاء الدين ((تاريخ ثورة نوفمبر كما يروي تفاصيلها وأسرارها العقيد عمار بن عودة)) ص31.

انظر كذلك، سعد الله، الحركة الوطنية ج3، ص 203.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 250.

[3] شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 147. انظر كذلك، سعد الله، الحركة الوطنية ج3، ص 203.

كذلك مجلة ((سيرتا)) االعدد 5، السنة الثالثة، رجب 1401 ماي 1981، عبد الكريم بوصفصاف ((التحولات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية)) 1945- 1954، ص 31.

وبدأ الشعب الجزائري في تململ من هذه الوضعية الخطيرة، فقامت فرنسا بشنّ حملة من الإعتقالات على كل من تظنّ أن له علاقة ماتربطه بالحركة الوطنية ، وبدأت تعتقل أكثر من أي وقت مضى وخاصة إثر افتضاح أمر المنظّمة السريّة – الشبه عسكرية – الشبّان الذين ضبطتهم أو ضبطت أسماءهم. و ((لم تتورّع السّلطات الفرنسية عن تجديد الحملات في سنوات 1948- 1949- 1950- 1951 لكبت الشعب الجزائري، فادّعت تعقّبها لبعض الفارّين من وجه العدالة))[1].

بهذا القمع وهذه التصرفات الاستعمارية، خلقت فرنسا أوضاعا اجتماعية مضطربة وخلخلة في البنية الاجتماعية، فكثرت التمردات عليها في مناطق مختلفة من ربوع القطر. وفي هذه الآونة كانت الحركة الوطنية تعمل في السر وتهيئ لإعلان الثورة. وتعبئ كل جماهير الشعب وتبين له مدى تميزه عن فرنسا بكل مقوماته من لغة ودين وحضارة ومصير ((وبفضل مجهودات تلك الطليعة، صار الأطفال الجزائريون يستنكرون ان يكون أجدادهم الغال، ويفتخرون بانتسابهم للعروبة والاسلام، وصار الأهالي، في معظمهم، يدركون التمايز بينهم وبين المعمرين وأبناء مايسمى بالوطن الأم، وبعبارة أوضح، صار الوضع مناسبا والظروف ملائمة لإشعال نار الثورة التي سيكون لها الفضل في تقويض أركان الاستعمار الفرنسي))[2].

[1] جلال يحي، السياسة الاستعمارية، ص 311.

[2] محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ص 50.

_ المبحث الثالث :الحالة الثقافية

أ- الصحافة والتعليم.

ب- النوادي والجمعيات والمنظمات.

ج- الحياة الثقافية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_ الحالة الثقافية :

في هذا المبحث الخاص بالحالة الثقافية ركّزت على ماكان له الأثر الكبير في تطور حركة الأدب الحديث في الجزائر. فوجدت أكثرها تأثيرا التعليم في مدارس جمعية العلماء والصحف الوطنية التي كانت تشجع الأدب وتحفز الأدباء على إجادة الكتابة فيه، ثم النوادي والجمعيات. وهي الأماكن التي يتردد عليها المثقفون ويؤمّها الجمهور، تعقد فيها المجامع وتنظم فيها السهرات والاحتفالات فتسمع الخطب وتلقى القصائد.

وأمّا المنظمات فكانت تكتب لها الأناشيد وتنظم القصائد الحماسية التي تحفظها الناشئة وتردد مقاطعها في أكثر من مكان.

وقد تبارى الشعراء في نظم شعر الحماسة والأناشيد. فكان للمنظمات – حقّا – دور فعّال في تطور الشعر وغزارة الإنتاج.

كما تكلمت عن الحالة الثقافية وما شاع فيها من أنواع أدبية من شعر ونثر ومقالة وخطب ومسرح، بالقدر الذي لا يخرج بي عن طبيعة البحث وغرضه المنشود.

وهي على التوالي بشيء من التفصيل:

أ–الصحافة والتّعليم:

لقد نشطت الحركة الثقافية في الجزائر خلال العشرينات، وذلك اثر رجوع الشيخ عبد الحميد ابن باديس من تونس سنة 1913، وعودة محمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي من بلاد الحجاز، عام 1920م.

كان لهؤلاء جميعا، دور فعال في تطوير الحياة الثقافية والفكرية. بل النهضة بأكملها. تلك النهضة التي أعقبت عودة هؤلاء المصلحين، حيث كانت قد انتشرت الصحافة في هذه الفترة. فحرر فيها العلماء مقالات أدبية وسياسية وفكرية. كما دبجها الشعراء بقصائد عديدة فنشطت الحركة الشعرية، وظهرت أسماء جديدة في الشعر والنثر، مثل مبارك الميلي وسعيد الزاهري وأبي اليقظان ومفدي زكريا[1].

تأسست جريدة ((المنتقد)) بقسنطينة عام 1925، لصاحبها الشيخ عبد الحميد ابن باديس وجعل منها منبرا حرا للأصوات الشابة، ((كما تعتبر المنتقد تحولا مهما، في تاريخ الحركة الفكرية

[1] –هذا في بداية الصحوة الفكرية أمّا بعد ذلك فقد ظهرت أسماء لامعة _أخرى _ في الكتابة و التأليف، و في الأدب شعره و نثره ،و في القصة الهادفة بل حتّى في الأنساب ، نذكر على سبيل المثال : الشيخ محمد الصالح رمضان و الأستاذ الأديب موسى الأحمدي نويوات و الأستاذ أحمد رضا حوحو في قصصه الهادفة و الشيخ عبد المجيد حبّة النسّابة و كذلك الشيخ نعيم النعيمي و غيرهم كثير ، انظر سير هؤلاء و غيرهم : فوزي مصمودي ، أعلام من بسكرة ، ج2 ، مطبعة الفجر ،بسكرة–الجزائر ،2010م، و انظر، من أعلام وأدباء منطقة الزيبان ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية ، الملتقى الوطني الثامن (بسكرة عبر التاريخ)، أيام 22 23 24 ديسمبر 2009م.و انظر أيضا سليمة كبير ،من أعلام الجزائر في العصر الحديث (الشيخ الأديب موسى الأحمدي نويوات ، المكتبة الخضراء ط ن ت ، الشراقة –الجزائر . و مريم سيد علي مبارك ، مثقفون خلال الثورة ،دار المعرفة ، الجزائر 2012م.

والأدبية في الجزائر لأنها تختلف كل الاختلاف عن الصحف التي سبقتها، سلاسة الأسلوب ومتانة اللغة، وعمق الأفكار...))[1].

وأنشأت صحف أخرى على نهج المنتقد مثل، "صدى الصحراء" 1925، و "وادي ميزاب" 1926،و"الإصلاح" للشيخ الطيب العقبي عام 1927، و "البرق" لمحمد الزاهري

وازدهرت حركة التعليم، وبدأت اللغة العربية الفصحى في الإنتشار عن طريق الصحف والتعليم والمحاضرات والخطب، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء. يقول الاستاذ أنور الجندي عن ذلك: ((أما بعد ذلك فقد انحدرت الكفة، وغلبت اللغة العربية، وبدأت تسيطر وتستعيد مكانها نتيجة لحركة جمعية العلماء))[2].

غير أن هذه الفترة المبكرة من تاريخ الحركة الثقافية في الجزائر، كانت قد تأثرت بالمشرق بعامة مصر وأدبائها. بخاصة ظهر ذلك في انكباب الأدباء والشعراء على الصحف العربية المشرقية، التي كانت تصلهم مثل الرسالة، المنار، الشورى، الفتح، الزهراء والهلال[3]وقد انعكس من ذلك التأثير في الحركة الشعرية والنثرية هنا في الجزائر الشيء الكثير[4].

عملت بعض الصحف المحلية على ربط الثقافة الجزائرية بغيرها من البلدان الشرقية، حتى لا تنفصم العرى وتتم القطيعة التي قصد إليها الاستعمار. ومع ذلك كله، كانت الصحافة ((قد ظهر اهتمامها بالأدب والشعر خاصة، فأحلّت المشارقة محلا مرموقا، ونظرت إلى إنتاجهم الفكري بنظرة فيها غير قليل من الإعجاب والتقدير.

فقد خصصت قرابة ثلاثين عددا لحفلات تتويج شوقي بالإمارة الشعرية، وأوردت جل ما ألقى في تلك الحفلات التي شارك فيها الوطن العربي، من بحوث وشعر وكان لها اهتمام خاص بالكتاب والشعراء الاسلاميين أمثال مصطفى صادق الرافعي وأحمد محرم))[5].

---

1 محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص54.

2 انور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ،1985 – 1965، ص 166.

3 انظر، الرؤيا، العدد 2، السنة الأولى، صيف، خريف 1982/1402، أحمد جلول البدوي ((الشاعر الكبير محمد العيد كما عرفته))، ص 54.

4 صالح خرفي، المدخل الى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 71.

5 محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 73.

كذلك فعل المثقفون بالفرنسية، اذ أنشأوا صحف[1] خاصة بهم [2]. أما عن التعليم في المدارس الفرنسية، فقد كان مشبوها عند الجزائريين، لأنه يمثل ثقافة الوافد، بالإضافة الى اقتصاره على طبقة معينة محدودة، الطبقة البرجوازية التي يمكنها تسديد المصاريف ودفع التكاليف. لذلك بقي هذا النوع من التعليم محصورا في قطاع ضيق من أبناء البلد[3].

كما كانت المدرسة الفرنسية ((... تعني قبل كل شيء بالغة الفرنسية، وتاريخ فرنسا وجغرافيتهاوتراجم رجالها. أما ما يدرس لهم من التاريخ العربي فلا يعدو أن يكون صورة مزورة تهدف الى تحقير الماضي والحط من قيمة أبطال العرب والاسلام))[4].

لقد اختلفت وجهات النظر لدى قادة الحركة الوطنية، فمنهم من قصد الى الثورة مباشرة، ومنهم من قصد الى تهيئة ظروفها وخلق جيل متعلم مثقف يكون في مستوى الحدث مستوعبا لفكرة الاستقلال. وهو اختيار جمعية العلماء. ((هذا الإختيار الذي انتهجته الجمعية لمكافحة الجهل كانت نقطة خلاف حاد في الحركة الوطنية بين قادة الجمعية وزعماء الأحزاب الوطنية الأخرى، فيما كان يرى ابن باديس وزملاؤه أم التعليم أهم سلاح للوقوف في وجه المستعمر، كان مصالي الحاج وزملاؤه يعتقدون أن النضال السياسي هو أقرب طريق لاسترجاع الوطن من قبضة المغتصب.))[5] كما فعلت جبهة التحرير الوطني فيما بعد.

كما احتدم الصراع في فترة الثلاثينات بين الذين نهلوا من الثقافة العربية المسلمة، وبين تلك الفئة التي تعلمت في المدارس الفرنسية وجامعاتها، وتشبعوا بقيم الحضارة الأوربية ورؤاها. ((وقد

---

[1] مثل جريدة ((التقدم)) لابن التهامي عام 1923، الميدان 1937 قسنطينة وغيرها.

[2] مجلة ((أول نوفمبر)) عدد 53- 1981، ص 25.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 76.

[4] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص 131.

انظر كذلك عبد المجيد عبد السلام المحتسب، طه حسين مفكرا، مكتبة النهضة الاسلامية ،(عمان) ،الطبعة الثانية ،1400/1980، ص85.

[5] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، ص 149-150.

تطور بين الثقافتين بعد ظهور الصحافة والتأليف والخطابة. فبعد أن كان الصراع بين الاستعمار والشعب أصبح بين طبقتين من الشعب، احداهما هذه التي تمثل ثقافة المحتل وتباهي بعلمها الذي تلقته في جامعات الجزائر وفرنسا، والثانية تلك التي تفخر بأنها أحيت لغة الأجداد وبأنها تمثل الثقافة القومية وأنها لا تذوب في غيرها كما ذابت الطائفة الأولى. ولم يعد هذا الصراع مقصورا على الوظيفة والجاه وتأمين العيش بل تعداه الى اهداف وطنية وبعيدة))[1].

والحقيقة أن الاستعمار لم يكن ليفتح أبواب مدارسه لبعض الجزائريين قصد تعليمهم وتثقيفهم كما يزعم، بل ليجعل منهم صنيعة ويدا يوجهها كيفما يشاء ويضرب بها متى أراد.[2]

لقد أثمر التعليم العربي ثمارا كبيرة، كانت آثارها قد ظهرت في الحركة الأدبية عيانا وبخاصة في الشعر والنثر، وفي خلق جيل جديد تصدى فيما بعد لحمل اواء الجهاد والثورة.[3] كما لعبت الصحافة دورا فعالا في الحياة الثقافية والسياسية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. وكان للصحافة مواقفة حاسمة في عشرات من معارك المقاومة والتحرير، على الرغم من كل القيود التي فرضت عليها. حتى يمكن ان يقال: أن الصحافة هي الشطر الأكبر من الحركة الوطنية في العالم العربي كله وفي المغرب. وفي أكبر قضايا المغرب العربي كانت الصحافة ذات دور فعال، وحققت النصر للقوى الشعبية والهزيمة للاحتلال.[4]

اهتمت صحافة جمعية العلماء بالناحية الأدبية ومشاكلها، القدر الذي لا يقل أهمية عن باقي النواحي الأخرى. فخصصت " البصائر" ركنا خاصا للمباحث الأدبية والعلمية، و ((الأدب وفوائده)). وهذا أكبر دليل على تطور الحركة الأدبية وانتعاشها. ومن آثار الحركة الاصلاحية وصحافتها على اللغة الكتابية، أنها ((لعبت دورا كبيرا في احياء اللغة وإعطائها المرونة والحيوية والتخلص من

---

[1] أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث ،دار المعارف، القاهرة، ط2، 1976، ص82.

[2] أنظر، تركي رابح التعليم القومي، ص 177.

[3] محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، شركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981 ، ص 430 .

[4] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص202.

المحسنات البديعية التي تشبث بها كتابنا من قبل. فقد تطور الأسلوب فصار مطبوعا يتناول اللفظ السهل المعبر عن المعنى الصحيح في وضوح وجلاء))[1].

صحب ذلك التطور الثقافي، تطور اجتماعي ، تجسد في سلوك الناس اليومي فاندهش الإستعمار ورأى ((كيف أقفرت عرصات الشيطان، وتحول أهلها الى عبادة الرحمن وكيف أصبح الكهول والشبان والرجال والنسوان، ليس لهم من حديث يهتمون به في كل مجالسهم غير هذه الحياة الجديدة المستجدة، فكانت كلمات: الاصلاح، الطرقية، النادي، الأمة، الحكومة، السنة، البدعة، جمعية العلماء، الوطنية، العلم، الجهل، العربية، الفرنسية، الحقوق، الواجبات، الحزب، الجريدة...الخ))[2].

لقد قدمت الصحف الوطنية للجزائريين الكثير، وعملت من أجل تثقيفهم وتحرير وطنهم والنهوض بهم وردّ غائلة المستعمر عنهم.

ب – النوادي والجمعيات والمنظمات:

يضاف إلى ما سبق، ما أنشئ من نواد وجمعيات أدبية، كان لها دور كبير في بعث الحياة الثقافية، وبعث الحياة في الشعب، وتطور الأدب.

وانتشرت النوادي الوطنية وغيرها على مساحة واسعة من الوطن، وفي جهات مختلفة منه. وأهدت للناس ثمرة يانعة مما كانت تقدمه من محاضرات وارشاد وتوجيهات وتوعية وطنية، مثلما كانت المدارس بالنسبة للصغار، والصحف للمتعلمين القراء من الكبار. يتحدث الدكتور سعد الله قائلا: ((ومن المظاهر الهامّة أيضا انشاء العلماء للنوادي والمراكز الثقافية، ففي سنة 1934 كتبت جريدة (لالوت سوسيال)، الصراع الاجتماعي عدد 1- 15 جوان، تقول إنه لا يوجد مكان في الجزائر لم ينشئ فيه العلماء (منظمة بطريقة أو بأخرى).))[3].

وفي سنة 1930، السنة التي التحق فيها الشيخ الطيب العقبي بالعاصمة بعد أن غادر مدينة بسكرة، وأصبح يؤمّ ((نادي الترقي)) مصلحا ومحاضرا[4].

---

[1] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص432.

[2] الثقافة، عدد 66، ص 45.

[3] ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائري، ص 445.

[4] انظر، تركي رابح، التعليم القومي، ص 231-232. كذلك أحمد توفيق المدني، ،حياة الكفاح، ج2، (الجزائر) 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1398/1978، ص109-116.

لأن ((نادي الترقي في هذه الفترة، بالنسبة للعاصمة، وبالنسبة للوطن كله، هو مربض الأشبال وعرين الأسود وهو المركز الذي تنطلق منه القوافل، وتتحدد فيه المناهج وتتفجر منه العبوات الناسفة للضلالات والكاشفة لمخازي المستكبرين))[1].

لاشك أن تلك الاحتفالات التي كانت تقيمها النوادي[2]، في تلك الظروف العصبية التي مرت بها ا الجزائر، تخفف من حدة التوتر النفسي الناجم عن الضغط الاستعماري، والحصار الذي كان يضربه على الجزائر، قصد عزلها عن بقية الأقطار العربية المسلمة. يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الاحتفال الذي أقيم بنادي الترقي – اكراما – لفضل الشاعرين العظيمين المرحومين شوقي وحافظ. يقول: ((إنّنا باحتفالنا هذا بذكرى شاعري العربية العظيمين شوقي وحافظ، نكرم سبعين مليونا من أبناء العربية الذين يعدون العربية لغتهم القومية. ونكرم خمسمائة مليون من أبناء الاسلام الذين يعدونها لغتهم الدينية. ...))[3].

لم تكن مدينة الجزائر وحدها التي تضمّ النوادي، ذلك أنّه :((... قد سبق (نادي الترقي) في العمل (نادي صالح باي) بقسنطينة الذي كان يؤمّه شيوخ من الجيل الماضي أمثال عبد القادر المجاوى وأبو القاسم الحفناوي. وكان الشيخ المولود بن الموهوب – أحد المؤسّسين له – يلقي فيه أشعاره ومسامراته وبعض المحاضرات في الإصلاح والتصوّف، غير أنّ هذا النادي لم يكن يجاري النهضة الجديدة فتخلف عن القافلة الشعبية))[4].

وفي مدينة البليدة كان (نادي النهضة) 1932، وكذلك (نادي التقدم) 1935م، وفي مدينة سكيكدة (نادي العمل) 1936م، وفي تلمسان (النادي الاسلامي) و(نادي الشبيبة) وفي سطيف (نادي الارشاد) 1932، وقد كان يرأسه السيد فرحات عباس، وفي شرشال (نادي الأخوة) وفي العاصمة (نادي الشبيبة) و (نادي باتنة) و (نادي تبسة) و (نادي قنزات) [5] .

---

1 الثقافة، العدد 66، ص 44-48.

2 – انظر، أبو القاسم سعد الله، دراسات في الادب الجزائري الحديث، ص 120

3 عمار طالبي، ابن باديس، حياته و أثاره، ج3، دار اليقظة العربية للترجمة و التأليف والنشر، ط1، 1968/1477، ص 534.

4 سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 124.

5 المرجع السابق،124-125.

إنّ ارتياد الجمهور نوادي مثل هذه، والتي تضم بين جنباتها أدباء ومفكرين وشعراء بارزين، حدث له دلالته في تطور الذّوق عند الجمهور، وزيادة الوعي وشيوع الثقافة.

لاحظ الإستعمار وعيونه المبثوثة في الأوساط الحال التي أصبحت عليها النوادي الوطنية الإصلاحية، فشعر بخطورة النتيجة التي ستترتب عن ذلك. فبادر هو أيضا إلى إنشاء نواد مضادة ((يشرف عليها ويديرها الاحتلال، إما مباشرة، وإما بواسطة أتباعه ومؤيديه من الجزائريين أنفسهم))[1].

تعمل بدورها لصالح الإستعمار، كرد فعل معاكس وأثر مناوئ لذلك الأثر الذي بدأت تخلفه النوادي الوطنية، رغم كل المضايقات التي كان يفرضها الاستعمار، تعسفا منه لما رأى تردد الشباب على نوادي الاصلاح والوطنية. يقول الاستاذ عبد الكريم بوصفصاف عن هذه النوادي ((...لعبت دورا هاما في تغذية الشباب وتوجيهه توجيها عربيا إسلاميا، فكان الشباب يجد في هذه النوادي أشكال الثقافة الدينيّة والاجتماعية والرياضية عن طريق المحاضرات والدروس وما يعقد فيها من ندوات واجتماعات ومؤتمرات))[2].

نخلص من هذه كله، أن دور النوادي كان كبيرا وفعالا، بالنسبة لتطوير الحركة الادبية والثقافية، لا يقل دورا عن ذلك الذي قدمته المدرسة والمسجد والصحافة للمجتمع الجزائري فتغير وغير.[3]

((ففي هذه النوادي والمؤسسات كانت تناقش السياسة، ويلقي الشعر، ويسمر الأدباء، وتمثل المسرحيات ويحيا الأدب الشعبي كما تقدم المنابر للخطابة وتلقى الأناشيد الحماسية، وقد شارك محمد العيد في افتتاح كثير من النوادي وأشاد بها في شعره وقارنها بالمدارس والمصانع)).[4]

كما اشترك في وضع الأناشيد الكشفية والمدرسية، واختلط بأبناء هذه المؤسسات الشعبية التي كانت تغذي الحركة الوطنية وتساعد على انطلاقتها الكبيرة[5].

---

[1] المرجع السابق، ، ص122.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، ص 163

[3] تركي رابح، التعليم القومي، ص 223-224.

[4] محمد العيد، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – ص 92، 94، 125.

[5] أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 83.

أما عن الجمعيات الأدبية الثقافية ((ففي سنة 1936 تألفت جمعية (إخوان الأدب) في وهران برئاسة الشاعر محمد سعيد الزاهري، وفي نفس السنة تأسّست في سطيف (جمعية السعادة) لإحياء فن التمثيل العربي، وفي مدينة قسنطينة تأسست (جمعية محبي الفن) و كاتبها العام الفنان محمد النجار. وقد وضعت هذه الجمعية جوائز مختلفة لمن يسهم بأحسن رواية عربية للتمثيل. وفي نفس المدينة تأسّست (جمعية المزهر) وكان مديرها الأديب أحمد رضا حوحو...))[1].

يضاف إلى ما سبق تلك المنظّمات التي كانت تعمل على تطوير اللّغة ونشر الثقافة وإشاعة الحماسة عن طريق الأناشيد الوطنية الحماسية.

وأبرز هذه المنظمات ((منظمة طلبة شمال افريقيا ((المسلمين))، التي عقدت مؤتمرها الثاني بالجزائر العاصمة (25-29) أوت 1932م ((بنادي الترقي)). وقد كان هذا حدثا تاريخيا بالنسبة للجزائريين. وأكرم سكان العاصمة المؤتمرين بما يستحقونه. ((فقد أقام لهم نادي الترقي حفلة سمر ألقيت فيها المحاضرات، وجمعت التبرعات، وأثناءها ألقى شاعر محمد العيد، قصيدة مؤثرة، وساهم فيه الشاعر مفدي زكريا بعدة قصائد، وخطب في المؤتمرين الشيخ الطيب العقبي مرتين على الأقل ووجّههم باعتبارهم جيل المستقبل. ولعب الأستاذ توفيق المدني دورا بارزا باقتراحاته إلى اللّجان ولاسيما فيما يتعلق باللّغة العربية، وخطب أيضا في المؤتمرين. وعندما مرّ المؤتمرون بقسنطينة خطب فيهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس وودّعهم حتى محطة القطار)) [2].

طرق المؤتمرون قضايا عديدة مهمة ومصيرية تهم الشباب كما تهمّ الحياة الطلاّبية كتعليم اللغة العربية والتاريخ والتّربية وفتح الأبواب أمام المتخرّجين من الجامعات... الخ

((وعقب انعقاد المؤتمر الاسلامي سنة 1936 بالإضافة الى منظمة الطلبة (شبيبة المؤتمر الاسلامي الجزائري) وعلى رأسها السيد الامين العمودي (وهو من العلماء). وخلال عدة أسابيع كانت هذه المنظمة تضم حوالي عشرين شعبة وأربعة الف عضو وكانت تقوم بنشاط عام، بما في ذلك دروس في العربية والفرنسية يقوم بها الاعضاء انفسهم. وكانت قريبة من العلماء وأصبحت محل تأثيرهم في المستقبل...)) [3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات، ص 127-128.

[2] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3 ، ص 116.

[3] نفس المرجع السابق، ص 114.

أما منظمة الكشافة الإسلامية فقد اثرت في الوسط الثقافي وأثرت بما كانت تعيشه من الاناشيد الوطنية تمجد العروبة والإسلام، وتدعو الى الحرية والاستقلال. واشتهرت الكشافة الاسلامية في ربوع الوطن وأثرت على نفوس الجماهير بحماستها واناشيدها.[1] وكانت لها مجلة خاصة بها تحت اسم الحياة.[2] وقد ((... استطاعت ان تساهم بصورة واضحةفي انعاش الثقافة العربية بالجزائر على ذلك العهد، وأن اتجاه هذه المجلة كان تربويا اخلاقيا دينيا وأدبيا معا)) [3]

ج- الحياة الثقافية:

بانتشار التعليم والصحافة واتساع عدد الجمعيات والنوادي ونشاط المنظمات الوطنية واعتنائها بالثقافة الادبية وعملها على احياء التراث واللغة[4]، نلحظ تطوّرا في مجال الشعر[5] والمقالة الصّحفية[6]والقصصيّة[7]، وبدأت محاولات في القضيّة العربية[8] تطالع القرّاء في الصحف. وبعض المقالات في النقد التي كان يكتبها أحمد بن ذياب وحمزة بوكوشة وأحمد رضا حوحو.

((فالمرحلة حافلة بالأحداث ومن ثم بالأفكار الجديدة التي كان لها تأثير في الأدب فصرنا نجد الحركة الأدبية تتنفس شيئا فشيئا حتى استقلت على اقدامها وهي أقوى ما تكون في آخر النصف الأول من القرن العشرين الميلادي))[9].

---

[1] من المشتهرين بكتابة الأناشيد، محمد الصالح رمضان، مفدي زكريا، محمد العيد وأحمد سحنون.

[2] محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 135 (الهامش1).

[3] الثقافة، العدد 44، السنة 8، ربيع الثاني/ جمادى الأولى 1398 ابريل/ مايو 1978.
عبد المالك مرتاض ((حول تاريخ الصحافة العربية في الجزائر))، ص 38.

[4] سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 127.

[5] صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 25. وانظر ، صاح الخرفي، الأعمال الشعرية،طبعة وزارة المجاهدين المؤسسة الوطنية للإعلام و النشر و الإتصال ، الرويبة الجزائر ، 2005 م .

[6] محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 ال 1931، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978/1398، ص 111 ومابعدها.

[7] عبد الله خليفة ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا_تونس، الطبعة 3، 1977/1397، ص 55 ومابعدها.

[8] عائدة أديب بامية،تطور الأدب القصصي الجزائري(1925/ 1967)، ترجمة : محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 301 ومابعدها.

[9] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 36.

كما ظهرت بعض الأنواع الأدبية والثقافية، ولكنها محدودة المدى، وضيقة النطاق إذا ماقيست بالشعر مثلا مثل المسرح[1] والرواية والموسيقى. يقول الدكتور سعد الله : ((وأدى التطوّر في الثقافة إلى ظهور المسرح العربي ومن ثمّة ظهور المسرحية باللغة العربيّة أو باللهجة المحليّة. وقد نشط القائمون على المسرح فأخرجوا عدّة مسرحيات عالميّة مترجمة ووضعوا مسرحيات اجتماعية فكاهية.

ومن المسرحيات التاريخية التي قدمها المسرح العربي في الجزائر رواية ((بلال)) الشعرية لمحمد العيد، ومسرحية (حنبعل) لأحمد توفيق المدني وغيرها من المسرحيات الاجتماعية والوطنية))[2].

لم تكن هذه المسرحيات على المستوى الفني والتقني الذي هو عليه المسرح أيامنا هذه، زيادة على أن هذه الظاهرة لم تنتشر في غير المدن الكبرى، كما أنها لم تكن دائمة مستمرة، بل هي قد تظهر لمدة ثم تغيب.

ولم يهتم المسرح بالسياسة[3] بشكل واضح علني، وانما كان فكاهيا يرمز ويشير من بعيد بين الحين والآخر. ويمكن أن نعلق على ذلك بقولها: أنه لم يكن اختيار المواضيع الدينية أو التاريخية أو الشعبية الاجتماعية الساخرة اعتباطا وانما كان هادفا موجها. فالموضوعات الدينية تهدف الى ايقاظ الروح الاسلامية وإشعال أوارها في النفوس، والمواضيع التاريخية رجوع بذاكرة الشعب الى أيامه الماضية التليدة، حتى تنهض همته وتصحو فيه النخوة والعزيمة لاسترجاع ماسلبه منه الاستعمار.

وأما الموضوعات الشعبية الساخرة، فاذا كان ظاهرها الضحك والتهريج، فان القصد منها التنبيه الى العيوب التي تفشت من جراء الاستعمار وويلاته التي شوهت وجه المجتمع وكدرت صفو الحياة.[4]

---

[1] الثقافة السنة15، العدد 90، صفر/ ربيع الأول 1406 نوفمبر/ ديسمبر 1985م، محمد الطاهر فضلاء ((المسرح تاريخا ونضالا))، ص 259 ومابعدها.

[2] سعد الله، محمد العيد آل خليفة، ص 82. كذلك، الثقافة، العدد 55، السنة 10ن صفر ربيع الاول 1400 يناير فبراير 1980م، بقلم: سعد الدين بن أبي الشنب، ترجمة: عائشة خمار، ((المسرح العربي لمدينة الجزائر))، ص 28 ومابعدها.

[3] مجلة ((أوّل نوفمبر)) عدد 53-1981، ص25.

[4] انظر، عبد المالك مرتاض، فنون النّثر الأدبي في الجزائر، ص205. كذلك عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدّار العربية للكتب ،ليبيا/تونس، 1398-1978، ص 214-238.

وبعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945) ازدهرت القصة العربية[1]، وظهرت القصة الفرنسية بشكل واضح سنوات الخمسينات[2] ولم يقتصر المثقفون بالفرنسية على كتابة النثر فقط – القصة والرواية – بل ((...قد عبر بعض الكتاب بالفرنسية بأداة الشعر أيضا واتخذوا في شعرهم الرمز أكثر من الحقيقة، وبعض هؤلاء، "كتّابا وشعراء "، كانوا قد تخرّجوا ممّا عرف باسم (مدرسة الجزائر) الأدبية التي كان يرأسها ألبير كامو ورويلس))[3].

ومهما يكن من أمر فان أعمال هؤلاء الأدباء قد عادت على القضية الجزائرية، بالايجابية فهي على الأقل، كشفت للعالم ما كان يعانيه الجزائريون من بؤس وفقر وتجهيل مفروض عليهم من دولة المدينة ((فرنسا الأم))[4]. وكسبت القضية الوطنية كتابا فرنسيين تعاطفوا معها.

والملاحظة التي خرج نخرج بها من هذا الفصل هي أن الأدب الجزائري والشعر منه خاصة قد تطور في ظل تلك الظروف بسبب انتشار التعليم وارتفاع درجة القراء بالعربية للصحف التي ظهرت في هذه الفترة، وقام بدور فعال في النوادي والجمعيات بما كان يشيعه من حماس وتحريض وحث وحفز للهمم. حيث كثرت الاناشيد التي روجت لها المنظمات فسارع الشعراء في التنافس في كتابتها. فكثر رصيد الشعر في هذه الفترة عن غيره من الأنواع وذلك لما للشعر من استجابة سريعة وتفاعل مع الأحداث.

يقول المرحوم د/ حنفي داوود: ((والشعر أصدق فنون الأدب تأثرا بالأحداث ومايطرأ فيها من تقلبات وهو قبل غيره أشد تقبلا للانطباعات الجديدة التي تظهر في معالم السياسة والمجتمع والفكر، وعصور الثورات والانفعالات أشد تأثيرا في حياة الشعر من عصور الدعة والركود))[5]

---

[1] انظر، عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 301 ومابعدها.
كذلك، عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 142-192.

[2] مجلة أول نوفمبر، عدد 1981/53، ص 25.

[3] المرجع السابق، ص نفسها.

[4] انظر، أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة، ص 229.وانظر، نور سلمان ،الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين بيروت، ط1، يناير 1981، ص 15-16.

[5] حامد حنفي داوود، تاريخ الأدب(معالمه الكبرى، مدارسه)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 30.

-المبحث الرابع: الحالة الإقتصادية .

:

أ- الفلاحة و الثّروة الحيوانية.

ب-التجارة .

ج -الصادرات و الواردات.

_ الحالة الإقتصادية :

– لقد شاءت الأقدار أن تصير الجزائر دولة مهانة بعدما كانت عزيزة مكرّمة ، لأنّ تاريخ الجزائر يشهد أنّ أعدى أعدائها و هي فرنسا الغاشمة كانت و قبل إحتلالها للجزائر من أكثر الدّول إستفادة من الجزائر نفسها ، يقول دوغرامون : ((و ذلك أنّ العلاقات بين الدولتين الجزائرية و الفرنسية كانت وثيقة .و هكذا كانت الجزائر منذ نشأتها و_ نحن نقول : انبعاثها في بداية القرن السادس عشر_ سندا قويا لملوكنا في الحروب التي عانوها من عدوّهم القوي (شارلكان) ، ثمّ توثقت العلاقات أكثر بين الدولتين ، و استقبلت فرنسا خير الدّين (رئيس دولة الجزائريين) في مرسيليا بحفاوة بالغة ، و أغدقت عليه الهدايا)) [1] .

و لقد صدق مفدي زكريا حين قال :

و جاعت فرنسا فكنّا كراما و كنّا الألى يطعمون الطعاما

فأبطرهم قمحنا الذهبيّ و كم تبطر الصدقات اللئاما[2]

أ_الفلاحة و الثّروة الحيوانية :

1– الفلاحة : لقد فرضت السلطة الإستعمارية أفكاها الإقتصادية و نصوصها التشريعية على المجتمع الجزائري ، حيث طرحت مبدأين غريبين تماما على هذا المجتمع هما: حرّية التصرف في الأرض وحرّية المعاملات ، و لكن حرّية التّصرف و المعاملات بالنسبة للمعمرين و الإستعمار ، أما بالنّسبة للجزائريين ،فقد كان النّهب و المصادرة و الاستيلاء على الأرض و الممتلكات ، هذا النّظام الفلاحي و الإقتصادي بصورة عامة الذّي نقلته فرنسا إلى الجزائر قد أحدث تغييرا في كل شيء "حتّى في نمط التفكير "، و كذا في "الإمكانية التقنية للتكيّف الأهلي " ، و لكن هل يمكن الكلام عن تغيير حقيقي في الفلاحة الجزائرية تحت الوصاية الإستعمارية ؟؟. [3]

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2 ، دار البعث ط ن ، قسنطينة – الجزائر ، ط1 ،1405 هـ / 1985م .

[2] و الإلياذة بكاملها تراجع في الجزء الأوّل من كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامي ، نشر وزارة التعليم الأصلي الشؤون الدينية ، و طبع مطبعة البعث ، قسنطينة، 1972م .

[3] صالح فركوس ، تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية ماقبل الإستقلال ، (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنّشر و التوزيع ، عنابة _الجزائر ، 2005م ، ص 342.

2- **الثروة الحيوانية** : كان اهتمام سلطات الإحتلال بالثروة الحيوانية إهتماما كبيرا و كان سعيهم لتسخير تلك الثروة الهامّة لمصالح الإستعمار سعيا حثيثا فهل يمكن لنا الكشف -من خلال بعض التقارير- إلى أي حدّ كان هذا الاهتمام لخدمة مصالح الإستعمار؟ و إذا كانت تجارة الحبوب أقلّ فائدة بالنّسبة للأهالي ، إلا أنّها _مثلا_في قيادة المقراني بمدجانة قد حققت بعض النتائج في الحرث و الزرع بشكل لم يشهد له نظير حيث تم إصلاح الأراضي و تركت قطعة أرضية للمرعى "هذا الأمر كان قد أثار قلق المكاتب العربية التي كانت تخشى أن ترى تربية المواشي تتراجع ، فمثلا مكتب برج بو عريريج قد خصّص مساحات كبيرة للمرعى "هذا و قد لفتت مؤسسة المكاتب العربية سلطاتها العليا حول الخطر الذي كان يهدّد الثروة الحيوانية نتيجة ظاهرة الجفاف و الأوبئة ، حيث دعت إلى بذل الجهد من أجل المحافظة على تلك الثروة ذلك بتزويد الأهالي ب:"العلف و الإصطبلات" لحمايتها من الجوع و البرد قصد الإستفادة منها لصالح الإستعمار[1]

ب- التجارة :

-مراقبة الأسواق: كانت سياسة الإستعمار تستهدف مراقبة ما يتمّ في الأسواق الأهلية من مبادلات تجارية قصد المحافظة على أمن و إستقرار المصالح الإستعمارية. و كذا العمل على ضرب حصار اقتصادي على القبائل الثائرة على العدو . و كان القياد تحت وصاية المكاتب مكلفين كذلك بمهمة حراسة الأسواق في قيادتهم و هناك بعض الأسواق ، من مثل سوق مدينة سطيف كانت حراسته تتم من طرف الصبايحية التابعة للمكتب العربي ، في حين أقيمت مراكز مراقبة ، من مثل ، مركز ذراع البيض بنفس الدائرة (سطيف) "لمنع الجماهير من تساند مولاي أومحمد دخول أسواق السبت و الأربعاء" ذلك أنّ القبائل الرافضة للخضوع إلى المستعمر كانت محاصرة اقتصاديا و اجتماعيا .. و هذا الدور الحصاري ، إنّما كان من جملة وظائف المكاتب الإستعمارية .بعض الأسواق الأخرى،خاصة منها النّائية عن مراكز المكاتب العربية لم تكن تخضع لتلك المراقبة ،من مثل أسواق منطقة القبائل أو التي ظلّت تقاوم الإحتلال[2].

-أما بالنّسبة للأسواق الخاضعة لمراقبة القياد ، فكانت معفاة من الرسوم و استخلاص "حقوق" البيع من كميات الحبوب الواردة . كما كانت تلك الأسواق أيضا تشكل اماكن مناسبة للمواعيد الضرورية بين عناصر الأهالي ، حيث ينظر في القياد الشكاوة العارضة ، و الجدير بالملاحظة أنّ وظيفة الحراسة

[1] المرجع نفسه،ص 348-349.

[2] المرجع نفسه ،ص351.

و المراقبة لتلك الأسواق ، إنّما كانت تستهدف بالدّرجة الأولى ، البحث و ا و الإستخبار و جمع المعلومات[1].

ج_الصادرات و الواردات:

لقد كان ضباط الإحتلال يعقلون آمالا كبيرة على أهمية التجارة الخارجية ، خاصة منها تصدير الحبوب و المواد الأخرى الأولية كالصوف ، حيث عبّر أحدهم عن شعوره تجاه هذا الموضع ، و هو النّقيب "دنفو" في رسالة له بعث بها إلى "إربان" حول تجارة مادة الصوف التي كانت تنتج بكثرة، إذا استقطبت من كلّ الجهات أعدادا هائلة من المتعاطين لتجارتها .

كانت الصادرات تتركّز على الحبوب ، العلف ، الأنعام ، الصوف ، الزيوت المرجان ، و هكذا وجد الفلاح الجزائري نفسه وسط مضاربات و تناقضات اقتصادية استعمارية ، ذلك أنّ الإستعمار قذ أدخل البلاد و سكانها في دائرة التجارة الفرنسية الجهنّمية ، فظاهرة الربا قد سيطرت و بلغت أقصاها من حيث الإستغلال البشع لثروات و قدرات القبائل ، بل إن ضباط المكاتب العربية قد صرخوا ضدّ مساوئ هذه الظاهرة الخطيرة التّي باتت تهدد المجتمع الجزائري عامة :" ذلك أنّ الإقتراض كان يتم التعهّد به بأي سعر من أسعار الربح من أجل تلبية حاجة إضطرارية ....كدفع الضريبة أو من أجل شراء القوت اليومي . [2]

[1] صالح فركوس ،المرجع السابق ، ص351-352.

[2] المرجع نفسه ، ص365_ 366.

الفصل الثاني: حياته وجهوده الإصلاحية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المبحث الأول : مولده و نشأته.

_المبحث الثاني:مراحل تكوينه العلمي(تعلّمه).

– المبحث الثالث: الورتلاني في رحاب الحركة الإصلاحية (الورتلاني مصلحا وطنيا).

–المبحث الرابع: الورتلاني في رحاب حركة الإصلاح بالعالم (الورتلاني مصلحا عالميا).

–المبحث الخامس :مواقف الورتلاني من القضايا الجوهرية للأمّة.

–المبحث السادس : مآثر و آثار.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المبحث الأوّل : مولده و نشأته.

_ تمهيد :

_المطلب الأوّل:أصوله الأسرية .

_المطلب الثاني:مولده و نشأته .

_المطلب الثالث:بيئته .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

قبل الحديث في بعض جوانب العظمة لشخصية الأستاذ الورتلاني و إبراز جوانب العبقرية لديه , و ما أكثرها في أمثاله , ينبغي أن نتساءل سويّا , من هو هذا الذي قال فيه رائد النهضة أستاذه عبد الحميد بن باديس : " لمثل هذه المواقف أحسيك الحسا "[1] ، أو مقولة العالم الجزائري الداعية الشيخ الطيب العقبي بعد استماعه إلى خطاب رائع في اجتماع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي سنة 1935 "ليس من عادتي تقبيل الرؤوس و لكن سأقبل جبهة الفضيل أمامكم إعجابا بما سمعت , و اعترافا بما وهب الله له من فصاحة اللسان و قوة البيان "[2].

((فإذا كان من تعاليمنا المقدّسة أنّ"من لا يشكر النّاس لا يشكر الله " [3] فإنّ ذكرنا لأفذاذ رجالنا و عباقرتهم بين الحين و الآخر باللسان و القلم حتّى يطمئنّ الأحياء منهم إلى أنّ شعوبهم التّي وهبوا لها حياتهم لم تنسهم ، كي تعيش ذكرياتهم معنا نستمدّ منها الهدى و نستلهمها روح النضال كأنّما هي أولئك الأعزّة الذّين كانوا يعيشون بيننا بأشخاصهم ، إنّ هذا الذّكر من واجب الواجبات على ذوي الدعوات و أرباب الرّسالات العظمى التي من شأنها أن تبعث الإنسانية بعثا جديدا ، و تنشئ منها أجيالا نشأة كريمة قويّة ، تؤمن بالتطور الزمني أعمق الإيمان ، في الوقت الذي تخلص للمثل العليا إخلاصا يضمن وصول الإنسان إلى ما أراده الله له من سموّ و عزّة و كمال)).[4]

ولعلّ من أصدق الأقوال المأثورة للأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قوله:**"الطينة الجزائرية طينة علم و ذكاء إذا واتتها الظّروف "**[5].

---

[1] **محمد العيد تاورته و مسعود حسنين الورتلاني** ، الفضيل حسنين الورتلاني 1900/1959م (العالم المجاهد الجزائري و الداعية الإسلامي الكبير) ، دار ألكسندر للطباعة و النّشر و التوزيع ، قسنطينة –الجزائر ، 2011م ،ص36.

[2] المرجع نفسه ، ص36

[3] رواه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة برقم (4811) وصحّحه الألباني في الصّحيحة (416) .

[4] جريدة البصائر(الجديدة) ، الإثنين من 8 إلى 14 جمادى الأولى 1435هـ/من 10 إلى 16 مارس 2014م، العدد695، مقال لمحمد الأكحل شرفاء، (رجل النضال الإسلامي الصامد الأستاذ الفضيل الورتلاني) ، ص12.

[5] **انظر**، عبد الحميد بن باديس ، رجال السلف و نساؤه ، جمع و تصنيف محمد الصالح رمضان و توفيق محمد شاهين ، مكتبة الشركة الجزائرية ، ص7 ، وانظر أبو عبد الرحمان محمود ،(جمع و ترتيب وتعليق)، آثار الشيخ مبارك الميلي ، م1، دار الرشيد ،ط1 ، 1433هـ/ 2012 ، ص5._"**قلت**" : والأستاذ الورتلاني من أولئك القلّة القليلة الذّين واتتهم الظروف في اللّقاء بمثل هذا العلم_ ألا وهو الأستاذ ابن باديس_ فدرس عنده و صاحبه في حلّه و ترحاله ، و نشّط معه بعد ذلك الإجتماعات و الدورات العلمية إلى أن صار مصلحا ،وواحدا من رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية.

-المطلب الأوّل : أصوله الأسريّة

الأستاذ الفضيل حسنين الورتلاني ، هو ابن محمد السّعيد بن فضيل و أمّه هي السيّدة علجية شويدر و كلاهما من بني ورتلان ، يرتفع نسبه الى أحد أجداده المشهورين بالعلم و هو الشيخ الحسين الورتلاني [1] – هذا الأخير– هو صاحب كتاب "تحفة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار " والمشهور بالرحلة الورتلانية من علماء القرن الثامن عشر ميلادي , كتبها في رحلته الثالثة إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحج في سنة 1169-1171 هـ و سجّل مشاهداته و إنطباعاته أثناء هذه الرحلة ،بدأ ببعض المناطق الجزائرية ومنها إلى تونس ، و ليبيا و مصر و أرض الحجاز تحدث عن العلماء و أولياء الله الصالحين و عن الطبيعة و الحياة الإجتماعية لهذه البلدان في عصره ،كما توقّف طويلا بالحديث عن التصوّف و علوم اللّغة و الفقه و الشعر والقصائد التي فيها مدح النبي صلى الله عليه و سلم .

ويرتفع نسبه بعد جده الثاني هذا _الشيخ الحسين صاحب كتاب الرحلة _ إلى جدّه الأعلى الثامن [2] الشيخ أحمد الشّريف الورتلاني الحسني [3] من علماء القرن العاشر الهجري وهو صاحب زاوية كانت عامرة بالطلبة بين قريتي بني حافظ و بني عشاش ،دائرة بني ورتلان كما سجّلها الشيخ الحسين في رحلته قائلا : (ينتهي نسبه إلى شرفاء ثافلالة سجلماسة ، أي أحد فروع دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى) [4].

---

[1] انظر محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية ،ج1، دار الفكر للطباعة و النّشر و التوزيع ، بدون طبعة ولا تاريخ ، ص357.و انظر أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني ، موفم للنّشر ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية –الجزائر ،1991 م ، ص 397.

[2] محمد العيد تاورته و مسعود حسنين الورتلاني ، الفضيل حسنين الورتلاني ، ص 36 _37.

[3] انظر ترجمته في: أبو القاسم محمد الحفناوي ،تعريف الخلف برجال السلف ،ص308 .

[4] محمد العيد تاورته و مسعود حسنين الورتلاني ، نفس المرجع السابق ، ص 37.

وعليه فالفضيل الورتلاني بهذه المعطيات والتفاصيل المختصرة عن أصوله الأسريّة هو _أي الورتلاني_ لم يكن طفرة غير عادية في المجال العلمي و الثقافي ، و الجهاد في سبيل الله و الوطن و الأمّة ، و إنّما كان سليل أسرة شريفة أصيلة في كلّ تلك العناصر من العلم و الثّقافة ، و في إنتمائه لفئة من الوطن الجزائري _ إنها بيئة بني ورتلان_ الممتدّة في أصالتها البشرية و العلمية و الجغرافية ما بين مناطق بجاية و سطيف في الشرق الجزائري ، و العريقة في تمسّكها بالجوانب الثقافية الجزائرية ، و العلمية و الحضارية الإسلامية الأصيلة [1].

-المطلب الثاني: مولده و نشأته

[1] المرجع نفسه ، ص44.

ولد الأستاذ الفضيل الورتلاني في يوم السادس فيفري من عام 1900م [1]، وذلك على أرجح الأقوال ، و قيل ولد سنة 1906م [2]، و قيل أيضا سنة1908م [3].

وكانت ولادته بقرية "آنو" التي تنتمي إلى بني ورتلان [4]، المنطقة الجميلة ذات المناظر الخلابة الساحرة ، و منطقة((بني ورتلان)) ترتبط إداريا بولاية سطيف شرق عاصمة الجزائر و هي جزء مما يسمى بالقبائل الصغرى .

وفي هذه المنطقة نشأ الأستاذ و ترعرع و حفظ القرآن الكريم و زاول دراسته الإبتدائية و تلقّى مبادئ العلوم على مشايخ القرية ، نذكر منهم على سبيل المثال العلامة الفقيه الشيخ (السعيد البهلولي)-كما سيأتي في المبحث اللاحق —و إلى جانب تعلّمه هذا استفاد الورتلاني من جوّ عائلته التي شرب من منابعها حلاوة الدين و لطافة الأخلاق ، و سعة الإيمان و عمق القيم و المثل العليا .[5]

و لما بلغ الثامنة عشر عاما أجبر على الخدمة العسكرية كما يجبر أمثاله ممن يتمتع بصحة جيدة , و خلال هذه الفترة أدرك الفرق الشاسع بين حقيقة الإستعمار الفرنسي , و بين شعار فرنسا " الحرية , المساواة , الأخوة " _الذي ينطبق على أبناء الجزائر و المستعمرات الفرنسية في إفريقيا _، و ذاق ألوانا من التفرقة العنصرية , أدرك بعدها حقيقة السياسة الاستعمارية , و اهتدى بعد ذلك إلى التوجه إلى قسنطينة لمواصلة التعليم على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر.[6]

_ المطلب الثالث : بيئته .

((لعلّ أول ما يلاحظ في حياة الأستاذ الفضيل الورتلاني أنه ولد في (بني ورتلان)، بالقبائل الصغرى ، على جبل شامخ من جبال هذه المنطقة الجميلة ، التي توافرت في موقعها و طبيعتها مظاهر

---

[1] كما هو مدوّن في شهادة ميلاده ، وهو ما يؤكده نجله حسنين الورتلاني في كتابه .

[2] يحي بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة الجزء الأول ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، 1995م، ص176-208.

[3] محمد العيد تاورته،مسعود حسنين الورتلاني،مرجع سابق،ص266 (هامش).

[4] و بني ورتلان (الجمعة) تبعد عن قريته آنو أقلّ من كيلو مترين ،و الجمعة هذه_إسم لقريته _ في السوق الأسبوعي الرابط بين أعراش المنطقة حيث كان يجتمع عليه النّاس ليستفيدوا من علمه و أفكاره النيرة و معارفه الواسعة ، انظر : محمد الحسن الفضلاء أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، دار هومه ،الجزائر، ط1، 1999/2000،ص203_225.

[5] الفضيل الورتلاني ، (سلسلة أعلام الجزائر)منشورات القصبة ، حيدرة —الجزائر ، ص4 .

[6] محمد العيد تاورتة ،مسعود حسنين الورتلاني ، المرجع السابق ، ص37.

الحسن و الروعة و الجلال . و إذا كانت البيئة تؤثر في تكوين الأجسام ، و صبغ الألوان ، و توفير الصحة و غرس الطباع و هو المقرّر المشاهد فإنّها تؤثر أيضا في العقيدة إيجابا و سلبا ، و معنى هذا بإيجاز أنّ أهل البيئة البدوية أقرب إلى الإيمان من أهل البيئة الحضرية ، فسكان البادية لا تتفتّح أعينهم صباح مساء إلا على الآيات الكونية الناطقة بالقدرة الإلهية ، الموحية للعقل و المفجرة للشعور و الإحساس ، من جبال شامخة و أنهار جارية ، و ينابيع متدفقة و شمس ساطعة ، و قمر منير))[1].

((كل هذا يبعث على التأمل و التفكر و ينزع بالقلب إلى الإيمان بالله تعالى ، أما أهل العواصم و المدن فهم بمعزل _تقريبا _ من هذه الآيات ، و من هنا فهم في غفلة من التفكير فيها ، و الإستدلال بها ، و كل ما يحيط بهم صنعه الإنسان بيده فلا يستشعرون في رؤيته عظمة الخالق سبحانه و تعالى كما يستشعرها أهل البادية ليل نهار))[2].

و قد يقول قائل ،أليست شمس البوادي والقرى هي شمس العواصم والمدن ؟ أجل أن الأمر كذلك ولكن شتّان بين ضوضاء العواصم ، وصخبها ومبانيها الشامخة،وشوارعها المزدحمة ،وبين هدوء البادية و سكونها الذي يبعث على التأمّل والتفكّر.ففي هذه البيئة ،الجبلية ،وهذه المنطقة الطبيعية الجميلة الناطقة بعظمة الكون وعجائبه ولد العلاّمة الفضيل الورتلاني .

-المبحث الثاني : مراحل تكوينه العلمي (تعلّمه).

---

[1] الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة – الجزائر ، ص 9 .

[2] المرجع نفسه ، ص10. **قلت**: ((رغم عناية كثير من المترجمين الجزائريين وغيرهم بوضع ترجمة للورتلاني إلا أن الملاحظ في تراجمهم هو غلبة طابع السطحية عليها وعدم إعطاء المعلومات الدقيقة الخاصة بتفاصيل حياته)).- ولتوضيح الملاحظة السابقة أضرب على ذلك مثالا _وبالمثال يتّضح المقال-: ففي تراجم الأستاذ محمد علي دبوز -في كثير من التراجم - يضع عنوان مثل : (الفلاحة وأثرها الحسن في العربي التبسي) ،(الفلاحة الصعبة و أثرها في بناء الشخصية العظيمة) في ترجمة إبراهيم بيوض ،(الفلاحة سبب الأخلاق العظيمة)....الخ، فالفلاحة_ مثلا_ هي جزئيّة تتعلّق بالحياة الشخصية لشخص ما وقس على ذلك .انظر:محمد علي دبوز ،أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340 هـ _ 1921إلى عام 1395 هـ_ 1975 م،منشورات السهل ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الرغاية_ الجزائر،2009 م،ص، 45 ، 83 ، 91. .

-المطلب الأوّل :مرحلة التعليم الأوّلي(في بني ورتلان).

-المطلب الثاني :مرحلة التعليم الباديسي(في قسنطينة).

-المطلب الثالث :مرحلة التعليم الزيتوني(في الزيتونة ،بتونس).

-المطلب الرابع :مرحلة التعليم الأزهري(في الأزهر، بمصر).

-المطلب الأول : مرحلة التعليم الأوّلي (في بني ورتلان).

بعدما استفاد الأستاذ الورتلاني من جوّ عائلته _و الذي ساهم في تكوين ملكته العلمية_ ،انتقل بعد ذلك إلى مساجد و زوايا قريته ليبدأ بعد ذلك في تكوين نفسه و تأهيلها لمرحلة لاحقة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لهذه المرحلة حيث انتقل للدّراسة عند الشيخ محمد السّعيد البهلولي الورتلاني والذي أعلم من في تلك المنطقة ذلك الوقت وللتّعريف به أكثر نضع له هذه الترجمة الموجزة:

-تعريف بالشيخ البهلولي :

هو الفقيه المصلح الشيخ محمد السّعيد البهلولي (أبهلول الورتلاني)، رفض الوظيف و زهد في بيته ومسجده و رابط في التعليم الدّيني مدرّسا و مفتيا و قاضيا شعبيا زهاء (65عاما)من عمره المديد[1] .

كان الشيخ البهلولي يدرّس في مسجد الشيخ الرّحالة الشريف الحسني الورتلاني في قرية آنو ببني ورتلان و هو مسجد له صيت في ذلك العهد لما كان له من شأن في تدريس العلوم الشرعية و اللغوية على مرّ السنين [2].

والشّيخ له رسائل و فتاوى طال الزمان وهي في حيّز النسيان، إلى أن يسّر الله جمعها ، فجمعها الأستاذ "محمد الطاّهر فضلاء" [3].

كما أن الشّيخ أثنى عليه كلّ من الإمام ابن باديس و الشيخ الإبراهيمي حيث له رسالة أرسلها إليه بمناسبة تأليفه إحدى رسائله جاء في مطلعها: (الحمد لله ، جانب العلامة الأديب أخينا سيدي محمد السعيد البهلولي أطال الله بقاءه و رزقنا لقاءه ، بعد السّلام و التّحية وفاءا للثناء الذي أنتم أهله ، و كفاءا للفضل الذي أنتم قرارته و محله ،نقدم لكم تهانينا القلبية بهذا العيد ، راجين أن يكون طليعة خير و فال يمن لجميع المسلمين....) [4].

---

[1] محمد الطاهر فضلاء ، دعائم النهظة الوطنية الجزائرية ،نشر دار البعث للطباعة و النّشر، قسنطينة –الجزائر، ط1، 1984/1404م،ص38.

[2] محمد الطاهر فضلاء،أعلام الجزائر (الشيخ السعيد أبهلول الورتلاني في مجموعة من رسائله و مجالسه و فتاويه ، دار هومة ، الجزائر ، ص20..

[3] جمعها الأستاذ محمّد الطّاهر فضلاء ضمن المرجع السّابق .

[4] انظر الرسالة خطّية و مكتوبة في كتاب :محمد الطاهر فضلاء ،دعائم النهظة الجزائرية ، ص40_47.

توفي الشيخ _رحمه الله _بعد مسيرة طويلة عن عمر ناهز التسعين عاما(ثمانية وثمانون عاما)،و مجمل ما درسه الورتلاني عند الشيخ البهلولي هو إكماله للقرآن الكريم و ضبطه إياه مع تلقيه لبعض العلوم الشرعية كالفقه و اللغوية كبعض متون اللغة ، مما جعله مؤهّلا للدّراسة عند الإمام ابن باديس .

-المطلب الثاني :مرحلة التعليم الباديسي (في قسنطينة) .

بعد إكماله_ أي الورتلاني_ للخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي عاد إلى مسقط رأسه ،ثمّ ذهب في مرّة من المرّات في زيارة إلى قسنطينة و كان ذلك في أواخر سنة 1929 ، حيث حضر درس في التفسير عند الإمام عبد الحميد ابن باديس كما جلس إلى بعض دروسه النهارية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فأدهشه ما سمعه منه ، فإلتقى به و عقد العزم على أن يكون ضمن تلامذته إبتداء من العام الدراسي المقبل .

أعدّ الأستاذ عدّته وقام بكل التكاليف التي كان يقوم بها في البلد ، و أبعد كل ما يشغله على التفرّغ للدّراسة ، فما كادت السنّة الدراسية 31/30 تنطلق حتى كان من أوّل الوافدين عليها بإستعداد كامل و عزم و رغبة ، و كان يتردد على البلد في أثناء العطل إذ لم يسند أليه عمل في سبيل الدّعوة ، و كان مقرّه في بني ورتلان (الجمعة)[1] .

مكث الأستاذ لدى ابن باديس ما يقرب من عشر سنوات ، برزت مواهبه الفطرية و المكتسبة من محيطه العائلي ،ولم يلبث كثيرا حتى اكتشف أستاذه ابن باديس هذه المواهب والمؤهلات الشخصية التي جعلت منه مساعدا لأستاذه_، فصار مؤهّلا للتّدريس ، و تعزيز وسائل الإعلام والتوعيةبالحركةالإصلاحية عن طريق توزيع مجلة الشهاب و المشاركة بالمحاضرات و دروس الوعض والإرشاد عبر التراب الوطني إلى جانب رجال جمعية العلماء التي أنشئت في ماي سنة 1931 برئاسة العلاّمة الإمام الشيخ بن باديس [2].

كما قام الأستاذ بنشر عدّة مقالات ،إصلاحية ،و إجتماعية في صحف جمعية العلماء (**السنة ،و الشريعة ،و الصراط**) يحارب فيها البدع و الضلالات و يقاوم بها الشعوذة والترّاهات وكان في أكثر الأحوال يمضي مقالاته (**بالفتى القبائلي**)[3] وذلك حتى يموّه على السلطات الإستعمارية وعلى كلّ من في قلبه مرض[4].

---

[1] محمد العيد تاورته– مسعود حسنين الورتلاني،مرجع سابق،ص37 .و"الجمعة " هو لقب لبني ورتلان .

[2] المرجع السابق ، ص 37 .

[3] لقد كان أكثر أعلام الجمعية لايكتبون أسماءهم خوفا من بطش المستعمر، بما في ذلك ابن باديس،فقدكانوا يكتبون كنى مثل : (العبسي، الصنهاجي ،القسنطيني ،الجزائري ،السلفي،بيضاوي،الهلالي)،فكلهم كان يجعل مثل هكذا كنى، بل حتى محمد العيد آل خليفة كان يمضي بعض قصائده بإمضاء (الحارث بن همام).انظر هذه الإفادات في المراجع التالية : (محمد البشيرالإبراهيمي،آثار محمد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم نجله: أحمدطالب الإبراهيمي،ج1،دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط1 ، 1997 ،ص42. وانظر: أبو عبد الرحمان محمود،مرجع سابق ،م1،ص 17.و انظر أيضا: محمد بن سمينة ، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط1، 1997، ص120،(هامش) .)

[4] انظر الترجمة ضمن :محمدالحسن فضلاء ،أعلام الإصلاح في الجزائر ،ص 203-225.

وهكذا انتشر صيت الرّجل، وصار عنده قدرة على الإقناع والتأثير، فتجمّع عليه حلقات طلبة القرآن فجلبهم بفصاحتة و بلاغتة، و قوة حجّته و إقناعه، فيهتف النّاس به في إجتماعات تستمر إلى ما بعد منتصف اللّيل و أحيانا إلى الفجر ، فلا أحد منهم يشكو مللا و لا آخر يطلب نوما ، و يظل الجميع مرتبطين به و لا يفارقونه.

و من قصصه النّادرة التي تدلّ على سعة ذكائه ،و فرط حنكته ،و سرعة بديهته , ماحكاه عنه الأستاذ" محمدالحسن فضلاء" حيث قال :

(سمعته و هو يدرّس على طلبة الجامع الأخضر ألفية بن مالك في سيدي قمّوش ، و يشرح لهم القاعدة (قال)بأنّ أصله قول ، تحركت الواو و انفتح ما قبلها ، فوجب قلبها ألفا فقيل (قال). ثمّ انتفض و قال لماذا تحركت الواو و انفتح ما قبلها فوجب قلبها ألفا . فقيل قال . قال : تحركت الأمة ،و نهض ما قبلها أمّة حية ناهضة ،لها حقها في العزة و الكرامة و السيادة في الحياة، ثم مضى يعدد أصناف الحياة السعيدة ،و أنواع الكفاح التي وجب الأخذ بها لقلب الأوضاع التي نعيش فيها اليوم ، فما عاد إلى (قواعد) حتى أشبع طلبته مما تتوق إليه نفوسهم من الإطلال على الحياة الاجتماعية الكريمة)[1].

– البرنامج الدّراسي بالجامع الأخضر:

لقد كان الطلبة الذين يدرسون بالجامع الاخضر مقسّمين على أربعة طبقات ،و كانت البرامج التعليمية متنوعة ،حيث كانت العلوم التي تقرأ كالتالي :
التفسير ،الحديث ، الفقه ، الفرائض ، العقائد ، المواعظ ، البلاغة ، الأدب ، محفوظات ، و مطالعات ، دراسة الإنشاء ، الحساب ، الجغرافيا ، التاريخ.

_ الكتب المدروسة :

[1] انظر : محمد الحسن الفضلاء ، أعلام الإصلاح في الجزائر ،ص203_225.

الموطأ ، أقرب المسالك ، الرسالة لابن عاشر ، البزدوي ، المفتاح ، التنقيح ، السّلم ، المكودي ، القطر ،الآجرومية ، الزنجاني ، اللاميّة ، السّعد ، الجوهر المكنون ، من ديوان الحماسة ، من ديوان المتنبي ، آمالي القالي ، من مقدمة ابن خلدون [1].

الورتلاني مدرّسا:

في بداية العام الدراسي 1933م_1934م عيّن الأستاذ الورتلاني مساعدا للشيخ عبد الحميد بن باديس في التدريس لبعض الأقسام ،فقام بالمهمة خير قيام ، و في شهر أكتوبر 1934م عين مدرّسا في مدرسة التربية و التعليم الإسلامية ،و في نفس الوقت أخذ الشيخ ابن باديس يصطحبه معه في رحلاته و جولاته داخل البلاد كما حصل عام 1934م حيث ذهبا إلى كلّ من : (ميلة ، و التلاغمة ، و برج بو عريريج ، و سطيف ، و بوقاعة ، و باتنة)كان هذا خلال شهري ماي و جوان من نفس العام ، و عندما أصدرت مدرسة التربية و التعليم الإسلامية نشرة تربوية عام 1936 م، شارك في تحريرها بموضوعين، الأول: عن التربية ،و الثاني: عن الشباب [2] .

_وبهذا يكون الورتلاني قد لعب دور الموجه، والمربّي ، والمعلم ،وهو لا زال طالبا لدى ابن باديس، فجمع بين التعلّم والتعليم ، وهذا قلّما يحصل لإنسان إلاّ إذا توفّرت فيه الصّفات التي سبق ذكرها فيه _ ولا نزكّيه على الله _ [3].

-المطلب الثالث: مرحلة التّعليم الزّيتوني(في جامع الزيتونة، بتونس) .

قضى الأستاذ الورتلاني خمس سنوات في قسنطينة ،ثم ذهب إلى تونس ليلتحق (بالجامعة الزيتونية)في سنة1935 م لكن ما كاد يستقر بها ، حتى فرّ هاربا منها،عائدا إلى قسنطينة، ثائرا على مناهج الزيتونة الجامدة ،العقيمة ،التي لا حياة فيها ، ((علوم مختلفة بين جدران الجامعة و تحت سقوفها، و حياة تنبض بالحركة و النّشاط خارجها، و لا صلة بينهما)) [4].

---

[1] عبدالحميدبن باديس ،آثار الامام عبد الحميد بن باديس،ج4،من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة-الجزائر،ط1، 1406هـ-1985م،ص100.

[2] يحي بو عزيز ، أعلام الفكر و الثقافة ،مرجع سابق ،(ضمن ترجمته)ص176_208.

[3] محمد الحسن الفضلاء ، أعلام الإصلاح في الجزائر ، ص203_225.

[4] محمد الطاهر فضلاء ، أعلام الإصلاح في الجزائر ، ص218.

_لعلّ الأستاذ الورتلاني بموقفه هذا لم يكن منطلقا من فراغ لأنّ أستاذه ابن باديس _ بعد ذلك – نقم على مناهج الزيتونة ووصفها بالجامدة وحتى الشّيخ الإبراهيمي كذلك في بعض مقالاته.

((كما أنّ هناك حقيقة لا بدّ من التعرض لها ،و هو أنّه –أي الورتلاني– كان الحارس الأمين على الطلبة في الجامع الأخضر بصفة خاصة، و على الحركة العلمية عامّة، يرافع عليها من واجهات عديدة، من أجلها كان يزامل الطلبة ، و يسعى في ترقية أفكارهم و يشحنهم بالطاقات الحيّة الخلاّقة ، و قد سنّ سنّة حسنة عظيمة الشأن بينهم تتمثل في إجتماعهم جميعا مرّة في كلّ أسبوع عشية يومي العطلة الأسبوعية ،للتّدريب على أساليب الخطابة و فنون الحديث))[1] .

–البرنامج المتّبع في جامع الزيتونة: لقد كانوا **في** الزيتونة يدرسون الكتب المختصرة و المطوّلة و ذلك في مختلف الفنون: في الحديث ،و اللغة، و أصول الفقه ،والتفسير، وغيرها. وهذا نموذج **للكتب المدرّسة:**

–مرحلة التّطويع : التنقيح ، الأشموني ، لاميةالأفعال ، الجزرية ، المحلّى ، مختصر السّعد....إلخ.

–مرحلة ما بعد التّطويع : شرح العضدية في آداب البحث ، صحيح البخاري ، المزهر للسيوطي ، المغني شرح المحلي على جمع الجوامع.....إلخ[2].

–بعض شيوخ الزيتونة في تلك الفترة :

محمد الصادق النيفر (1882-1938) ، محمد بخيت المطيعي (1854-1936) ، محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973)،محمد بن يوسف (1863-1938)[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 218.

[2] عبد العزيز فيلالي ، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية ، دار الهدى ، عين مليلة–الجزائر ،2012، ص27،34،و انظر نموذج آخر لهذه الكتب في : محمد ابن سمينة ، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون –الجزائر .

[3] انظر تراجم هؤلاء و غيرهم : محمود شمام ، أعلام الزيتونة ،تونس ، 2000م ،و انظر: محمد الصالح الجابري ، النشاط العلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس (1900_1962م)، تونس ، 2007م.

و هناك شيوخ آخرون درّسوا في الزيتونة في تلك الفترة و هم كثر .

-المطلب الرابع :مرحلة التعليم الأزهري (في الأزهر، بمصر).

في أواخر عام 1938م ، اشتدت مضايقات الإدارة الإستعمارية له _و ذلك بعدما كلّفه ابن باديس بمهمة الدّعوة في فرنسا _كما سيأتي_ ،و أخذت تسعى لإعتقاله ،و اغتياله فغادر فرنسا _ باريس بالضبط_ خفية، وكان ذلك بمساعدة الدّاعية الكبير، الأمير شكيب أرسلان و التحق بالمشرق العربي و قصد مدينة القاهرة ، وذلك بعد أن متّن صلاته بكبار شيوخ الجامع الأزهر أمثال :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد اللطيف درّاز وكيل الأزهر، و الشيخ مصطفى المراغي، و الدكتور مصطفى عبد الرزاق، و الشيخ العلامة محمد الخضر حسين و غيرهم[1] .

و لعلّ إنتقاله إلى القاهرة و إلتحاقه بالأزهر لم يكن إلا بعد موافقة أستاذه ابن باديس لأنّه هو الذي هيّأ له الظّرف و قدّم له منحة التمدرس كما تثبته الرسالة التالية حول البعثة الأزهرية والشاميّة:

_رسالة من ابن باديس إلى الفضيل الورتلاني حول البعثة الأزهرية و الشامية :

((الحمد لله والصلاة و السلام على رسول الله و آله ، بقسنطينة 8جمادى الثانية 1357هـ_5أوت 1938م.

إلى الابن الكريم الشيخ الفضيل الورتلاني وسائر الإخوان العاملين في سبيل الله و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

و بعد : ***فإنّ البعثة الأزهرية*** :تتوقف على أمرين: إذن السفر، و النفقة ، فأمّا الإذن فقد ذكرتم أنّه سهل الحصول عليه ،أما النّفقة فالجمعية غير مقتدرة عليها الآن، لأنّ ماليتها لا تدخل إلا في آخر سبتمبر إن شاء الله ،فأريد منكم أوّلا أن تتحققوا لتحصيل الإذن من هنالكم و أن تعرّفوني بما يلزم كّل تلميذ لنفقة سفره لأنظر إذا كان يمكنني تحصيل المطلوب .

_و أمّا أعضاء البعثة إن شاء الله، فهم المشايخ : **الفضيل الورتلاني** ، اسماعيل آعراب ، محمد الغسيرى ،أحمد حماني ، مصعب بن سعد الجيجلي ، أو بعضهم عند العجز عن كلهم.

_***و أمّا البعثة الشامية:*** فإنني أختار أن تكون من جمعية التربية و التعليم القسنطينية :إذ يمكن أن ترسل من تلاميذها و تلميذاتها ستة أو ثمانية و لا مانع من أن يكون الطلب الموجّه إلى الوزارة من جمعية العلماء و البعثة من جمعية التربية و التعليم إذ هما كشيئ واحد. فأرجوا أن تعرّفوا الأخ السيد خمى[2] بهذا. و في هذا المساء قد كاتبته شاكرا و مبينا له عدد البعثة منتظرا جوابه .

سلامي إلى الأخوان كلهم من أفارقة و شرقيين و غربيين . و السلام من أخيكم عبد الحميد بن باديس .))[3] .

---

[1] يحي بو عزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، مرجع سابق ، ج1، ص276_208.

[2] كذا جاء الاسم مذكورا في الرّسالة بهذا الشّكل (خمى).

[3] ابن باديس ،الآثار، ج6،ص229. **قلت** : هذا النّص من النّصوص التي فاتت الأستاذ مسعود الورتلاني _ في كتابه _ الإشارة إليه .

_فهذه الرسالة من ابن باديس توضّح جليّا أنّ الورتلاني إستأذن شيخه في الذّهاب إلى مصر والخروج من فرنسا بعد أن ساءت الأمور وضيّق عليه فيها [1].

بعد ذهابه إلى مصر والتحاقه بالأزهر، تنقل بعض المصادر أنّ الشيخ الورتلاني إستفاد في مرحلة دراسته بالأزهر من العلاقات الوثيقة التي كانت تربط الشيخ صالح بن مهنا الكركري الجزائري _ تربطه _ بشيوخ الأزهر ، حيث تقول ذات المصادر أنّ الشيخ _ الورتلاني _استفاد من تلك العلاقات أيّما فائدة لأنّ هذا الأخير —أي ابن مهنا_ كان موقّرا هناك وتربطه بشيوخ الأزهر علاقات وثيقة ما جعلهم يعطونه عناية خاصة _أي الورتلاني-،احتراما لأثر ذلك الشّيخ [2].

و الملاحظ أنّ الدراسة الأزهريّة ،والمناهج الأزهريّة في هذه الفترة ،لم تكن أحسن حالا من مناهج التدريس بالزيتونة — ذلك- لولا الثّورة التي قام بها "محمد عبده المصري" ،على مناهج التّعليم بمصر ،والأزهر بالخصوص ما جعله يلاقي ثورة عارمة من بعض شيوخ الأزهر.

تلك الثّورة _إن صحّ التعبير _ التي قام بها "محمد عبده" كان نتاجها ظهور مصلحين آخرين أمثال : "الشيخ رشيد رضا "صاحب مجلّة المنار، حيث كان لهذا الأخير مع أستاذه _كان له _أثر لا ينكر في أعلام 'جمعية العلماء المسلمين'،بما في ذلك الأستاذين :ابن باديس ،والإبراهيمي .

_ وقد تخرّج الأستاذ الورتلاني و حصل على الشهادة العالمية من كليّة أصول الدّين التي كان قد التحق بها عام 1939 م، كما توضح ذلك بطاقته المدرسية[3] .

---

[1] -قلت:هنا تظهر عناية ابن باديس بطلابه ، بل عنايته حتى بفئة الإناث ، حيث فكر في تمكين خريجات مدرسة التربية و التعليم الإسلامية من إتمام الدراسة في المشرق، حيث وجدت وثيقة تثبت بأنّه بعث رسالة بهذا الشأن إلى رئيسة جمعية (دوحة الأدب)بدمشق ، و هي ،السيّدة "عادلة بيهم" رئيسة الحركة النسائية السورية و مديرة دوحة الأدب _ ثانوية أهلية للبنات بدمشق _،وهذه الأخيرة هي، والدة السيّدة أمل عبد القادر الجزائري حفيد الأمير عبد القادر ، انظر : عثمان سعدي ،الثورة الجزائرية في الشعر السوري ، ج1، منشورات وزارة المجاهدين ، ص64، وانظر:،بشير بلاح ، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، 1345_1359هـ/1925_ 1940م، عالم المعرفةللنشر و التوزيع ، المحمدية -الجزائر ، 1424هـ_ 2013م، ص196.

[2] هذه المعلومة تمّ ذكرهافي: إذاعة القرآن الكريم ، -الجزائريةا لخامسة،- ركن :((معجم العلماء))، ترجمة :"الشيخ صالح بن مهنا الكركري الجزائري".وهذا الأخير هو من مواليد قرية كركرة _ قرب مدينة القل_سنة 1840م وهو ينتمي إلى قبيلة ابن مهنا ذات الأصول المشرقيّة ، توفي سنة 1910م .

[3] يحي بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ،مرجع سابق،ص276_278.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-المبحث الثالث:الورتلاني في رحاب الحركة الإصلاحية .
(الورتلاني مصلحا وطنيّا).

- المطلب الأول :تعريف حركة الإصلاح بالجزائر.

– المطلب الثاني:ظهور الحركة الإصلاحيّة .

– المطلب الثالث:مبادئ الحركة الإصلاحيّة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المطلب الأوّل :تعريف حركة الإصلاح بالجزائر

–إرتبط فجر الإصلاح الإسلامي في الجزائر بإنحطاط أحوال الجزائريين الثقافية و الروحية و الإجتماعية إلى أدنى مستوى (خاصة فساد الأوضاع الدينية ،بفعل طغيان البدع و الإعتقادات الخرافية) و الضعف السياسي و الإقتصادي أمام الغربيين ،و إشتداد ضغط فرنسا على الشخصية الجزائرية في أواخر القرن التاسع عشر ، و خاصة مطلع القرن العشرين ، بعدما تمكنت من القضاء على آخر المقاومات المسلحة ، حيث تمثل تلك الإرهاصات مظهر المقاومة الحضارية ، التي عبرت عن رفض الجزائريين في التخلي عن هويتهم وشخصيتهم .

و يمكن إرجاع أصول ذلك الإصلاح إلى نشاطات ثلّة من العلماء العاملين الذين ألهمتهم تلك الأوضاع فانبروا لعلاجها ، كالشيوخ صالح بن مهنّا (1271_1328 /1854 _ 1910) ، و حمدان الونيسي (ت 1330 _ 1912) ، و عبد القادر المجاوي (1265_ 1332/

1848_1913)، و مصطفى بن الخوجة (1281 _ 1333/ 1865_ 1915) ، و عبد الحليم بن سماية (1283_ 1351/ 1866_ 1933) ، و غيرهم .

-و كان من عوامل إنطلاقها اتصالها بعوامل خارجية أيضا مثل: أصداء الجامعة الإسلامية ، و مدرسة محمد عبده الإصلاحية و زيارته الشهيرة و المؤثرة إلى الجزائر عام (1321_ 1903) ، و تحركات الطلبة الجزائريين بين بلادهم و مراكز العلم الإسلامية ،و أحداث العالم الإسلامي : كالإنقلاب العثماني (1326 _1908) و غزو ليبيا (1329 _ 1911) ، و فرض الحماية المزدوجة على المغرب (1330_ 1912) ، و عوامل أخرى [1].

لكن المثل الأعلى الذي دعا إليه أولئك الرواد ، "بعث الأمة الإسلامية على أساس مصادر الإسلام و هدي السلف الصالح ، مع الإنفتاح على الحقائق الجديدة "، ظلّ غريبا عن الجماهير العريضة قاصرا على أعداد من النخبة المعرّبة إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، كما ظلّ تأسيس المدارس الحرّة و هي الروح الحيّ لتلك النفثة الإصلاحية نادرا جدا ، و تعدّ على رؤوس أصابع اليد الواحدة [2]،وكان مقدّرا للإصلاح الجزائري أن ينتظر إلى أواسط العشرنيات لكي يرى النّور [3].

– المطلب الثاني: ظهور الحركة الإصلاحية .

قامت دعائم الحركة الإصلاحية المنظّمة على جماعة من العلماء (و المثقفين) الجزائريين ذوي التكوين العربي – الشرعي المختلط (محلي -زيتوني – فاسي – أزهري – دمشقي – مديني) ، و المتأثرين بالنّهضة و حركات الإصلاح الإسلامية الحديثة ، يتزعمهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الذي كان بانتصابه للتربية و الإرشاد منذ (1331 _ 1913) فرطهم إلى الإصلاح بعيد المدى[4] .

---

[1] بشير بلاّح ، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية ، مرجع سابق، ص 17 ،18 .

[2] مثل :نادي صالح باي بقسنطينة .

[3] بشير بلّاح ، المرجع السابق نفسه ،ص18.

[4] بشير بلاّح ،المرجع نفسه ،ص18.

((و قد ردّ البشير الإبراهيمي ظهور هذه الحركة إلى أسباب منها : تأثير الإمام محمد عبده ، و ثورة ابن باديس التعليمية ، و تدفّق تلاميذه على جامع الزيتونة ، و تخرّجهم جنودا للإصلاح ، و آثار الحرب العالمية الأولى ، و عودة فئة من أبناء الجزائر المخلصين ، من الحجاز مشبعين بفكر الإصلاح الديني [1]، و يمكن إضافة دوافع أخرى ، كهيمنة التصوف المنحرف ، و استشراء الجهل و الأمية بين الجزائريين ، و إطراء شراسة الإستعمار الفرنسي)) [2].

((بدأ أولئك العلماء و الدعاة بالتعارف و التواصل بعد عودتهم من المهاجر العربية بعد الحرب العالمية الأولى بالتدريج ، في ظل إنفتاح فرنسي استثنائي فرضته أجواء ما بعد الحرب ، و تضحيات الجزائريين الجسيمة إبّانها هي سبيل فرنسا و الإمبراطورية . و ترتّب عنه على وجه الخصوص إصلاحات (1337_ 1919) الشكلية ، التي لم تخرج عموما عن إطار فتح باب (جنسية أهلية وسيطة) يشترط لها التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية (قانون 4فبراير) وزيادة حجم الكتلة الإنتخابية في (القسم الخاص بالأهالي) مرسوم 6 فبراير ، و استشعر رواد الحركة الإصلاحية بمرور الزمن ما يجمعهم من وحدة تكوين، و رؤية ،و هموم ، _هي_ ،من صميم أزمة مجتمعهم شبه المشلول ، و أزمة الثقافة الجزائرية القابعة على هامش الثقافة الإسلامية الحديثة ، و على هامش الثقافة العالمية خصوصا ، و تحققوا من مسيس الحاجة إلى إطار ينتظمهم و يأتلف جهودهم ، كانوا ينوون تسميته (عام 1324_ 1924) جمعية الإخاء العلمي ، رائداها الشيخان ،ابن باديس ،و البشير الإبراهيمي)) [3].

و تعيّن على الحركة الإصلاحية أن تنتظر ظروفا أنسب ، خاصة من حيث استكمال العدد الكافي من الرجال الرساليّين ، الذي سيمثلون أساس الدعوة و ألسنة الدعاية [4].

---

[1] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السنوي الخامس ،دار الكتب الجزائرية ،الجزائر ،1982،ص 47_49.

[2] بشير بلاّح ، المرجع السابق ،ص 19.

[3] بشير بلاّح ، المرجع نفسه ،ص 19.

[4] محمد البشير الإبراهيمي ،الآثار ،ج4،ص165.

_ يقول الشيخ الإبراهيمي :((و انخرط الإصلاحيون بانتظار ذلك في جهد تربوي مكثّف ، بهدف التمركز ، و تكوين مدرسة تنتظم الجيل الجديد ، فاستمرّ نشاط ابن باديس بقسنطينة (ومعه مبارك الميلي منذ 1343_ 1925) قبل أن يلتحق بالأغواط (1346_ 1927 فميلة عام 1353_ 1934) و باشر الطيب العقبي نشاطه في بسكرة (1920) ، فضلا عن أبي يعلى الزواوي بالعاصمة (1920) ،و العربي التبسي بتبسة (1346 _ 1927) ، ثم سيق ،و غيرهم ، حتى أصبح للحركة الإصلاحية في حدود (1348_ 1930) ، جيش من التلامذة يحمل فكرتنا و عقيدتنا ، و مسلحا بالخطباء و الشعراء و الكتاب ، و يلتف به آلاف من الأنصار الفكرة و حملة العقيدة ، يجمعهم كلهم إيمان واحد و عقيدة واحدة ، و حماس متأجج و غضب حاد على الإستعمار) [1].

((و كانت إحتفالات (مئوية الإحتلال) الصاخبة هي الظروف التي شاءت الأقدار أن يجعل تأسيس جمعيتهم الرسمية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) في 17 ذو الحجة (1349_ 5 مايو 1931).لكن حجر أساس الحركة الإصلاحية المنظمة و جمعيتها الرسمية كان قد وضع في الحقيقة عام (1343 _ 1925) ، تاريخ إنتقال ثلّة من العلماء و المثقفين الإصلاحيين إلى قسنطينة ، و التفافهم حول ابن باديس و تأسيس صحيفة المنتقد الإصلاحية الأسبوعية (2 يوليو 1925) التي سرعان ما عطّلت (أكتوبر) فخلفتها مجلة الشهاب الأسبوعية (نوفمبر1925) ثم الشهرية منذ رمضان (1347 / فبراير 1929)و بذلك بدأ تشكّل (الفريق الباديسي) أو (فريق الشهاب) ، الذي سيمثل قلب الإصلاح النّابض و قطبه الجاذب .

و انطلقت الحركة الإصلاحية بزخمها المتصاعد ، و اكتسبت بمرور الزمن طابعا نضاليا متصاعدا زادت من تجذره إحتفالات (المئوية) و أجواء المؤتمر الإسلامي الأول (1355 / 1936)و الثاني (1356_ 1937) ، و إغتيال المفتي كحول (1936) ،و ما تلا كلّ ذلك من محن و إحباطات ، رسّخت المبدأ و صلّبت العزائم)) [2].

[1] المرجع نفسه ،ج 5،ص280.

[2] بشير بلاّح ،مرجع سابق ،ص 20،21.

_**المطلب الثالث :مبادئ الحركة الإصلاحية** :

قامت مبادئ الحركة الإصلاحية حسب ما تدلّ عليه أصولها المنشورة بتوقيع زعيمها الإمام عبد الحميد ابن باديس في البصائر يوم أربعة ربيع الأول عام (1356هـ_ 1937م)،على:

1- اعتبار الإسلام مرجعيتها ، بل المرجعية الصحيحة التي تسعد بها البشرية جمعاء بالنّظر إلى:

_ **كماله الإنساني** : بدعوته إلى الأخوة بين المسلمين ، و البشر أجمعين ، و تسويته بين كافة الأجناس.

_**كماله الفكري** :بتمجيده العقل وحثّه على التفكير و قيام دعوته على الحجة و الإقناع و تخليته بين النّاس وأديانهم .

_**كماله القانوني** : لتحريمه الظلم و الإستعباد بتاتا ، و حمايته للضعفاء و العاجزين .

_ **و نجاعته الإجتماعية و الإقتصادية** :بضمانه التكافل بين الناس و تشريعه التعاون العادل بينهم .

_ **و مصداقيته السياسية** : بتقعيده الشورى ، و تجريمه الإستبداد .

2- الكتاب و السنّة و هدي السلف الصالح ، هي مصادر الإسلام الحصرية نظريا و تطبيقيا .

3-التنديد بالإبتداع في الدين.

4-تثمين الإجتهاد ، و اعتبار مصالح الناس و تبدّل الأحوال أساسين صالحين للإجتهاد في المعاملات ، مادامت متفقة و أصول الشريعة (و فيه انفتاح على حركة الحياة)

5-أفضل الخلق : النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ، و أفضل أمته بعده هم السلف الصالح ، (و فيه نفي للمزايدات الصوفية ، و تشعب الإدعاءات الشخصية).

6- أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا و كانو يتّقون (إشارة إلى رفض تقديس الشيوخ و الأولياءو الصالحين).

7-تعظيم شأن التوحيد ، و عدم التسامح مع مظاهر الشرك خاصة نسبة التصرف في الكون لأحد من المخلوقين ، و بناء القباب على القبور .

8-العمل الصالح أساس النجاح و السّعادة (رفض الوسطاء).

9-تبديع الطّرقية و التنديد بأعمالها .

10-الدعوة الإصلاحية قائمة على الكتاب و السنّة ، و هدي السلف الصالح ، مع القسط(العدل) و الرحمة .

11-ترجيح مصلحة الأمة عند طروء الإختلاف الذي قد يصدع الوحدة و بذلك نستبين غلبة طابع الدعوة و الإصلاح الدينيّين على الحركة الإصلاحية ،بإعتباره مناط الخروج من الأزمة ، حيث إجتهد الإصلاحيون في مماهاة دعوتهم و عملهم بمنهج السلف الصالح في تحرير الإنسان من العبودية لغير الله ،تأكيدا لإستمداد مصادر الإسلام الأولى ، و في إيضاح حقيقته ، و ما يهم المسلم معرفته من أصول دعوته ، حتى وصفها ماسينيون و أغستان بيرك بأنّها" حركة متشددة ، وهابية محدثة" .

فكانت رسالتهم و مهمتهم أشبه برسالة النبي صلى الله عليه و على آله و سلّم و مهمة أصحابه في تطهير المجتمع من الشرك ، و القضاء على تبعيته و استلابه للأجانب ، بهدف تحرير الإنسان ، وبعث الأمة و إعادة مجد الإسلام ، أو بعبارة أدق :تحقيق الإصلاح الفكري و التربوي و الإجتماعي ، بغرض شحذ الفعاليات الفكرية و الروحية و السلوكية للمجتمع الجزائري في سبيل التجديد الحضاري [1].

[1] بشير بلاّح ، المرجع السابق نفسه، ص 28،29.

و قد برّر ابن باديس هذا البرنامج بقوله (إنّ الإسلام عقد إجتماعي عام ، فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي حياته لسعادته و رقيه . و قد دلّت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عامّ على مبادئ الإسلام ، فالمسلم الفقيه في الإسلام غني عن كل مذهب من مذاهب الحياة . فليس للجمعية إذا إلا الإسلام ، و بالإسلام وحده تبقى سائرة في طريق سعادة الجزائر ، و البلوغ بها إلى أرقى درجات الكمال) [1].

– لكنّ للبشير الإبراهيمي تعقيب على هذه المبادئ (التي حرّرها هو نفسه بقلمه) عام(1961) أشار فيه إلى تعمده إدارة قانون الجمعية الأساسي (على قواعد من العلم و الدين لا تثير شكّا و لا تخيف ، و كانت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت تستهين بأعمال العالم المسلم ، و تعتقد أنّنا لا نضطلع بالأعمال العظيمة فخيّبنا ظنّها و الحمد لله) [2].

[1] عبد الحميد بن باديس ، الآثار،جمع :عمارطالبي،ج3، دار الغرب الإسلامي،بيروت ، 1403_1983 ص550.

[2] الإبراهيمي ، الآثار ،ج5 ،ص280.

– المبحث الرابع:الورتلاني في رحاب حركة الإصلاح بالعالم. (مصلحاعالميّا).

–المطلب الأوّل: الورتلاني في فرنسا.

–المطلب الثاني: الورتلاني في مصر.

–المطلب الثالث: الورتلاني في اليمن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

–المطلب الرابع: الورتلاني في أقطار شتى من العالم.

– المطلب الأول: الورتلاني في فرنسا.

بالنظر لشجاعة الورتلاني الأدبية ،و مواهبه الفطرية و المكتسبة في التبليغ والإقناع ،اختاره [1] أستاذه ابن باديس للقيام بمهمة صعبة في فرنسا [2] و "باريس"_ بوجه خاص_، لإرشاد الجالية الجزائرية و توعيتها بالتمسك بثوابت الوطنية و عدم الذوبان في المجتمع الفرنسي و التشبّع بحب

---

[1] ((ذكر الأستاذ سعد الله في تاريخه، أن الجمعية وابن باديس اتصلوا _ أي قبل توكيل المهمة للورتلاني _ بشخص اسمه "مبارك جلواح" _ والذي كان يتردد بين الجزائر وفرنسا وينشط ضمن بعض الجمعيات هناك _ ،إلا أنّ هذا الأخير لم يقم بمهمته كما ينبغي ،لذا لم يعد محل ثقة لدى الجمعية، ثم إنّه توفي وكانت وفاته غامضة، فقيل انتحر، وقيل قتل ورمي في نهر "السين"حيث وجدت جثته هناك .)) ،هذاولمعرفة المزيد عن هذا الشخص انظر: أبوالقاسم سعد الله ،تاريخ الجزائرالثقافي:ج8،ص296.وانظر:الإبرهيمي ،الآثار ،ج1،ص367.

[2] قلت:انتقد الأستاذ مالك بن نبي ، _كعادته في نقد رجال الإصلاح _،جمعية العلماء والأستاذ الورتلاني خاصّة، إثر تعيين الجمعية إيّاه للقيام بهذه المهمة،معتبرا إيّاه الرّجل غير المناسب لها ، _ ولكنّ الأستاذ بن نبي لم يكن موفقا في نقده هذه المرة، حسب رأيي ذلك لأن أعمال الورتلاني التي حقّقها في فترة وجيزة هناك تشهد على أنّ اختيار الجمعيّة كان هو الموفّق والله أ علم _ ،.انظر: مالك بن نبي ، مذكرات شاهد على القرن ، دار الفكر ، دمشق ، 1984 ،ص377.

– (ملاحظة):لعل مالك بن نبي اتخذ موقفه هذا من الأستاذ الورتلاني لكونه _كما يقول الأستاذ سعد الله _"**كان يعتبر نفسه ممثلا لجمعية العلماءفي فرنسا** " ،_أي ابن نبي _و يضيف سعد الله قائلا :((**مع أنّ الجمعيّة لم تعينه ممثلا عنها** _**أي ابن نبي** _**وأرسلت بدلا عنه رجالها أمثال :الورتلاني والسعيد الصالحي** ...))انظر:ابو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ج7،ص216.

وطنهم الجزائر و انتهاز الفرصة في التكوين و اختيار ما هو أجدى و أنفع لهم و لأولادهم في فرنسا ، فاستطاع الورتلاني وفي فترة وجيزة ،أن يؤسس مدارس للتربية و التعليم، و يفتح نوادي لتوعية الكبار من العمال المغتربين يزيد عددها عن ثلاثين في باريس و المدن الأخرى الفرنسية بين سنتي 1936-1938م، كما تمكن من ربط الإتصال و التعارف مع بعض الأساتذة أو الطلبة المشارقة المتواجدين في فرنسا بروح الأخوة والتعارف ، أمثال، الأمير شكيب أرسلان ،و عبد اللطيف دراز ، و مصطفى عبد الرزاق ،إلى وغيرهم ممن كانوا معجبين بفصاحته و شجاعته الأدبية ،حتى صارت السلطات الفرنسية الحاقدة على الحركات الوطنية يتربصون به و يترصدون أعماله و نشاطه لكي ينتهي بالقبض علية أو إغتياله في ظروف تساعدهم على ارتكاب هذه الجريمة ، و باقتراب اندلا ع الحرب العالمية الثانية 1939-1945 بعد اشتداد الأزمة في أوروبا و دولها، استعان الفضيل الورتلاني بصديقه الأمير شكيب أرسلان، و غادر فرنسا متنكرا ،للالتحاق بالقاهرة و دخول الجامع الأزهر لاستكمال معارفه و نيل أعلى الشّهادات في العلوم الشرعية خلال فترة الحرب العالمية[1] .

لم يكن الورتلاني وحده في تلك البعثة بل كان معه آخرون ،منهم الشيخ محمد الصالح عتيق،حيث لما انتدب هناك طلب من الجمعية أن تمده بعلماء فكان من جملتهم،محمد الصالح رمضان،السعيدالصالحي،م حمد الزاهي الميلي، وحمزة بوكوشة ،وفرحات الدراجي، و الشيخ الهادي السنوسي [2] .

– أثر دعوة الورتلاني وأعوانه:

(لقد سعت هذه البعثة بقيادة الورتلاني وتوجيهاته في فتح النوادي في مختلف المدن الفرنسية،أهمها مدينة باريس،إذ بلغ عددها سبعة عشر ناديا و وضعت برنامجا محكما للدروس والمحاضرات ،وكان الإقبال عليها مشجعا،أصبح الكثير من العمّال يترددون عليها ويتعلمون فيها تعليما منظما حسب البرنامج المسطر للسنة الإبتدائية ،والمتوسطة،حتى الثانوية،ويتلقون بصفة خاصة التاريخ

[1] انظر:محمدالعيدتاورته ،مرجع سابق،ص38.

[2] هذا ولم يسلم دعاة الإصلاح من متعصبة الصوفية والطرقية حتى وهم في فرنسا،حيث ضايق _أي الطرقية– دعاة الاصلاح ودبّروا لهم المكايد حتى في فرنسا،حسب مانقله الشيخ محمد الصالح بن عتيق انظر: محمد الصالح بن عتيق ، أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحية والحركة الوطنية الجزائرية،مشورات دحلب ،حسين داي – الجزائر،ص83-85.

والسيرة النبوية والرياضيات وما إلى ذلك من العلوم المختلفة،وكانوا يحضرون المحاضرات التي تلقى من طرف الأساتذة بالتناوب في ناد معين) [1].

لقد أدّت هذه المؤسسات العلمية والدينيةأكبر رسالة بين العمال وأنقذت منهم عشرات الآلاف من خطر يهددهم في كيانهم العقائدي والأخلاقي [2].

يقول الشّاعر الجزائري(**أحمدشقار الثّعالبي**)في قصيدة له بعنوان :"**عودة الشّمس**" ،يصف فيها الفضيل في فرنسا[3]:

غزا (الفضيل)فرنسا في معالقها — والصالحي معا في الليل سارينا

فـأطلق دعوة للخير خالصة — و أنقد النشئ ممّا كان يفرينا

شبابنا كان في دولاب نهضتنا — و قوده ، و هي بالآفات تبلينا

خاضا معارك قد هزّت قذائفها — ظلما..وزيفا..وأحيت بينهم دينا

و ما انقضت سنّة حتى جرى مددا — نبع السموّ نقيا من نوادينا

و أصبح ابن بلادي في مهاجره — روحا بحرّية الأوطان مفتونا

[1] محمد الصالح بن عتيق،المرجع السابق ،ص83_85.

[2] محمّد العيد تاورته ومسعود حسنين الورتلاني ، مرجع سابق،ص171.

[3] المرجع نفسه ،ص335.

_المطلب الثاني: الورتلاني في مصر.

بعد أن شعر الورتلاني بالخطر الدّاهم من قبل السلطة الفرنسية خرج متنكرا، فارا بجلده ، بمساعدة الأستاذ شكيب ارسلان، وتوجه إلى مصر،وكان ذلك بالضبط أواخر سنة1938م،والتحق بالأزهر سنة1939،كما سبق أن ذكرنا.

تعرف الورتلاني خلال هذه الفترة على علماء الأزهر و بالأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عبدالرحمان عزام باشا ، كما تعرف على بعض الشخصيات المناضلة منّ أقطار شمال إفريقيا أمثال عبد الكريم الخطاب ،و علاّل الفاسي، و الحبيب بورقيبة ، والشاذلي المكي، وغيرهم , و انطلق في مساعيه، و نضاله من أجل الجزائر و بلدان الشّمال الإفريقي في تأسيس هيآت و لجان من أجل تنظيم العمل النّضالي و الوصول إلى تحرير هذه الأقطار من الإستعمار الفرنسي عن طريق الحوار و التفاوض أو باستعمال القوة والسّلاح.

لقد كان الورتلاني السّاعي النشيط في تكوين لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا و مكتب المغرب العربي , و جبهة تحرير الجزائر وغيرها من الهيآت [1]كما كان له علاقات بجماعة الإخوان المسلمين وبزعيمها _فيما بعد–،"حسن البنا"، لأنه على مايظهر تعرّف على الجماعة وسمع عنها قبل قدومه إلى مصر، حيث يرى الأستاذ سعد الله أنّ :(الورتلاني ارتبط بحركة الإخوان المسلمين ،_وانتظم فيها ربما_، وهو في فرنسا) [2].أما عن مؤسس الجماعة "حسن البنا"،فإنّ الشيخ الورتلاني لم يتعرف عليه شخصيّا إلا بعد عام 1938م،حيث يقول الأستاذ الورتلاني نفسه: ((كنت قبل عام 1938م أسمع عن الأستاذ الإمام، ولما حضرت إلى القاهرة وكان اللّقاء بيني وبين الإمام في جمع من الناس ودار الحديث

[1] انظر:محمدتاورته ومسعود الورتلاني،مرجع سابق،ص38_39.

[2] أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج5،ص602.

في ذلك الوقت عن أمور روحية صوفيّة،تخيلت أنه رجل صوفي لا أكثر ولاأقل. وكنا حينذاك في الجزائر نحارب البدع التي أدخلها من يدّعون التصوف على المجتمع الإسلامي.وجرى بيني وبين المرشد نقاش حول هذه المعاني ، لمست فيه علم الرجل وكثرت الإجتماعات بيننا وتوطدت الصلة)) [1].

وفي مصر كان الورتلاني مهتما بالصحف والمجلات ،وخاصة تلك التي تهتم بقضية الجزائر "كجريدة مصر"، و "جريدة النذير"، والتي كان من كتّابها الأمير مختار الجزائري ،حفيد الأمير عبد القادر الجزائري [2].

كما كان للورتلاني –إضافة لما ذكرناه – علاقات تربطه بكلّ من: "" **رشيد رضا مؤسس مجلة المنار،جمال عبد الناصر،محمد مصدق، طه حسين، العقاد،** وغيرهم"" من أعلام الفكر، والسياسة ،والأدب، والثقافة .

_ وهدفه من هذه العلاقات هو توثيق عرى الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، وربط الجزائريين بأعلام الفكر والثقافة ،بعد أن ظلّت الأبواب موصدة في وجوههم لعقود من الزمن .

_وقد نزل _الأستاذ الورتلاني _ضيفا على الحكومة المصرية في عهد"" جمال عبد الناصر"" ،كما لقي حينها كبار المسؤولين ،فكانت لقاءاته_ تلك_ فرصة للتوعية، والتوجيه ،السياسي[3].

أهم أعماله بمصر:

ومن أهم الأعمال التي قام بها وساهم في تأسيسها:

1)–اللجنة العليا للدفاع عن الجزائرالتي أسست بالقاهرة سنة 1942م.

2)–جمعية الجالية الجزائرية التي أسست أيضا في نفس التاريخ تقريبا.

---

[1] ذكر ذلك في جريدة الدعوة المصرية ،العدد104،نقلا:عن مقال، مولود عويمر، (حسن البنا كما عرفه الورتلاني)، جريدة البصائر (الجديدة) ،الجزائر، ع695،ص13.

[2] أبو لقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج5،ص602.

[3] المرجع نفسه ،الصّفحة نفسها .

3)-جبهة الدفاع عن شمال إفريقياأسست بمصر سنة 1944م [1] .

-المطلب الثالث: الورتلاني في اليمن .

لقد كان للورتلاني الفضل في تغيير أوضاع اليمن و إخراجه من عصر الجهل و التخلف و الجمود إلى عهد التقدم و التحضر.وهنا ينبغي أن نبدأ القصة من الأول ،حيث أن الأستاذ الورتلاني ،ذهب إلى اليمن باقتراح من الأستاذ "حسن البنا" المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر , مع مجموعة من الأساتذة المصريين و اليمنيين في سنة 1948 م ، و لم يكن للأستاذ الفضيل الورتلاني أو للأساتذة المصريين أي ضلع أو تشجيع في القيام بالثورة أوالإنقلاب الذي انتهى بمقتل"" الإمام يحي"" ملك اليمن , و إنما بعض الأنظمة الرّجعية في المشرق العربي و بتأييد من أوروبا الإستعمارية حاولت إقحامه في المؤامرة و الإنتقام بغية إبعاد مثل هؤلاء العظماء و الأبطال في النضال العربي الإسلامي عن الساحة السياسية ((حتى تبقى دار لقمان على حالها)) و لكن رياح التغيير بعد إنتهاء الحرب العالمية و نجاح الحلفاء و ما وعدو ا به في حق تقرير المصير و التحرر بالنسبة للشعوب ساعدت على الإنفراج و عودة الشيخ الورتلاني إلى القاهرة معززا مكرما من طرف جامعة الدّول العربية بعد نجاح الضباط الأحرار و إنتهاء عهد النظام الملكي الفاسد في سنة 1952 و صار الشيخ الفضيل الورتلاني ينعت بالمجاهد الكبير يصول و يجول و يدعو صراحة إلى التضامن و التعاون بين أبناء العروبة و الإسلام لفك و كسر الأغلال، لخوض معركة التحرير الوطني و استرجاع حرية شعوبها و الإستقلال الوطني[2] .

يقول أحمد الشامي وهوأحد المشاركين في هذه الثورة ((إنّ العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن في القرن الرابع عشر الهجري ، _العشرين الميلادي _، و

[1] الفضيل الورتلاني ،الجزائر الثائرة، مرجع سابق ، ص34.

[2] محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص276_278.

أنّه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنّما وضعها على "زرّ دولاب تاريخها " فدار بها دورة جديدة))[1].

ومن المهمّ معرفته أيضا،أنّ الشيخ الورتلاني كان في اليمن ، في مهمة عمل أخرى،حيث كان موفدا من طرف الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين بمصر ليدير شركة تجارية مقرها مصر،تابعة للإخوان المسلمين ولها امتيازات واسعة في اليمن وذلك لخبرته في الميدان التجاري.[2] وقيل أيضا أنّ الورتلاني كان موظّفا بشركة (إنجليزية ،سعودية)،وكانت مهمّته باليمن في منتصف الأربعينات تأسيس شركة تجارية [3].

وبما أنّ موضوع مشاركة الورتلاني في ثورة اليمن الذي لا يزال غامضا عند البعض فيمكن توضيحه بهذه الآراءوالشهادات .

-رأي المؤرخ اليمني عبد الله الشماخي في دور الورتلاني باليمن :

يرى الشماخي أنّ الورتلاني جاء إلى اليمن مبتعثا من قبل حسن البنا ،وروح الحماس والإصلاح تتملّكه فطاف في مختلف أنحاء اليمن بدءا من صنعاء ،إلى عدن ، إلى تعز وغيرها من مدن اليمن وقراه ،وفي" تعز" اتّصل بالقاضي عبد الرحمان الأرياني، وأحمدالشامي ، وقاموا مع بعض الدعاة والمصلحين،بإلقاءمحاضرات،وإقامة ندوات في المدارس والمساجد،فتحمّس النّاس ،حتىّ وصل الحال إلى شيئ من التّوتر وكان ذلك سنة (1948م)،وحينها أرادوا القبض عليه ، فأفلت من قبضتهم،وفرّ رفقة صديق له، هو الدكتور مصطفى الشكعة المصري حيث وجدوا مركبا بحرياّ فهربا فيه، وبقيا طيلة شهرين كاملين ،يبحثان عن مكان للّجوء إلى إحدى البلدان العربية،ولكن من دون جدى حتى وافق

[1] أحمد بن محمد الشامي ، رياح التغيير في اليمن ، المطبعة العربية ، جدّة ،ص190.

[2] انظر: يحي بوعزيز ،أعلام و الفكر والثقافة، مرجع سابق ،ص187 وما بعدها ،وانظر : محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص318.

[3] يحي بوعزيز ،المرجع نفسه،ص187 وما بعدها ،وانظر : محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص318.

السيّد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان على لجوئه إلى لبنان،بصفة متخفية تجنّبا للمشاكل والمضايقات العربيّةوالأوروبية [1].

-رأي الأستاذ أحمد الشّامي:

يرى الشّامي أنّ الورتلاني كان له دور فعّال في نهضة اليمن وفي صنع ثورة الدّستور سنة1367هـ-1848م،وأنّه هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن،غير أنّ الأستاذ أحمد الشامي،لم يذكر التصرّفات الفعليّة التي تجعلنا نوجّه الإتّهام المباشر للورتلاني في التّحضير للإنقلاب على حكم الإمام يحي حميد الدّين ،سوى أنّه_أي الورتلاني_ تزامن وجوده فيها، _أي اليمن _ في فترة تحضير الضبّاط الأحرار للإنقلاب ضدّ ملك البلاد-في كتاب "أسرار ووثائق الثورة اليمنيّة"،أنّ ، الحركة الإنقلابيّة ،- والتي أدّت إلى مقتل الإمام يحي حميد الدّين،وتولّي الامام أحمد شؤون الحكم بعده-كانت ثورة شعب يقودها ضبّاط عسكريّون،منهم من شارك بعد ذلك في الإنقلاب على الإمام أحمد ،ومواجهته لحركة انقلابية،عام 1955م.وأنّ هذه الثورة نتيجة لتأثّر المجتمع اليمني بدعوات التحرر في خارج البلاد [2].

-ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّ تواجد الورتلاني في اليمن كان لسببين هما :

الأوّل: تأسيس شركة تجارية.

والثّاني:القيام بواجب الدّعوة التي هي شعار للورتلاني وغيره من أعلام الإصلاح،والذي صادف وجود فترة مخاض في تاريخ اليمن المعاصر.

ومنه، _وبما عندنا من معطيات _،نبرّئ الأستاذ الورتلاني من تهمة المشاركة ،أوالتّحريض على قتل الإمام يحي حميد الدّين ملك اليمن.

---

[1] لمعرفة المزيد عن ثورة اليمن ودور الورتلاني في " نهضة اليمن" انظر: **1**_ أحمد بن محمد الشامي،مرجع سابق،ص190.وما بعدها، وانظر:**2**_حسن العشماوي ،حصاد الأيّام أو (مذكّرات هارب) ،دار الفتح للطباعة والنّشر، بيروت ،ط2 ،52_54. و انظر أيضا:**3**_أحمد الرحومي وجماعة آخرون ،أسرار ووثائق الثورة اليمنية ،تقديم:علي عبد الله صالح،مراجعة:خالد بن محمد القاسمي ،دار الثقافة العربية ،الشارقة، ،1993 ،ص 16وما بعدها.

[2] يحي بوعزيز ،أعلام و الفكر والثقافة ، مرجع سابق، ص187وما بعدها .

ولوكان الورتلاني كذلك لما رفع عنه حكم الإعدام الذي كان موجّها إليه، ولما طلب منه الإمام أحمد–فيما بعد – النّصيحة، والمشورة،والتّوجيه، في سبيل القيام باليمن، ولاأدلّ على ذلك أيضا، من التّقرير التّالي والذي نذكره مختصرا حتى نبيّن قيمة الورتلاني في تاريخ اليمن وبراءته من دم الإمام يحي ملك اليمن:

تقرير عن اليمن: [1]

بسم الله الرحمان الرحيم :

حضرة صاحب الجلالة [2] مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ربي العالمين أيدكم الله :

مولاي, أرجو أن تسمحوا جلالتكم أولا أن أتوجه إلى الله جلت قدرته بالدعاء من صميم الفؤاد أن يكافئكم على ما شملتموني به من كريم الأخلاق و غمرتموني به من غالب الثقة التي أجدني معتزا بها من جهة لصدورها من مقام شريف و جليل , و متخوفا منها من جهة أخرى خشية العجز عن القيام بواجب أداء ثمنها كاملا و ما ثمنها إلا عميق الحب و واسع الأحترام ثم النصيحة الكاملة في أدب و حكمة و إخلاص , و من لي (يا مولاي) بذلك كله إذا لم يسعفني الله بتوفيقه و تتجاوز جلالتكم عن تقصير ,أسأله تعالى جلت قدرته أن يمدني بروح من عنده حتى ,أستطيع أن أؤدي بعض ذلك الواجب المقدس .

يا صاحب الجلالة : بما أنّ أيّ إصلاح مادي في الحياة يتوقف على الثورة و المال أحببت أن أتحدث إلى جلالتكم أولاّ عن ثورة اليمن و قبل ذلك ليسمح لي مولاى أن أتقدم بين يدي التقرير بمقدمة ظاهرها بعيد عن الموضوع و باطنها في صميمه فأقول : إن ابلغ وصف يا مولاي لبلاد اليمن السعيدة هو الذي جاء به القرآن الكريم الذي انزل على جدنا العظيم صلوات الله و سلامه عليه قال

---

[1] هذا التقرير كتبه الورتلاني للإمام أحمد ابن الإمام يحي ، بعد طلبه النصح والمشورة منه ، وفيه تظهر قدرات الورتلاني ومواهبه، وكذا سعة اطلاعه، وبعد نظره ،انظره كاملا في ثلاثين صفحة في كتاب: محمد العيدتاورته ومسعود الورتلاني ،مرجع سابق ،ص104_134.

[2] قلت :الملاحظ أنّ الشيخ الورتلاني قد كرّر كثيرا هذه اللّفظة _صاحب الجلالة_وكان الأولى إستبدالها بغيرها، لأنّ صاحب الجلالة هو الله جلّت قدرته .

الله جلت قدرته: ٹ ڈ چ ٱ ٻ   ٻ   ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پڀ ڀ   ٺ ٺ ٺ ٿ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ڈ چ [1]

إنّ من مميزات كلام الله كما تعلمون الخلود و الإعجاز و حظ التذكير لنا في هده الآيات أنه من ناحية الخلود يؤخذ ان طيبة البلد أمر مستمر إلى يوم القيامة ،و من ناحية الإعجاز يؤخذ من كلمة(طيبة) عدم قدرة أحد من الخلق أن يصفها بكلمة واحدة مثلها على شمولها ، لكل ما تنطوي عليه من خيرات نافعة ، ثم إنه لولا كثرة ما أودعه الله فيها من المنافع ما جعلها عبادة في كتابه العزيز يتعبد بها إلى يوم القيامة . فكأن الله تعالى و هو أعلم بالمراد ، يخاطب المسلمين بواسطة كتابه الكريم أن يحتفظوا بهذا البلد الطيب ولو كلفهم ذلك ثمنا غاليا من دمائهم و حياتهم ، و هذا ما حصرتم عليه جلالتكم في كل ما مضى جزاكم الله عن اللإسلام كل خير ، و كأنه عز و جل في الوقت نفسه يحثهم في المبالغ في البحث و التنقيب و العثور على ما في هذه التربة من (طيبة) يستعينون بها على إعزاز الجماعة المسلمة لأنه قد قضى بأن العزة لله و لرسوله و للمؤمنين و إعلاء كلمة الحق في هذه المعمورة ، و كأنه يقول :أنا أكتفي بوصف البلدة (بالطيبة) و انا اصدق الواصفين , و اكتفي بالإنعام عليكم بعقول مدركة و قد قلت ٹ ڈ چ چ چ چ چ [2] و أجسام كاملة و قد قلت: ٹ ڈ چ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٿ چ [3] و أغريكم ، و اتلوا إن شئتم نبأ من قبلكم ٹ ڈ چ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ   ڃ   چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ   ڍ   چ [4] و العلة تدور مع المعلول وجودا و عدما و لن تجد لسنة الله تبديلا , و هنا يبدو من ظاهر الآية الكريمة ان الخيات كامت شاملة في هذه البلاد و ان العمران كان عاما و متصلا مع ثروة و رفاهية ، ذلك من قوله تعالى: چ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڈ   ڈ   ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ   چ [5] الآية ... ،و لم تعد القرى الآن مع الأسف ظاهرة فكثيرا ما يسير المسافر في اليمن الحاضرة عشرات الأميال و لا يقع بصره على قرية ظاهرة , و في الوقت نفسه لولا ما أكرم الله به هذه البلاد من حزم جلالتكم و الأخذ بناصية الأمور لما كان هنا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 سورة سبإ؛ الآية 15 .

2 سورة النساء؛ الآية 82.

3 سورة التين؛ الآية 4 .

4 سورة سبإ؛ 17/16.

5 سورة سبأ ؛الآية 18 .

من أمن لقاة العمران تبعا لقلة الثروة خلافا لما كان عليه في الماضي والذي تشير إليه الآية :چ ک گ
گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ چ [1]

و يشتم من (باعد بين أسفارنا)أنّ القرى كانت متلاصقة فكانت مراحل أسفارهم قريبة فكان الأمن شملا بسببه و لما أعرضوا عن شكر الله خرب سدودهم و تعطلت زراعة أرضهم فشاع فيهم الجوع فتفرقوا ايدي سبأ و الله أعلم .

ثورة اليمن الزراعية:

لا شك أن التأمل القليل في الآيات السابقة يبعث الإطمئنان في قلب المؤمن على طيبة هذه البلاد و اشتمالها على خير كثير و الإطمئنان النفسي من طريق الإعتقاد ليس بالأمر الهين في الإقبال على الأعمال العظيمة فلننتقل الآن إلى البحث العلمي و لنبدأ بالزراعة لأهميتها في هذا البلد : يا صاحب الجلالة أنا لست مهندسا رزاعيا حتى أسمح لنفسي بالدخول غي التفاصيل و لكن تجاربي و مشاهداتي في الحياة ، ثم وقوفي في نفسي على أرض اليمن ، كل ذلك يسمح لي بأن أبدي رأيا عاما في موضوع الزراعة و ما يترتب عليه من نفع مباشر و غير مباشر و ما تستدعيه إقامتها من وسائل : يبدو لي بناء ما سمعت ممن عرفوا أرض اليمن و مما شاهدته في طريقي من عدن إلى تعز و من تعز إلى الحديدة و من الحديدة إلى صنعاء ثم الأماكن التي زرتها في هذه البلد أنّ 75 في المائة من أرض اليمن غير مزروع و أنّ خمسة و عشرين منها مزروع زراعة ناقصة و أنّ هذه الأرض في مجموعها تصلح لكل نبات معروف في الدنيا ، و تمتاز بصلاحيتها لبعضها دون أكثر أراضي الدنيا ، ففي اليمن شجرة البنّ لو عني بها عناية عظيمة فنية و أكثر منها في الأماكن الصالحة ومة بواسطة قوة الحكومة أو الشركات لكانت وحدها مصدر ثروة للحكومة و الشّعب على السّواء و في اليمن التنباك مثل البن و بالضبط يمتاز التنباك بأنّ الحكومات في جميع أقطار الدنيا تحتكره... .

يا صاحب الجلالة :لقد أصبحت المناجم في هذا العصر محل عناية جميع دول العالم لتقدم العلم و الحضارة فالعلم إستطاع أن يحلّل جميع أجزاء الأرض و يستخرج من كل نوع منها منفعة أو منافع و الحضارة كثرت طلباتها في الحياة فنمت أسباب الضرورة إلى المعادن فاتجهت العناية إلى المناجم بكيفية

[1] سورة سبإ ؛الآيتان 18و19. (6)–سبأ : قبيلة يمنية مشهورة كانت تسكن مأرب على بعد حوالي (100)كلم من صنعاء .

تشبه الجنون حتى صار من المبررات عند الدول الكبرى إحتلال بلاد الناس بسبب وجود المناجم فيها . و لا شك أنّ جلالتكم تعلمون أنّ سبب إحتلال ألمانيا في أيام الحرب لكثير من الدول بهذا المبرر منها رومانيا لوجود البترول و لا يزال النزاع بين الدول على أشده بسبب وجود المناجم فيها ، من ذلك الخلاف الذي حصل على إيران و قيام ثورات فيها بإيعاز مكشوف من قبل الحكومات . فمن الحزم إذا أن يضع الإنسان _ لاسيما الضعيف_ برنامجا محكما لاستغلال هذه الثروة الأرضية الخطيرة ليسعد بها هو و أمته .

إنّ الخبرة في أي عمل من الأعمال هي بمثابة الروح للجسم فكل عمل لا يقوم على خبرة فهو جسم من غير روح لقد قال تعالى: ﴿ ﴾[1].

يا صاحب الجلالة : لقد تفضلتم في إحدى الجلسات التاريخية العظيمة التي شرفتموني بها بعدما تفضلتم بالاستماع طويلا ألى خادمكم هذا أقتنعتم بما عرضه على مسامعكم الشريفة _قلتم جلالتكم لقد عرفنا الداء الآن و عرفنا الدواء فماذا بعد ؟ قلت لجلالتكم في كلمة واحدة _العلم_ العلم في كل شيئ العلم أولا بديننا علما صحيحا , و العلم في الزراعة في الصناعة في التجارة في الميكانيك في الكون بجميع أجزائه المال و الرجال يا صاحب الجلالة : يقول العارفون إن المال هو عصب الحياة , و لكن الذي يصنع المال هم الرجال فأين المال و أين الرجال ؟ الجواب أن في مملكتكم مالا و رجالا فأما المال ففي ما وصفناه من سطح ارض لكتكم و بطنها , و اما الرجال ففي المن من الرجولة ذكاء خارق و احتمال و صبر نادر و قناعة متناهية , و إنما كلاهما لا يزال (حقا) مادة خام يحتاج الى تحويل فبمن يكون البدء؟ استعداد البلاد العربية للتعاون .

[1] سورة فاطر ؛الآية 14.

إنّ أرض جلالتكم كلّها كنوز و إنّ أذهان رجالكم كلها كنوز إنما تحتاج إلى استخراج و استعمال فلأجل البدء باستخراجها يجب أن تنفق حكومتكم بكل سخاء و جرأة لأن كل تنفقونه يأتي بعشرة و قد يأتي بمائة و قد يأتي بألف و مادام إنفاق ما ادخرتموه جللتكم بحسن تدبيركم و عفافكم مصلحة عظمى لشعبكم و لبيت المال نفسها فالله تعالى لا يطالبكم بادخاره إلى وقت آخر مع أن المشروع في هذه الإصلاحات يرجى أن يأتي بإيرادات عظيمة في أول عام و هنا أشعر بأمانة في عنقي يجب أن أؤديها و هو علمي اليقين بما يحمله إخوانكم العرب من حب و عطف لمملكتكم الكريمة و ما لديهم من إستعداد لمساعدتكم بكل همة و إخلاص غير منتظرين من وراء ذلك غير وجه الله الكريم حتى يرو هذه المملكة الشقيقة سعيدة و مهيبة .

اعتذار:

يا صاحب الجلالة : لقد قمت بوضع هذا التقرير في وقت سريع و في حالة مضطربة فإخواننا التجار يترددون علي أثناء الكتابة طالعين نازلين لاجل إتمام عمل المشاركة ,و صحتي متأخرة و بالي مشوش لما سبق أن أقضيت به لجلالتكم من مسؤوليات كبيرة في مصر و قد فعلت ذلك في مثل هذه الأحوال طاعة لأمر جلالتكم الكريم فإن كان فيه شيئ من التوفيق فمستمد من روح جلالتكم و ما غمرتموني به من عطف و ثقة , و أما فيه من النقص فمرجعه إلى قصور خادمكم و إلى الاسباب المتقدمة و التقرير في الوقت نفسه عرض عام فإن أمرتم جلالتكم باي إيضاح أو تفسير فخادمكم تحت أمركم في كل حين[1] .

[1] انظره كاملا في كتاب: محمد العيدتاورته ومسعود الورتلاني ،مرجع سابق ،ص104_134.

– المطلب الرابع: الورتلاني في أقطار شتى من العالم .

(سوريا ،لبنان،باكستان،الأندلس،بورما،تركيا،وبلدان أوروبية ،وعربيةأخرى.)

(نموذج من أسفاره):

في الوقت الذي كانت ظروف السّياسة في غاية الدّقة دوليا،و في الوقت الذي كانت تلاحقه أكثر من حكومة إستعمارية و شبه إستعمارية ، كان يعمل مقيماو يعمل مسافرا ، فيكتب المقالات الطوال بأسماء مستعارة ، و يشتغل بأوراق موضوعة مرتبة ، و يستعمل صفة الصحافة مندوبا متجولا لبعض وكالات الأنباء، و بعض الصحف الكبرى .

الورتلاني في أوروبا :

ابتدأت رحلته سنة 1950 ، من (سوريا فتركيا فاليونان فإيطاليا فسويسرا فلوكسمبورغ فبلجيكا فهولندا فانكلترا فإرلندا الحرّة فاسبانيا فالبرتغال فالمنطقة الخليجية فطنجة)، و عاد منها حالّا بأكثر هذه البلاد للمرّة الثانية ، و قد أقام في كلّ تلك البلاد كلّ على قدر ما يتطلّبه العمل فيهاو التقى بكثير من رجال المغرب العربي المسؤولين على اتفاقات سابقة ، في سويسرا و لندن و غيرهما، و لما ابتدأت أزمة سلطان مرّاكش مع الجنرال جوان كان الورتلاني في لندن ،فطار منها إلى اسبانيا فتطوان فطنجة ، ليساهم مع المواطنين في مواجهة تلك الأزمة و بقي مع اخوانه هناك ، متنكرا من سلطات فرنسا و جواسيسها مدّة كافية، فكان له فيها مساعي فعالة مشكورة و كان له في جميع تلك الأقطار اتصالات واسعة مع زعمائها وقادتها و حكامها ، عادت على بلاد المغرب العربي خاصة و على العرب عامة بشيئ كثير من النّفع [1].

[1] الجزائر الثائرة ،مرجع سابق ،ص 473.

وفاء الورتلاني لإخوانه و تلامذته:

كانت واجبات هذه الرحلة العامة التي استغرقت ستة أو سبعة أشهر جديرة بأن تستغرق كل أوقاته فلا يبقى له نصيب منها للسؤال عن أصدقائه و تلامذته المنتشرين في جميع أطراف المعمورة ، و لكن وفاء الرجل لكلّ ذي حقّ عليه و همته وطاقته الفذّة جعله على إتصال دائم بكلّ هؤلاء فلقد كان في هذه الرحلة يكتب إلى الرسائل دائما ، و كنت أعلم أنّه كان يكتب لعشرات مثلي في الشرق و الغرب بل كان يبعث بواسطتي مقالات ذات أهمية كبرى ، لبعض الصحف ننشرها تحت أسماء مستعارة [1].

_رحلته إلى الشرق : لم يكد الورتلاني يأخذ بعض راحته بعد عودته من أوروبا إلى لبنان ، حتى استأنف الرحلة إلى الشرق. فابتدأت هذه الرحلة من الكويت ،فايران، فالسعودية، فالبحرين، فالباكستان ،فالهند ،فالباكستان الشرقية، فبورما ... فسنغافورة، فاندونيسيا . و كان له في تلك البلاد أعمال نافعة و آثار عظيمة و صلات مع أهلهاحكوميين و شعبيين كريمة ، فحاضر و خطب ،ووجه ،و نصح ،و عاد في طريقه مارّا بأكثر هذه البلاد للمرّة الثانية ، و كانت له أعمال و مساعي، مثلما كان له في الأولى، و كان في أكثر هذه البلاد ضيفا على حكومتها ، مكرما و حرا و ناصحا صريحا عفيفا لا يقبل عطاءا، و لا هدية من عظيم مهما علت منزلته ، و حضر في أثناء هذه الرحلة ، ثلاث مؤتمرات إسلامية عالمية و انتخب عضوا أساسيا فيها جميعا ، أحدها ،المؤتمر الإسلامي العالمي ، و الثاني مؤتمر علماء الإسلام ، و الثالث مؤتمر الشعوب الإسلامية ، و انتدبه الأوّلان انتدابا رسميا في رحلة عالمية عامة و قام بجزء كبير منها[2].

_أعماله في لبنان : إن لبنان بلد صغير ضيق ، و كبير واسع في آن واحد فهو في حجمه و عدد سكانه ،صغير و ضيّق ، و لكنه في موقعه و مركزه كبير و واسع، ففي بيروت يلتقي أهل الأرض جميعا

[1] المرجع نفسه،ص474.

[2] المرجع نفسه ،ص474-475.

في كلّ يوم، فمنهم القادم إلى التجارة ، و منهم القادم للإصطياف و الإشتاء،و منهم القادم لأعمال سياسية ، ومنهم للّهو و ما أشبه ذلك ، حتى أنّهم ليزعموا أن الجاسوسية العالمية ، بحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، متمركزة في لبنان ، وزاد في رغبة النّاس لزيارة لبنان هذه التسهيلات الواسعة في المواصلات الجويّة و البحرية و البرية، و حرّية النّقد و التجارة و حرية الدخول و الخروج من غير اجراءات ،أو بإجراءات خفيفة عادية ، ووجود مثل الورتلاني في لبنان يجعله بحكم هذه الظروف الدّولية كأنّه موجود في قلب العالم، يستطيع أن يتصل بجميع أطرافه من غير الإنتقال إليها و لا سيما في موسم الإصطياف .يقول الأستاذ رفيق سنو (مدير الشؤون الإجتماعية بلبنان): ((و لقد كنت أنا الشاهد كيف يتابع أخبار الداخلين و الخارجين و المارّين من المسؤولين ليلاحقهم ويتصل بهم و يبلغهم رسالة وطنه ، و ينبّههم إلى واجباتهم الخطيرة نحوه . و كثيرا ما كنت أصحبه أنا بنفسي و انقله في سيارتي الخاصة ، و أشاهدكيف يكون الدفاع على الأوطان ، و كيف يكون التأثير و الإقناع و كيف يكون الصبر و الجرأة والإحتمال ، يجتمعون في وقت واحد . و نجد الورتلاني بجانب هذه الأعمال العامة المرهقة يستقبل العددالعديد من ذوي الحاجات الشخصية ، من لبنانيين وأغراب)) [1].

[1] المرجع نفسه ،ص474-475.

-المبحث الخامس:موقف الورتلاني من القضايا الجوهرية للأمة.

-المطلب الأول :القضية الجزائرية .

-المطلب الثاني:القضية الفلسطينية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:القضية الجزائرية .

لقد تعزّز موقف الورتلاني بإلتحاق العلامة المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالقاهرة سنة 1952م ، حيث شرعا في العمل من أجل استقبال الطلبة الوافدين من الجزائر لمواصلة الدراسة في الجامعات و الكليات العسكرية لتحرير الجزائر خصوصا في اليوم الموعود ،-أي الثورة المباركة-. هكذا شاءت إرادة الله أن تنطلق ثورة التحرير في الجزائر ليلة الفاتح نوفمبر 1954 م الموافق ليوم 6 ربيع الأول 1347 هـ , ليعلن المجاهد الثائر و الداعية الكبير الأستاذ الفضيل الورتلاني ترحيبه بها طالبا من الشباب الجزائري الإلتحاق بصفوف المجاهدين , و نشرت الجرائد المصرية تصريحه في يوم 03 نوفمبر 1954 م , و أكدّه بتصريح آخر يوم 15 نوفمبر 1954 م رفقة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ البشير الإبراهيمي و باسم مكتب جمعية العلماء في القاهرة و قد سبق الأستاذ فضيل الورتلاني أن قام بزيارة الكثير من أقطار المشرق العربي و الإسلامي , و التقى بزعمائها و قادتها و علمائها, و خطب في جماهيرها و طلب منهم مساعدة الجزائر و ثورتها التحريرية و جهادها في سبيل إعلاء كلمة الله و تحرير الدين الإسلامي من حقد الصليبية الأوروبية كما زار بعض البلدان الأوروبية في زي متنكر مارا بأرض الأعداء ليصل إلى الإخوة في الريف المغربي لكي يحثهم على جمع الكلمة و توحيد جميع أبناء شمال إفريقيا للقيام بثورة شاملة و بقيادة موحدة مشتركة فهناك وثائق و صور تاريخية تبين ما قام به الورتلاني من جهود شخصية و تضحية متناهية لتحقيق هذه الأهداف التي قضى ما يقرب من ثلاثة عقود , و أكثر من نصف عمره في السعي الحثيث , ليصل إلى ماكان يتمناه و يجاهد من أجله و تخلى عن جميع ما يملك في وطنه الجزائر من مال و أهل , ليسجل هذه الصفحات المشرقة في كتاب الجهاد و الخلود لأبناء الجزائر في الشرق أو في الغرب , في أرض الأجداد و الأشقاء , أو في أرض الأعداء , ما دام الهدف واحد , و الغاية واحدة , و البواعث نبيلة لا تختلف من حيث الجوهر , و إ ن اختلف الأسلوب في العمل و نوعية الأسلحة , حتى كتب الله النصر للفئة القليلة على الفئة الكثيرة و استرجعت الجزائر سيادتها و استقلالها و جاء يوم 05 جويلية 1962 م ليمحو شؤم 5 جويلية 1830 باحتلال الجزائر و بداية المقاومات الشعبية لهذا الغزو الأوروبي المسيحي الذي استهدف كامل منطقة المغرب العربي و افتضحت نواياه و أفعاله كأبشع و أشرس استعمار ابتليت به الأمة العربية و الإسلامية[1] .

[1] محمد العيد تاورته ومسعود الورتلاني ،مرجع سابق ،ص40-41.

و ما أحسن قول شاعر الثورة مفدي زكرياء :

و قال الله كن يا شعب حربا على من ظل لا يرعى جنابا
و قال الشعب كن يا رب عونا على من بات لا يخشى عقابا
فكان و كان من شعب و رب قرار أحدث العجب العجابا

وخلاصة القول: إنّ شخصية المرحوم المجاهد الفضيل الورتلاني متعددة الجوانب و لا يكاد يحيط بأغوارها أحد ، مهما أوتي من المعرفة و الاجتهاد في الكشف عنها و عن أسرارها ، مثل البقية العباقرة و العظماء الذين صنعوا الأحداث و غيروا بإرادتهم مجرى التاريخ .

فهو _ أي الورتلاني _الخطيب المصقع ،و المرشد الأمين و العالم الملهم ، و الداعية الإسلامي المسموع و المجاهد الملتزم بقضايا و نضال وطنه الصغير الجزائر و وطنه الكبير العالم الإسلامي الفسيح ، ذلك أنه آمن أنه صاحب رسالة يجب عليه تأديتها في هذه الحياة بكل تفان و إخلاص ، و بروح من الإستماتة و التضحية من أجل إنتصار الحق على الباطل و إعادة مجد الإسلام و عزة المسلمين كما كانوا في العهود الذهبية الزاهرة , و المساهمة من جديد في بناء الحضارة الإنسانية الحقّة التي لا تهدد بعنصريتها الإنسان و ما يحيط به في هذه الكرة الأرضية ، و لكنها حضارة تضمن التوازن بين المادة و الروح ، و العمل للدنيا و الآخرة معا ، حضارة رفع لواءها نبي الإسلام و رسول الهداية ليكون رحمة للعالمين .

فرحم الله كل شهيد في هذا الوطن ، و أعلى منارة الإسلام بهم ،كما كان الشهداء يهتفون بشعار' الله أكبر' و رحم المجاهد الداعية الشيخ الفضيل الورتلاني ، و جميع من جاهد بلسانه و قلمه ، أو بنفسه و ماله جهاد الصادقين المخلصين ، و جزاهم عن الأمة الجزائرية الحرة المستقلة و عن الأمة الإسلامية الطامحة إلى إستكمال قوتها و عزتها ، بما يجازي به النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصّالحين 'وحسن أولائك رفيقا' ، المجد و الخلود لشهدائنا الأبرار[1] .

–المطلب الثاني :القضية الفلسطينية.

[1] المرجع نفسه ،ص42.

لقد كان لقضيّة فلسطين نصيب ليس بالهيّن ووقت ليس بالقليل من وقت الشيخ الورتلاني – حيث أنّه–كلّما سنحت له الفرصة بذلك استغلها في سبيل الدفاع عن فلسطين وأرض فلسطين التي دنّسها أولئك الأنذال "إخوة القردة والخنازير"من اليهود والصهاينة الغاصبين ،وخير شاهد على مواقف الشيخ الصامدة في وجه أولئك الغزاة ،تلك المقالات النارية ،والرسائل المدويّة التي كان يكتبها ويرسلها بين الحين والآخر وكلما كانت الفرصة مواتية والورتلاني لم يكن موقفه هذا هوالأوّل ، بل حتى ابن باديس والإبراهيمي وغيرهممن أعلام الجمعيّة كان لهم مواقف مشابهة في هذا الباب.

نموذج من مقالات الورتلاني ورسائله حول فلسطين:

يوم إفريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين:[1]

_((يوم افريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين نداء الجبهة الى العرب من هيئات و أفرادأرسل هذا النداء من الجبهة إلى جميع الهيئات العربية و الإسلامية و نشر في معظم الصحف أيها العرب الامجاد , لعل من الخير أن نعلم جيدا أن ما نبذله في سبيل فلسطين العربية أقل بكثير ما يبذله الصهيونيون فمن أجل ذلك تأخر النصر الذي وعد الله به المظلومين فقد بذل الصهيونيون أموالا طائلة في سبيل استعبادها و لم نبذل نحن في سبيل التحرير غالبا إلا الكلام و لسنا (والله) بالفقراء كما يتوهم الكثير فلو جمع كل عربي منا جنيها واحدا ثم استغنى عنه لصندوق العربية مثلا وهو ما لا يعجز عنه أحد لتجمع لدينا ثمانون مليونا من الجنيهات نستطيع ا ناهد بها الجبال فضلا عن شراء أراضي فلسطين جميعا . ثم بذل الصهيونيون في سبيل إذلالنا أرواحا كثيرة و أسالوا دماءا غزيرة وهم من وصفهم القرآن بأنهم أحرص الناس على الحياة و لم نبذل نحن ايضا للدفاع عن عزنا غالبا (ونحن نتربص باحدى الحسنيين) إلا الكلام و لست مع هذا بالمقلل من شأن الكلام إذا كان الكلام(لقي الفؤاد) و إنما جعل اللسان عليه دليلا إنما اخشى ان يصير الكلام لنا حرفة و كيفما تم مرضا نتلهى به كما يتلهى الأطفال باللعب فيحل الهزل محل الجد و يكون من وراء ذلك (لا سمح الله) بلاء عظيم ثم أن اليهود اتخذوا لهم زعماء احاطوهم بسياج من التكريم و التقديس دونه تكريم و تقديس الملوك و لنا نحن زعيم واحد هو سماحة

[1] الجزائر الثائرة ،مرجع سابق ،ص 308.

المفتي الأكبر وهبه الله كل معاني النبل و جعله رمزا لخلود فلسطين العربية فأقلّ ما يقال أنّه لم يجد منا كل ما يليق بمثله)) .

أمهّد بهذه الكلمة لأسجل (من ناحية) عدم الرّضى عن مقدار ما قدّمه العرب إلى الآن لصالح قضيّة فلسطين كما و أنّهم من ناحية أخرى لم يقصّروا من حيث إبداء الإستياء و إلهاب الشعور في المناسبات المختلفة فلقد كتبوا كثيرا و خطبوا كثيرا و قامت المظاهرات المتعددة و الإضرابات المتكررة و قد أطلقوا على بعض هذه الأيام (يوم فلسطين المجاهد) و لم يذهب ذلك سدى بل كان له أثره العظيم و لعل أول الحرب كلام ثم غضب ثم بذل للأموال و الأنفس ثم فوز من نصر مبين بإذن الله . أقول هذا عن فلسطين العزيزة و هنالك كتلة عظيمة أخرى عربية تقاسي الامرين أصابها حيف كبير من اخواننا العرب و ليست ظروفها (من جهة) باقل خطورة من ظروف فلسطين المجاهدة ولن يستطيع العرب (من جهة أخرى)أن يحيوا حياة العزة و الكرامة بدونها و هذه الكتلة الجبارة هي شمال افريقيا العربي تونس_الجزائر_مراكش _ لم يقسم العرب لهذه الكتلة نصيبها الكامل حتى من هذاالكلام الكلام الملهب للشعور المعبر عن الاستياء و المدلل عن التضامن و الالم المشترك , إن فيها الثلاثين مليونا هم من أكثر العرب عددا و أشدهم بأساو انسجاما و أطولهم صبرا و احتمالا و ينظرون إلى إخوانهم في الشرق كما ينظر الناس إلى الشمس التي تمدهم كل صباح بالنور و الحرارة و يبذلون ثمنا غاليا من أنفسهم و أموالهم و المحافظة على هذا التراث العربي المشترك من قومية و دين هؤلاء المجاهدون و المستميتون من اخوانكم لا يرهقونكم اليوم بمطالبهم و لكنهم يريدون فقط , و في الحاح شديد أن يلمسو شعوركم متدفقا قويا نحوهم , و لما كانت الوسائل لابداء هذا الشعور كثيرة , و قد اعربتم عنه في مظاهر كثيرة نريد أن يتكرر اليوم في صورة أقوى و واضح و اعم , نتقدم بندائنا هذا لجميع الهيئات الاسلامية و المسؤولين من الافراد مقترحين و راجين ان يعملوا على تخصيص يوم يطلقون عليه (افريقيا الشمالية)و نقترح نحن ان يكون هذا اليوم على مايلي :(و للقائمين عليه بعد الرأي الأعلى)نقترح ان يكون الإضراب في ذلك اليوم عاما في جميع الاقطار العربية و ان تصدر في الجرائد بافتتاحيات عاى شؤون هذه البلاد و ان تجمع الهيئات في دورها و انديتها لتنظيم الاحتجاجات ضد عدوان الفرنسيين فيها و ان تنظر في طريقة جديدة لمقاطعتهم عند اللزوم و ان تؤلف لجنة لجمع اكتتابات تواسي بها منكوبي الثورات في تلك البلاد ثم نهيب بالحكومات العربية من جديد على تحديد موقفها من هذه البلاد الشقيقة من الدولة الفرنسية الظالمة بالصراحة و الوضوح . نذكر هذا على سبيل المثال و التفاصيل تدرسها الهيآتعند اجتماعها. أما واجبنا الاساسي في هذن النداء هو أن نلح على المسؤولين لاقامة هذا

اليوم الخالد (يوم افريقيا الشمالية المجاهدة)و ان نؤكد اهم بان اثره عند اخوانهم في المغرب سيكون عظيما و فوق ما سيظنون إن شاء الله)) [1].

في سبيل فلسطين: [2]

((أرسلت الجبهة هذه المذكرة إلى جميع الدول العربية المتحالفة حضرت صاحب .....بعد التحية و الاحترام ترجو جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر رفع المذكرة الآتية لحكومتكم الموقرة مع الشكر الجزيل إن الثلاثين مليونا من اخلص العرب في إفريقيا الشمالية , يعدون فلسطين جزءا من وطنهم الكبير , بل يعدونها بمثابة القلب في سائر الجوارح , لما تنطوي عليه من المعاني المقدسة لهم , و ان كل أذى يتجه إليها يحسون باثره , و يذمرون لالمه قبل سكان فلسطين أنفسهم , و جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بمصر , التي تعبر عن احساسات هذه المجموعة المحترمة , ترى في قرار لجنة التحقيق الإنجليزية و الامريكيةافتياتا على حقوق العرب في فلسطين و عدوانا صريحا على كرامتهم فيها و ان عنصر الهوى في القرار الجائر هو الدفاع الاول و الاخير .و ترى الجبهة ا ن اي محاولة لتنفيذه , تؤدي إلى ما تحمد عقباه من العواقب الوخيمة , أهمها تعريض السلام العالمي إلى الخطر مرة أخرى و دون ذلك تضيع صداقة العرب و المسلمين في جميع أقطار الارض ....تضييعا من أنصاف من ينتسبون إلى الديمقراطية . ثم الميل إلى جانب آخر مضطرين و تفضلوا بقبول فائق الإحترام)) [3].

---

[1] المرجع السابق نفسه ، ص 308.

[2] المرجع نفسه،ص269.

[3] **قلت** :في كتاب الجزائر الثائرة للشيخ الورتلاني ،مقالات عدّة عن فلسطين وعن تاريخ فلسطين ،وأخرى في التعريف باليهود وتاريخهم المظلم ،انظر مثلا:ص38 ومابعدها ص242ومابعدها وغيرها من صفحات الكتاب ،وهو ما يدلّ على مكانة فلسطين لدى العالم والداعية الجزائري عموما والشيخ الورتلاني بالخصوص، – وإذا أردت التأكّد من ذلك- ، انظرعلى سبيل المثال لا الحصر، آثار الشيخ الإبراهيمي ،حينها سترى كثرة المقالات في هدا الباب ._ممّا أدّى ببعض الباحثين إلى طباعة بعضها في كتاب مستقل ،لكثرتها من جهة ،ولأهمّيتها من جهة أخرى _.انظر:عبد الحميد بن بشير دمان المقرّي ، بذل الوسع في شرح مقالات فلسطين التسع (للإمام محمد البشير الإبراهيمي) تقريظ :أبي سعيد الجزائري ،دار الإمام مالك للكتاب ،باب الواد –الجزائر ،ط1 ، 1433هـ_ 2012 م .

-المبحث السادس:الورتلاني مآثر وآثار.

-المطلب الأول: الورتلاني مواقف وعبر .

-المطلب الثالث: وفاته وآثاره.

- المطلب الثالث:شهادات العارفين به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-المطلب الأول: الورتلاني مواقف وعبر .

كتب الأستاذ الشيخ **مبارك الميلي** في جريدة البصائر العدد (86) ،مقالا بعنوان : [1]

(الشيخ الفضيل الورتلاني في طريقه إلى مقر أسرته وما ينصب للمصلحين من عراقيل)

((بعد إنتهاء جمعية العلماء من أعمالها بمدينة الجزائر ، و افتراق اعضائها الى مراكزهم ، أخذ الشيخ الفضيل طريقه الى مقر أسرته و ملعب بنيه الذين طالت غيبته عنهم , و طال شوقهم الى محياه ،و كان هو يشعر بذلك فيحدوه شعوره هذا الى طي المسافة و بينهم طيا ، و لكن كان داعي القيام بمهمته الاصلاحية يحول دون مطاوعة حاديه الى أسرته .

نزل سطيف ، و عقد بها اجتماعا عاما ، حضره خلق كثير فخطب فيهم خطابا بليغا أثر في نفوسهم تأثيرا عميقا ، وزان به طبقة الشباب ، وزاد به تعلق الحاضرين بجمعية العلماء و لم يدعوه يفارقهم حتى و عدهم بالعودة اليهم يوما آخر ، فوثقو بوعده ،و مثله من يفي .

و من سطيف توجه الى بني يعلى ،بدعوة من أهلها و رغبة منهم حتى الذين كانو في اعمالهم بعيدين عن قريتهم و لا يمكنهم الحضور ، و إنما ايدوا برغبتهم رغبة المقيمين من إخوانهم ، و استمعوا الى وحي ضمائرهم بإبلاغ ذلك الصوت الى مواطنيهم .

فقصد أولا **قنزات** [2]، و تحدث بها مرات واعظا مرشدا ، فلم يفارقه التأثير الذي رافقه في جميع مواقفه ، و كان من اثار ذلك التاثير أن أخذوا يستعدون لعقد اجتماع كبير باهر , يستدعون غليه من جاورهم من أهل القرى و المداشر ، فوزعوا المناشير بالعربية و الفرنسية ، و بعثوا بالدعاة و المخبرين مشافهة بهذا الاجتماع الذي اختارو له يوم الجمعة بعد الجطبة و الصلاة

[1] انظر المقال كاملا في: آثار الشيخ مبارك الميلي ،مرجع سابق ،م2،ص 491 _494.

[2] قرية من قرى بني ورتلان .

و دعا أهل الشّريعة [1] فضيلنا فلباهم ،....و جاءه حتى المجاورون لقرية الشريعة ، و أحيا معهم ليلة حتى الصباح ،و خطب فيهم أكثر من عشر مرات ، و كان سر إخلاص الخطيب يظهر على أسارير وجوه المستمعين .

ثم عاد إلى قنزات ... و جاء وقت الصلاة و موعد الإجتماع فاكتظت رحاب المسجد و ساحته بعدما غص داخله بألوف الحاضرين ، و ألقلى الشيخ الفضيل بعد الصلاة درسه في هدوء و سكون ووقار رغم كثرة الحاضرين لا تنضبط إلا بقوة روحية .

و قد ساء أعوان الإدارة المحلية مرور هذا الاجتماع _المنقطع النظير في دائرتها و على عهدها _ من غير حدوث حادث يبرر تدخلها لإفشاء غليلها ممن لم يحترم هواها و إن احترموا قانون دولتها .

فلم تكتف بتطويق المسجد بالحرس ، و جعله كأنه في حصار حتى أصرت إلى القائد و حاشيته و الجندرمة و الفرسان المتصرفة المعروفين عندنا بإسم الدوايرية بأن يحتلو المسجد و يدخلوه بنعالهم ، ففعلوا ،وقد صبر المومنون لهذه الإهانة اللاحقة بدينهم الذي يمثلونه بأنفسهم محافظة على روعة الاجتماع ، و حرصا على ثمرته . و إنا لنسجل هذه الإهانة للدين و حرمة مكانه ، كما نسجل محاولة الإدارة المحلية لإثارة الفتن و خلق الهرج بهذا الاستعداد على هته الصورة من غير داع . و نسجل الى ذلك أن إهانة الدين لم تقع بقنزات فقط , و أن ذلك الاستعداد المرعب لم يكن هو الاول في الوطن الجزائري , و أن ذلك الهدوء من المسلمين قد تكرر مناظره امام الحكومة في جميع اجتماعات جمعية العلماء)).

وكتب **الميلي** أيضا في البصائر العدد (87)،مقالا آخر عنه بعنوان:

((الشيخ الفضيل الورتلاني في بني يعلى)):

((كتب إلينا الشاب النجيب السيد الربيع بن الصديق ، أحد تلامذة الشيخ سعيد الصالحي العضو الإداري لجمعية العلماء مقالا طويلا استهله بالحديث عن الشيخ الفضيل و صفاته الممتازة و نزوله قرية قنزات ثم وصف حفاوة أهالي الشّريعة به لما زارهم وصفا ابان عن شعوره القوي إلى الاصلاح و عن تقدير فائق لرجال الاصلاح , و تمثل ذلك الشعور و التقدير في جميع الطبقات من شيوخ و كهول و شبان و صبية و نساء , و كان فيما ألقي من دروس و خطب و أناشيد تمكين لدينك و الشعور و التقدير .

[1] من قرى ومدن ولاية تبسة .

ثم رجع بنا إلى قنزات و حديث عبث رجال السلطة بمسجدها , و تهاونهم بالأمكنة المقدسة و أستخفافهم بالمسلمين حيث مسوهم في اعز ما يحتفظون به من شعائرهم))[1].

[1] آثار الشيخ مبارك الميلي ،مرجع سابق ،ص506. **قلت** :من خلال ما سبق تعرف ما كان يلاقيه في سبيل الوطن والأمّة من صعاب .

-المطلب الثاني :وفاته وآثاره .

أ)_ وفاته :

توفي الأستاذ الورتلاني ،بعد مسيرة حافلة بالعطاءات ،وقد ناهز عمره الستّين عاما ، وبالتحديد (59)عاما ، (من 1900إلى1959).

يقول الأستاذ محمد الحسن فضلاء متحدّثا عن مرضه الذي مات فيه:(داهمه المرض _ أي الورتلاني_فلم يعتن بصحته وقد شكا إليّ في غير ما مرّة من السّمن الذي انتابه ، و أنّه ينبغي أن يتخلّص من 10 كيلو شحما على الأقل ، فلم يستطع التخلّص منها ، رغم الحمية القاسية التي فرضها على نفسه ، و السمن [1]جرّ عليه عدّة أمراض ، فكره أن يخضع لمباضع الجراحين ، و في هذه الحالة لم يبق له إلا أن يسلم أمره إلى الله فاختاره الله إليه ، و هو في عمر 51 سنة [2] ،و هو العمر الذي توفي فيه الأستاذ عبد الحميد بن باديس تقريبا .

و أخيرا اضطرّ أن يدخل المستشفى الذي التجأ إليه في أنقره ، و يستسلم لأطبائه و جراحيه و أن يفعلوا ما قدروا عليه ، و فعلا لم يقدروا فعل أي شيء ، و قد فات فيه التدارك ، و لما شعر بأنّه في الساعات الأخيرة من حياته ، حنّ قلبه لسماع القرآن يتلى ، و قيل أنّه طلب من ممرضي المستشفى و هو في النّزع الأخير أن يستمع إلى القرآن يتلى ، فلم يجد من بينهم من يتلوه عليه ، فأسلم الروح لبارئها و قلبه متصل بالقرآن ، و انتقل من دنيا الحسد و البغض و الجحود و التّنكر و الأثرة و الرياء إلى دار المحبّة و الصفاء و الطمأنينة و الخلود في 12 مارس 1959 . رحمه الله برحمة المجاهدين الأبرار .

أعيد رفاته في يوم ذكرى وفاته الثامنة و العشرين : 12/ 1987/3.و دفن في مقبرة الشهداء في جمعة بني ورتلان في حفل مشهود ...)[3].

_ رثاؤه :

---

[1] داء مشهور معناه البدانة .

[2] هذا على قول من قال أنّه ولد سنة 1908 م ،وقد سبق أن ذكرنا الخلاف في تاريخ ميلاده وأنّه ولد على الرّاجح سنة 1900م .

[3] أعلام الإصلاح في الجزائر ،مرجع سابق ، ص220-225

ممّا قيل في رثائه _وقد رثاه الكثير من الشعراء والأدباء داخل الوطن وخارجه_قصيدة بعنوان :"حماة الضاد" للشّاعر عثمان بوقطاية جاء في مطلعها :

قف قليلا بسفح هذا الوادي و تأمل مآثر الأمجاد

قف بهذه الديار و استنبط الأر ض ففيها صحائف الأسياد

قف بقبر "الفضيل" و استلهم الذكرى فقد كان من حماة الضاد

و تنتهي القصيدة بقوله :

دبّروا حولك المكائد زورا فأتى كيدهم بعكس المراد

و حماك الإله من كلّ غدر و يد الله فوق أيدي الأعادي

و سلام عليك طبت مقاما و على الله في الختام اعتمادي [1]

و للأستاذ : (رشاد أحمد عبد الغني) قصيدة بعنوان ، (قلب بين قطرين) يقول فيها : [2]

فكم يا هضاب (سطيف) أيقظتي همّتي فودّعت ليلا بالصباح المسفر

و أنجبتي أعلاما كراما لأمتي فمنك (بشير) الخير، يا أرض ،فافخري

أتانا (الفضيل) يحمل الفكر صافيا و من نوره الباهي صنعت تحرّري

ب)_ آثاره :

_(كتاب الجزائر الثائرة)

---

[1] محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص 238-239 .

[2] المرجع نفسه ،ص 322 .

هو عبارة عن مجموعة من المقالات و الرسائل كتبها الأستاذ الورتلاني في أماكن عدّة و تناول فيها مواضع شتّى و تمّ إصدارها في جرائد و مجلات عدّة (جزائرية و مصرية و لبنانية ...) ، و ظلّت هذه المقالات و الرسائل سنين طويلة مفرّقة هنا و هناك إلى أن قامت جمعية (عباد الرحمان) اللّبنانية بجمعها بعد استشارة الأستاذ الورتلاني في ذلك و موافقته على ذلك .

_ (طبعات الكتاب) :

_ **الطبعة الأولى**:سنة 1956 م ببيروت .

_**الطبعة الثانية** :سنة 1963م ببيروت .

و كانت كلّ من الطبعة الأولى، والطبعة الثانية ،تحت إشراف جمعية (عباد الرّحمان) ،التي كان من أعضائها كلّ من الأستاذ رفيق سنو ، و عمر الدّاعوق ،والأستاذ درويش عبد الرّحيم ،والأستاذ زكريّا المصري... [1]وغيرهم ،وكان الأستاذ الورتلاني ينشط ضمن هذه الجمعية ،كما كانت له علاقات طيّبة مع الأستاذ رفيق سنّو ،وقد إقترحت هذه الأخيرة –جمعية (عباد الرّحمان) _ طبع الكتاب ،فقدّمت له بمقدّمة وأرفقته بترجمة مطوّلة للأستاذ ،وقد نفذت نسخ الكتاب بتعاقب السنين فاحتاج إلى الكتاب إلى طبعة أخرى .

_**الطبعة الثالثة** : كانت في بداية التّسعينات ،حيث طبع الكتاب بمطبعة دار الهدى (بعين مليلة الجزائر) تحت إشراف :نجله الأستاذ (حسنين الورتلاني) و بفضل : (الأستاذ حسن رمضان فحلة) مسؤول النّشر بدار الهدى [2] وقد وضع الأستاذ محمد الصالح صديق تقديما وافيا للكتاب و كان ذلك سنة 1991تقريبا حسب إمضاء الأستاذ و هو ما دلّني على أنّ الكتاب طبع بداية التسعينات لأنّ الطبعة التي عندي ليس عليها تاريخ الطبع[3] .

و الأستاذ الفضيل الورتلاني آثاره ليست فقط قاصرة على كتاب(الجزائر الثائرة)، بل هناك الكثير من آثاره ما يزال قيد البحث و قد قام نجله (الأستاذ حسنين الورتلاني) بجمع بعضها ،على

---

[1] –انظر : الجزائر الثائرة ، مرجع سابق ،ص481 .

[2] المرجع نفسه ،ص 28،33 .

[3] انظر التقديم الذي وضعه الأستاذان:محمد الصالح الصدّيق، و مسعود حسنين الورتلاني لكتاب (الجزائر الثائرة).

شكل نصوص، و شهادات ، ووثائق ، وصور، ثمّ قام بطبعها في كتاب بعنوان (العالم المجاهد الجزائري و الداعية الإسلامي الكبير **الفضيل حسنين الورتلاني)** ،و الكتاب عبارة عن عمل مشترك مع الأستاذ محمد العيد تاورته و من تقديم والي ولاية سطيف سابقا، السيّد "**عبد القادر زوخ**" لأنّ بني ورتلان تابعة للولاية ذاتها حسب التّقسيم الإداري الجديد [1].

و لا تزال آثار الشيخ محلّ عناية لدى الباحثين و قد تمخّض عن ذلك ميلاد (**مؤسسة الشيخ الفضيل الورتلاني**) في بني ورتلان بولاية سطيف ، و- هذه الأخيرة- هي شقيقة مؤسسات أخرى كمؤسسة (**الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و الأمير عبد القادر ،وبوعمامة** ...الخ) [2].

كما كان من ثمار ذلك أيضا، أن قام والي ولاية سطيف برصد مبلغ مالي لبناء مركّب ثقافي متعدد المرافق يحمل اسم الشيخ ،ليكون هذا الأخير سببا في النهوض بتراث الشيخ خصوصا، والتراث الديني والوطني عموما [3].

-المطلب الثالث :شهادات العارفين به

شهادات حول الشيخ الفضيل حسنين الورتلاني :

[1] الكتاب مطبوع متداول ،و قد نقلنا منه كثيرا في هذا البحث .

[2] جريدة البصائر (الجديدة)، الاثنين 8-15ربيع الثاني 1424هـ الموافق 9-16 جوان 2003م ،الصفحة الأولى "وراء الأحداث".

[3] المرجع نفسه ،الصفحة الأولى .

-الشيخ مبارك الميلي :

قال بعد ذكر بعض صفاته ومزاياه :- " وبهذه النبذة ،...،تعلم سرّ ما اجتمع فيه من صراحة الشباب و حدة القبائلي , و منطق الثقافة العربية , و جراءة الحر الباريسي , و اجتماع هذه الصفات هو المثل الأعلى الذي ننتظره من شبابنا الجزائري[1] .

-الشيخ محمد الغزالي :

(أعود بالذاكرة إلى الأربعينيات منت طالبا في تخصص الدّعوة و الإرشاد بعد أن نلت الشهادة العالية التي تسمّى (ليسانس)، و فوجئت برجل كان عملاقا في بدنه كان ثاقب الفكر وواسعا في الأفق و كثير الإطلاع).

وقال : (و سمعت بأذني الشيخ الإبراهيمي رحمه الله، و هو يتحدث عن الفضيل الورتلاني بإعجاب و تقدير).

وقال أيضا : (و كان إذا تحدث كأنّه الموج المنطلق أو العاصفة الدوارة التي يبقى الجماهير معه) .[2]

- الشيخ محمد الصالح بن عتيق :

(الرجل تغلب عليه الناحية الوطنية فأصبح لا يقتنع بالفكرة الإصلاحية وحدها بل يمضي جميع أفكاره و أوقاته في الحديث عن الجزائر و عن الأمّة الجزائرية)[3].

- الأستاذ محمد الطاهر فضلاء :

(الشيخ الفضيل الورتلاني علما من أعلام هذا الوطن و رجل من رجالاته التي لا يمكن و لا يجوز أن تغطىّ بأي غطاء وأن تخفى في أيّ خفاء ، الشيخ فضيل الورتلاني بكلمة قصيرة رجل أوقف

---

[1] آثار الشيخ الميلي ،مرجع سابق،ص242،238.

[2] محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص 238 .

[3] المرجع نفسه ،ص 239.

حياته أو أعدّه الله تعالى لأن يكون ثائرا بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فالرجل بحق ثائر في أيّ مكان و أيّ مكان ينزل فيه لا بدّ أن تحدث فيه الثورة ، فهذا الرّجل الثائر من أجل ماذا ؟)[1].

–المعلّق الصحفي محمد الطاهر بو الشعير :

(الجزائر في العشرينيات و ما قبلها خرافات ،و بدع ، و طرقية ، و استعمار يحارب العقيدة و اللغة و الأصالة ، أمّة أكل الجهل سواد الأعراب منها ، لكن عمر هذه الأمّة بعيد من أن ينحره السوس ، شجرة طيبة جذورها ضاربة في أعماق الأصالة و جذوعها مخذرة لينة في الفكر و البناء و الوطنية ، إنّها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ووسط هذه الجمعية بعلمائها و شيوخها و طلبتها يبدأ الفضيل الشاب مسيرته في إتجاه أكثر جرأة و أكثر فعالية) [2].

–الأستاذ عبد الحفيظ أمقران وزير (سابق) :

(كما يقال : هذه السلالة و إرث الشجرة ، ذلك أنّ جدّنا الأعلى واحد (هو سيد أحمد السايح الحسني دفين قرية بني عشاش ، وهو ينتسب إلى علماء القرن التاسع هجري لمنطقة بني ورتلان و بني عشاش و غيرها من المناطق المتاخمة لبجاية و سطيف حاليا)[3].

– الدكتور العيد مسعود :

(و قد تبوأ مكانة سامية في العالم العربي و الإسلامي لم يحظى بها إلا القليلون من أبناء المغرب العربي ، فقد قام بالدفاع عن الهوية الإسلامية للشّعب الجزائري بكلّ حماس ، و وهب حياته للدّفاع عنها داخل الجزائر و خارخ الحدود الجزائرية)[4].

---

[1] المرجع نفسه ،ص240.

[2] المرجع نفسه ،ص239.

[3] المرجع نفسه ،ص239.

[4] المرجع نفسه ،ص241.

_هذا ولمعرفة المزيد عن شهادات أهل العلم والفكر فيه انظر :محمد العيد تاورته ومسعود حسنين الورتلاني ،مرجع سابق ،ص 161 –252.

الفصل الثالث:

الشيخ الورتلاني

وآراؤه في العقيدة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_ مدخل :

_المبحث الأول : مدخل تاريخي لتطوّر الدّرس العقدي والدّعوة إلى تجديده.

_ تمهيد :

_المطلب الأول : طموحات العلماء والمفكّرين قديما وحديثا في تجديد علم الكلام .

_المطلب الثاني : علم الكلام والعلوم الإنسانيّة المعاصرة.

_المطلب الثالث : موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من علم الكلام.

_المبحث الثاني :إشكالية الخلافة السياسية وبروز الفرق الكلاميّة .

_المطلب الأول :تعريف الخلافة السياسّية .

_المطلب الثاني :بروز الفرق الكلاميّة.

_المطلب الثالث:موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من قضية الخلافة والحكم.

_المبحث الثالث : التّصوف وظهور الطّرق الصوفيّة (الطرقية).

_المطلب الأول : تعريف التّصوف .

_المطلب الثاني :التّصوف في المغرب (تاريخه وظروف نشأته) .

_المطلب الثالث: موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من الصوفية (الطرقية) .

_ المبحث الرابع : منهج الإستدلال على العقائد عند الشيخ الورتلاني.
(تقرير العقائد عنده)

_المطلب الأول : تقرير العقيدة من خلال نصوص الكتاب و السنّة.

_المطلب الثاني : موقع النّظر في الإستدلال على العقائد .

_المبحث الخامس : الدّعوة إلى التّوحيد ومحاربة الشّرك .

_المطلب الأوّل : الدّعوة إلى التوحيد .

_ المطلب الثّاني : محاربة الشرك و مظاهره .

مدخل :

_مقدّمة لابدّ منها :

لقد نشأ الأستاذ الورتلاني على أفكار جمعيّة العلماءالمسلمين ،وتربى على المبادئ التي قامت عليها – أي الجمعيّة – ،يظهر ذلك في كتاباته، وخطبه ، ومراسلاته ومن كلامه رحمه الله في تبنّيه أفكار الجمعيّة قوله وهو يتحدّث عن نبأ تأسيس جمعيّة العلماء: ***((لقدسرّني هذا النّبأ ...ولمّا كنت إن***

شاء الله من الشّاهدين بالقلب صدقت بما جاء وآمنت به ، ثمّ نذرت نذر من إذا قال فعل أن لا يموت وأنا حي من بعده))[1].

– هذا – و سأذكر نماذج من كلامه– رحمه الله – في هذا الباب، ضمن معطيات هذا الفصل .

_ ولقد انتهجت في هذا الفصل – الآراء العقديّة_ المنهجيّة التّالية:

أذكر مواقف الشيخ _ من مختلف القضايا المدروسة _ ثمّ أدعّم هذه المواقف والآراء بموقف جمعيّة العلماء ، مبتدئا ذلك بموقف الشيخ عبد الحميد بن باديس ثمّ الإبراهيمي والميلي والزّواوي وغيرهم، –وذلك لمزيد البيان والتوضيح لآرائه العقديّة –،مع إسناد هذه الآراء إلى كتب و مراجع أعلام جمعيّة العلماء .

ثمّ إنّني سبق وأن ذكرت في صعوبات البحث ضمن المقدّمة أنّ الشّيخ ليس له كتاب مستقل في العقيدة ممّا زاد من صعوبة جمع مادة هذا الفصل وترامیها ، وهذا ما ألجأني إلى سلوك هذه الطّريقة في هذا الفصل .

_المبحث الأول : مدخل تاريخي لتطوّر الدّرس العقدي والدّعوة إلى تجديده.

_ تمهيد :

[1] محمّد العيد تاورته ومسعود الورتلا ني ،مرجع سابق ،ص92 .

_المطلب الأول : طموحات العلماء والمفكّرين قديما وحديثا في تجديد علم الكلام .

_المطلب الثاني : علم الكلام والعلوم الإنسانيّة المعاصرة.

_المطلب الثالث : موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من علم الكلام.

تمهيد :

_معرفة الله حق معرفته ، و توحيده حق توحيده ، و تقديره حق قدره ،هو أساس الدين ، و ركنه القويم ، و أوّل ما ما يطالب به الإنسان إذا أراد إعتناق هذا الدّين ، و الإنخراط في سلك المؤمنين .

يقول تعالى : چ □ چ [1]

فالدعوة إلى التوحيد أو عبادة الله وحده ، أو الإقرار بالتوحيد ، و النطق بالشهادتين [2]، هو أوّل ما أمر به النبي صلى الله عليه و سلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل أن يبدأ به الدعوة و التعريف بالدّين

[1] سورة محمّد (الآية)19.

[2] وفي الحديث :(**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّالله**) متفق عليه : أخرجه البخاري (3\262) ،ومسلم (1\ 262)

، ذلك أنّ جملة التصورات الجاهلية حول الكون ، و خالق الكون ، و الإنسان و مصيره هو أول ما استهدف القرآن الكريم محوه من العقول و النفوس ،و إبداله بتصورات جديدة :

_ فالله هو الأول و الآخر ، وهو الظاهر و الباطن ، هو الأول فليس قبله شيء و هو الآخر و ليس بعده شيء ، و هو الظاهر فليس فوقه شيء و هو الباطن فليس تحته شيء ، و هو على كل شيء قدير ، هو الذي خلق الكون بما فيه و من فيه ،و هو الذي يستحق العبادة و قد خلق الإنسان من أجل عبادته : ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ [1] و قد بعث الرسل من أجل تعريفه بالعبادة المشروعة كيف تكون .

وأن الإنسان سيبعث بعد موته للحساب و العقاب ، في اليوم الآخر و عليه فلا يسعه إلا الإلتزام بمنهج الله و شريعته المتضمنين في الوحي (القرآن الكريم) [2].

_المطلب الأول : طموحات العلماء والمفكّرين قديما وحديثا في تجديد علم الكلام .

لقد كان القرآن يعرض قضايا العقيدة بأسلوب فطري يقنع العقل ،و يشبع القلب و يتسم بالوضوح و البساطة و الحيوية ، و كان أبعد ما يكون عن الثرثرة و الجدل العقيم .

ثمّ لم يلبث هذا الصفو أن تعكّر بسبب الأفكار الأجنبية الدخيلة التي أقحمت على الحياة الإسلامية إقحاما ، فكانت الفلسفة اليونانية و ما أشبهها من تخمين عقلي في الإلهيات حقنة مسمومة في التراث الإسلامي النّظيف و قد مثلت بادرة إنقسام المسلمين من الناحية الفكرية[3] .

---

[1] سورة الذّاريات ،الآية 56.

[2] محمّد الدراجي ، الإمام عبد الحميد بن باديس (وجهوده في تجديد العقيدة الإسلاميّة) ، دار الهدى ،عين مليلة_ الجزائر ،2012 م ، ص9_10.

[3] محمّد الدراجي ، الإمام عبد الحميد بن باديس (وجهوده في تجديد العقيدة الإسلاميّة) ، ص 10_11.

و تحولت العقيدة إلى مباحث عقلية فلسفية منطقية معقدة قائمة على الجدل الكلامي ،فأصبحت صلتها بالقلب واهية ، و علاقتها بالحياة بعيدة ، بعد أن كانت توجه الحياة العلمية ،و تقودها قيادة عملية واقعية ، و لقد انبرى علماء الإسلام منذ أن دخل علم الكلام في المسارات المعقدة ، و اعتمد على أساليب الفلسفة اليونانية ، و مصطلحات المنطق اليوناني ، للدعوة لضرورة العودة إلى طريقة القرآن في عرض مسائل العقيدة ، و تحرير قضاياها و مناقشة المنكرين ،و الرّد عليهم ، و من هؤلاء أبو حامد الغزالي الذي يقول :(التوحيد : و قد جعل الآن عبارة من صناعة الكلام و معرفة طريق المجادلة و الإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدّق بكثرة الأسئلة ، و إثارة الشبهات و تأليف الالتزامات ، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بالعدل و التوحيد ، و سمي المتكلمون بعلماء التوحيد ، مع أنّ جميع ما هو خاص بهذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأوّل ، بل كان يشتد منهم النّكير على من كان يفتح بابا من الجدل و الممارات فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أوّل السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل و كان العلم بالقرآن هو العلم كله)[1] .

و مع بداية عصر النّهضة الإسلامية الحديثة ، ارتفع صوت المجددين عاليا بالدعوة إلى التجديد في مناهج علم الكلام حتّى يأتي له حراسة العقائد من شبهات العلم و فلسفة العصر ، و كان العلامة المجدّد الشّيخ محمد رشيد رضا في طليعة هؤلاء العلماء الذين نادوا بوجوب الدعوة في بحوث العقيدة إلى مصدرها الأول و هو الكتاب و السنّة ، و الإسترشاد بفهم السلف الصالح في ذلك ، و هو و لا شك متأثر كبير التأثر في هدا الموقف بأفكار "جمال الدين الأفغاني" و كذا أفكار أستاذه الشيخ محمد عبده المصري التي ضمّنها كتابه :(رسالة التوحيد) و الذي صار ملاذا للدراسات العقدية في العصر الحديث ، و مما جاء فيه قوله :(إرتفع صوتي في الدعوة إلى أمرين عظيمين : الأول تحرير الفكر من قيد التقليد و فهم الدين على طريقة سلف الأمّة قبل ظهور الخلاف ، و الرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ...) [2].

---

[1] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدّين ،ج1 /ص 33، نقلا عن المرجع السّابق ،ص 11 .

[2] نقلا عن :محمّد الدّراجي،الإمام عبد الحميد بن باديس ، (مرجع سابق) ، ص12.

الذي يخلص إليه كثير من العلماء في موضوع علم الكلام ، أنّه يجب تجديده ، و ذلك بالعودة به إلى أساليب القرآن في الإقناع و إقامة الحجة ،و إبطال الشبهة و نقضها ، و تجديد مسائله و المشاكل الّتي يتناولها لأن الحياة متطورة و الشبهات متجددة ، و لكل عصر مشاكله و قضاياه ، أما الإقتصار على المقدمات و الدلائل التي أقام عليها المتكلمون القدامى فكرهم الكلامي ، و الإكتفاء بترديدها هو ما جعلها عبارة عن ألغاز و طلاسم ، لا يقوى على حلّها العلماء ، ناهيك عن العوام[1] .

_ و لقد أدرك الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله ، قديما أنّ أسلوب القرآن و طريقته في عرض قضايا الإيمان ، و مسائل العقيدة أكثر فائدة ، و أشمل نفعا ، و أما طرق الكلام و مناهجه فلا تعدّ و أن تكون علاجا مؤقتا [2]، فقال مقارنا بين الطريقتين أو المنهجين _ و نعم ما قال:

(فأدلّة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، و أدلّة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد النّاس ، و يستضر به الأكثرون ، بل أدلّة القرآن مثل الماء ينتفع به الصبي الرّضيع ، و الرجل القوي ، و سائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرّة ، و يمرضون بها أخرى و لا ينتفع بها الصبيان أصلا)[3] .

لمعرفة المزيد عن جهود الشيخ رشيد ر ضا في هذا المجال انظر ترجمته من خلال : منوبة برهاني ،الفكر المقاصدي عند محمّد رشيد رضا ،دار ابن حزم ، بيروت لبنان ،ط1 ،2010م .

[1] انظر: علي بن ناصر الفقيهي ، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ، دار الإمام أحمد القاهرة – مصر ،ط1 ، 2006م .أيضا:محمّد بن إبراهيم بن الوزير ،ترجيح أسليب القرآن على اساليب اليونان ،تحقيق :سعيد بن أحمد الأفندي ،مؤسسة المختار ،مصر ،ط1، 2007م .وانظر :محمد علي فركوس ،المنطق الأرسطي وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية ،دار الرغائب والنفائس القبة _الجزائر ،ط1،1427هـ \2006م

[2] ومع ذلك فقد ألّف فيه فحول العلماء أمثال : ابن حزم وغيره ،انظر كتابه :التقريب لحدّ المنطق والمدخل ،ت: عبد الحق التركماني ، دار ابن حزم ،بيروت ،ط1،2007م .

[3] محمّد الدّراجي،الإمام عبد الحميد بن باديس ، (مرجع سابق) ، ص12.

_المطلب الثاني:علم الكلام والعلوم الإنسانيّة المعاصرة.

يسود في الساحة الثقافية العربية موقف سلبي واسع من علم الكلام، تلتقي فيه تيارات واتجاهات من مشارب شتى.

فالفلاسفة منذ العصر الإسلامي الوسيط يعزفون عن المبحث الكلامي، ويرونه عديم الجدوى، ضعيف القاعدة النظرية، فهو مبحث "جدلي"، "خطابي" يعوض لدى العامة النقص في الملكات البرهانية. وأخطر ما في علم الكلام بالنسبة للفلاسفة هو أنه وإن تعلق بالإلهيات، إلا أنه يقحم نظره في المسائل التي يحتكرها الفلاسفة لأنفسهم كالعالم والنفس والجوهر والأعراض.

ومن الإشكاليات التي تطرح لعلم الكلام علم هو أنه علم على خط الفصل بين الدين والحكمة، ولذا كان لابد أن يصطدم بالفلسفة [1]على نحو ما يبينه "ابن رشد" بقوله:

"فصار الناس بسبب هذا التشويش والتخليط فرقتين: فرقة انتدبت لذم الحكماء والحكمة، وفرقة

---

[1] مقال:د السيد ولدا باه أكاديمي وكاتب موريتانيا،(تجديد علم الكلام من منظور الفلسفات التأويل والعلوم الإنسانيّة المعاصرة https://groups.google.com/d/topic/

انتدبت لتأويل الشرع وروم صرفه إلى الحكمة. وهذا كله خطأ، بل ينبغي أن يقر الشرع على ظاهره ولا يصرح به للجمهور؛ لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم، دون أن يكون عندهم برهانا عليها... وأما إخلاله بالشريعة فمن جهة إفصاحه فيه بالتأويل الذي لا يجب الإفصاح به. وأما إخلاله بالحكمة فلإفصاحه أيضا بمعان فيها، لا يجب أن يصرح بها إلا في كتب البرهان ."[1]

والغريب في الأمر، أن الدراسات الكلامية –على عكس ما هو الحال في العالم العربي– أثارت اهتماما واسعا في الجامعات الغربية. فأهم ما كتب في تاريخ الفرق الإسلامية والمذاهب الكلامية في السنوات الأخيرة صدر باسم أساتذة غربيين بارزين مضراب الألمانيين "ولفريد مادلونغ " و"جوزف فان اس " والإنجليزي "مايكل كوك " والفرنسي "دانيل جيماريه ".

وقد تحسنت الصورة جزئيا في السنوات القليلة الماضية، نتيجة لبروز مدرستين أكاديميتين متميزتين في المغرب وتونس، أعطتا اهتماما غير مسبوق للمباحث الكلامية من منظور المناهج الإنسانية وفلسفات التأويل المعاصرة [2].

ففي المغرب ظهرت أعمال علمية رصينة في تاريخ وبنيات الخطاب الكلامي كدراسة سعيد بن سعيد العلوي حول الأشعرية ، في الوقت الذي بلور "طه عبد الرحمن" خطا منهجيا لدراسة المنهج الكلامي من منظور منطق الحجاج والمناظرة الحديث .

وفي تونس، برزت أعمال "أبو يعرب المرزوقي" التي قدم فيها مقاربة لجديدة للمباحث الكلامية (تعضدها ثقافة فلسفية استثنائية) انتصر فيها علميا للعقل الكلامي في مقابل الفلاسفة المتأثرين بالمعقول اليوناني ، في الوقت الذي نوقش في الجامعة التونسية عدد هام من الرسائل المتميزة تناولت إشكالات ومواضيع شتى من المبحث الكلامي، برزت من بينها أطروحة "محمد بوهلال" الرائدة حول الغزالي ، التي شفعها بأعمال أخرى لا تقل عنها أهمية[3].

---

[1] ابن رشد، "مناهج الأدلة في عقائد الملة"، دار الكتب العلمية 2002، ص75.

[2] المقال السابق ،السيد ولد باه الموريتاني .

[3] انظر بعض هذه الدّراسات من خلال :لخطاب الأشعري؛ مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي – سعيد بن سعيد العلوي

books.google.com

_في أصول الحوار وتجديد علم الكلام طه عبد الرحمن – www.goodreads.com
_في أصول الحوار وتجديد علم الكلام طه عبد الرحمن www.neelwafurat.com

علم الكلام في الأدبيات المعاصرة:

(وللتذكير، نشير إلى أن المحاولة المعاصرة الأولى لتجديد الكلام تمت في نهاية القرن التاسع عشر على يد الإمام محمد عبده الذي أراد في كتابه "رسالة التوحيد " إعطاء معان جديدة للتوحيد والعدل مع البقاء في الحيز الكلامي الوسيط. وفي ثلاثينيات القرن الماضي، ظهرت محاولة "محمد إقبال " التي قدمت تصورات جديدة لبنية المنظور الكلامي لم يكتب لها أي تأثير.

وفي الفترة الراهنة، ظهرت محاولة "حسن حنفي" إعادة بناء علوم العقيدة في عمله الموسوعي الجدلي "من العقيدة إلى الثورة" ذهب فيه إلى محاولة بناء "لاهوت تحرير" إسلامي على غرار "لاهوت التحرير" المسيحي الذي عرفته أمريكا اللاتينية بتأثير من الاتجاهات اليسارية ولم ترض محاولة حنفي الأكاديميين لما طبعها من سمة نضالية طاغية، في الوقت الذي أثارت نقمة واسعة في أوساط التيارات الإسلامية ذهبت حد التكفير)[1] .

ولعل أهم محاولة تمت لتجديد المباحث الكلامية هي مدرسة "الكلام الجديد" الإيرانية التي ظهرت لدى علماء وباحثين من نوع "عبد الكريم سروش" و"مصطفى ملكيان" و"مجتهد سيشتري" ، وقد أصبح لها بالفعل تأثير واسع في الحوزات والجامعات وفي حركية الإصلاح التي يكثر الحديث عنها حاليا [2].

يضيف الدكتور ولدباه الشنقيطي قائلا :

((لابد من التمييز هنا بين "الكلام الجديد" وبعض الأطروحات السائدة في أعمال من يطلق عليهم "مفكري الإسلام الجدد " الذين برزوا أساسا في سياق المدرسة الأركونية.

فلم يفتأ "محمد أركون" منذ عقود يدعو إلى استبدال "الإسلاميات الأرثوذكسية" بمنهج جديد أطلق عليه تارة مقولة "الإسلاميات المطبقة"، وتارة أخرى "نقد العقل الإسلامي". وعلى الرغم من

– فلاسفة العرب الدكتور أبو يعرب المرزوقي _www.arabphilosophers.com/Arabic

_حسن حنفي ومشروع "التراث والتجديد":أسس المشروع وبيانهassala-dz.net/ar

[1] مقال ولد باه الموريتاني (سابق).

[2] ومن كتبهم الكلامية المعتمدة_الشيعية _ تفسير الطبطبائي المسمى "**الميزان في تفسير القرآن** ".

قلت : أفادني بهذه المعلومة الأستاذ الدكتور عقبة جنان ، أستاذ مشارك بمعهد الإمام الغزالي بفرنسا "سابقا

اختلاف السياق النظري للمقولتين، فإن "أركون" يرادف بين العبارتين، اللتين يعني بهما تطبيق مناهج العلوم الإنسانية على النص الديني والمدونة التراثية المتفرعة منه .

ومن أبرز من تابع أركون في هذا المنحى الكاتب التونسي "عبد الوهاب المؤدب" المقيم في باريس، حيث يدرس في الجامعة ويقدم برنامجا حول الإسلام في القناة الثقافية الإذاعية المتخصصة. أصدر الرجل بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 كتابا بعنوان "مرض الإسلام " (ترجم إلى العربية بعنوان آخر).

وقد أصدر كتابا جديدا بالفرنسية يحمل عنوان "الخروج من اللعنة " ادعى فيه تقديم وصفة العلاج من "المرض" الذي يعاني منه الإسلام الذي هو حسب عبارته الجمود والتعصب والعنف والانغلاق وقد اعتبر مؤدّب أن المدخل لإصلاح اختلالات الثقافة الإسلامية هو "تحطيم صنمية القرآن" الذي ينظر إليه عموم المسلمين بصفته كلام الله المباشر.، مما يحول بينهم مع إخضاعه للنظرة النقدية الصارمة والتحليل التاريخي النسبي على غرار ما حدث بالنسبة للنصوص المقدسة اليهودية والمسيحية.

ويذهب مؤدب إلى المطالبة بإعادة الاعتبار لموقف المعتزلة القائل بخلق القرآن الذي رأى أنه يفتح الطريق أمام نزع القداسة عن الكتاب الكريم، الذي يصبح نصا موحى إلهيا عبر وساطة بشرية)) [1].

[1] المقال السابق :ولد باه الشنقيطي .

_المطلب الثالث: موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من علم الكلام.

1_ موقف جمعيّة العلماء :

أمَّا ما يتعلَّق بعلم الكلام فدونك هذه النقول الصريحة في توضيح العقيدة التي كانوا يدعون إليها وموقفهم من الطُّرُق الكلامية:

– جاء في أصول جمعية العلماء: «الأصل الخامس: سلوك السلف الصالح: "الصحابة والتابعين وأتباع التّابعين" تطبيقٌ صحيحٌ لهدي الإسلام، والأصل السادس: فهومُ السلف الصالح أصدقُ الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنَّة...».

ومنها أيضًا: «الأصل السابعَ عشرَ: ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيَّنَّاه من الأحكام بالكتاب والسنَّة وهدي السلف الصالح من الأئمَّة، مع الرحمة والإحسان دون عداوةٍ أو عدوانٍ... »[1].

[1] عبد الرحمان شيبان ، «من وثائق جمعيّة العلماء المسلمين»، باب الواد_ الجزائر ،دار المعرفة ، ص(17) (19).،وانظر: _ مجلة الإحياء ، تصدر عن الموقع الرسمي لمحمد علي فركوس ، القبة – الجزائر ، العدد الرابع ، ذو القعدة 1433هـ / الموافق لسبتمبر2012 م

– وجاء في تقرير الجمعية لرسالة الشيخ مبارك الميلي المسمَّاة «الشرك ومظاهره» بقلم الكاتب العامّ للجمعية الشيخ العربي التبسي –رحمه الله–: «فإنَّ الدعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي، وتقوم بها جمعية العلماء في القطر الجزائري خاصَّةً تتلخَّص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، والسير على منهاج سلفهم الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية والاعتقادية والعملية»[1].

– وقال الشيخ عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– في بيان طريقة أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته، وأنها قائمةٌ على ركنين هما الإثبات والتنزيه: «عقيدة الإثبات والتنزيه: نُثبت له تعالى ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه،وننزّهه في ذلك عن مماثلةِ أو مشابهةِ شيءٍ من مخلوقاته، ونُثبت الاستواء والنزول ونحوهما، ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيفٍ، وبأنَّ ظاهرها المتعارف في حقِّنا غير مرادٍ»، اه[2].

وقال الشيخ –رحمه الله تعالى– محذِّرًا من الإعراض عن كتاب الله وهجره والذهاب مع أدلَّة المتكلِّمين: «أدلَّة العقائد مبسوطةٌ كلُّها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير، ... فحقٌّ على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامَّة لعقائدها الدينية، وأدلَّة تلك العقائد من القرآن العظيم، إذ يجب على كلِّ مكلَّفٍ أن يكون في كلِّ عقيدةٍ من عقائده الدينية على علمٍ، ولن يجد العامِّيُّ الأدلَّة لعقائده سهلةً قريبةً إلاَّ في كتاب الله، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه، أمَّا الإعراض عن أدلَّة القرآن والذهاب مع أدلَّة المتكلِّمين الصعبة ذات العبارة الاصطلاحيَّة؛ فإنه من الهجر لكتاب الله، وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم في أشدِّ الحاجة إليه، وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامَّة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه»[3].

وقال –رحمه الله–: «ونحن –معشر المسلمين– قد كان منَّا للقرآن العظيم هجرٌ كثيرٌ في الزمان الطويل، وإن كنَّا به مؤمنين. بسط القرآن عقائد الإيمان كلَّها بأدلَّتها العقلية القريبة القاطعة،

---

[1] مبارك بن محمد الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط5 ، 2000 م ،ص(27).

[2] «العقائد الإسلاميّة» ،طبعة الأستاذ :محمدصالح رمضان ،مرجع سابق ، ص (71).

[3] «آثار ابن باديس» ،مرجع سابق ، (272/1).

فهجرناها وقلنا تلك أدلَّةٌ سمعيةٌ لا تحصِّل اليقينَ، وأخذْنا في الطرائق الكلامية المعقَّدة وإشكالاتها المتعدِّدة واصطلاحاتها المحدَثة، ممَّا يصعِّب أمره على الطلبة فضلاً عن العامَّة»[1].

وقال –رحمه الله–: «قلوبنا معرَّضةٌ لخطرات الوساوس بل للأوهام والشكوك، فالذي يُثبِّتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم، ولقد ذهب قومٌ مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ومماحكات المتكلِّمين ومناقضاتهم، فما ازدادوا إلا شكًّا وما ازدادت قلوبهم إلا مرضًا، حتَّى رجع كثيرٌ منهم في أواخر أيَّامهم إلى عقائد القرآن وأدلَّة القرآن، فشُفُوا بعد ما كادوا كإمام الحرمين والفخر الرازي»[2].

وقال –رحمه الله تعالى–: «اعلموا جعلكم الله من وعاة العلم، ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم، وجمَّلكم بعزَّة الاتِّباع، وجنَّبكم ذلَّة الابتداع، أنَّ الواجب على كلِّ مسلمٍ في كلِّ مكانٍ وزمانٍ أن يعتقدَ عقدًا يتشرَّبه قلبُه وتسكن له نفسُه وينشرح له صدرُه، ويلهج به لسانُه، وتنبني عليه أعمالُه، أنَّ دينَ الله تعالى من عقائد الإيمان وقواعد الإسلام وطرائق الإحسان إنما هو في القرآن والسنَّة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأنَّ كلَّ ما خرج عن هذه الأصول ولم يَحْظَ لديها بالقبول –قولاً كان أو عملاً أو عقدًا أو احتمالاً– فإنه باطلٌ من أصله مردودٌ على صاحبه...»[3].

وقال –رحمه الله–: «القرآن هو كتاب الإسلام، السنَّة القولية والفعلية –الصحيحة– تفسيرٌ وبيانٌ للقرآن، سلوك السلف الصالح –الصحابة والتابعين وأتباع التابعين– تطبيقٌ صحيحٌ لهدي الإسلام، فُهُومُ أئمَّة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنَّة»، اهـ[4].

وقال :"وتوفّرت الدّواعي لظهور المذاهب الكلامية والمذاهب الصوفية في أزمنة متقاربة ، وكان لترجمة الفلسفة اليونانية ...وما غذّت به المتكلّمين من الأنظار المختلفة وأمدّتهم به من طرائف

---

[1] المرجع نفسه ، (407/1).

[2] المرجع نفسه، (416/1 - 417).

[3] المرجع نفسه، (222/3).

[4] «. العقائد الإسلاميّة» ، مرجع سابق ،ص (17)، و«آثار ابن باديس» ، مرجع سابق ،(132/3).

الجدل وقوانينه . **وهذا هو مبدأ التّفرّق الحقيقي في الدّين** .لأنّ المتكلّمين يزعمون أنّ علومهم هي أساس الإسلام . والصوفية يقولون إنّ علومهم هي لباب الشريعة وحقيقتها ."ا هـ [1]

وقال الشيخ –رحمه الله–: «هذا هو التعليم الديني السنّي السلفي، فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم؟ بل منذ قرونٍ وقرونٍ؟ فقد حصلْنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آيةً واحدةً من كتاب الله ولم يكن عندنا أيُّ شوقٍ أو أدنى رغبةٍ في ذلك، ومِن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يومًا منزلةَ القرآن من تعلُّم الدين والتفقُّه فيه، ولا منزلة السنَّة النبوية من ذلك. هذا في جامع الزيتونة، فدَعْ عنك الحديثَ عن غيره ممَّا هو دونه بعديدِ مراحلَ. فالعلماء إلاَّ قليلٌ منهم أجانبُ أو كالأجانب من الكتاب والسنَّة من العلم فهمًا والتفقُّه فيهما...»[2].

وقال –رحمه الله–: «لقد شعر المسلمون عمومًا بالبلايا والمحن التي لحقتْهم، وفي أوَّلها سيف الجَوْر المنصبّ على رؤوسهم، وأدرك المصلحون منهم أنَّ سبب ذلك هو مخالفتُهم عن أمر نبيِّهم –صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم– فأخذتْ صيحاتُ الإصلاح ترتفع في جوانب العالَم الإسلامي في جميع جهات المعمورة تدعو الناس إلى معالجة أدوائهم بقطع سببها واجتثاث أصلها، وما ذلك إلاَّ بالرجوع إلى ما كان عليه محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام وما مضت عليه القرون الثلاثة المشهود لها منه بالخير في الإسلام، قد حفظ الله علينا ذلك بما إن تمسَّكْنا به لن نضِلَّ أبدًا –كما في الحديث الصحيح– الكتاب والسنَّة، وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالَمَ أوَّلاً، ولا نجاةَ للعالَمَ ممَّا هو فيه اليوم إلاَّ إذا أنقذه الله به ثانيًا»[3].

– وقال الشيخ البشير الإبراهيمي –رحمه الله– في تقديمه لكتاب «العقائد الإسلامية» للشيخ ابن باديس متحدِّثًا عن العقيدة التي نشأ وشبَّ عليها صاحبه ورفيقه: «والإمام رضي الله عنه كان منذ

---

[1] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (المقدمة)،انظر المقدمة كاملة فإنّها مهمّة للشيخ الإبراهيمي .

[2] «الشهاب» (ج11 م 478/10-481)، و«آثار ابن باديس» ، مرجع سابق، (219/3).

[3] « آثار ابن باديس» ، مرجع سابق ، (225/1).

طلبه للعلم بتونس قبل ذلك –وهو في مقتبل الشباب– ينكر بذوقه ما كان يبني عليه مشائخه من تربية تلامذتهم على طريقة المتكلِّمين في العقائد الإسلامية، ويتمنَّى يوم يُخرجهم على الطريقة القرآنيَّة السلفيَّة في العقائد يوم يصبح معلِّمًا، وقد بلَّغه الله أمنيَّته، فأخرج للأمَّة الجزائريَّة أجيالاً على هذه الطريقة السلفية، قاموا بحمل الأمانة من بعده، ووراءهم أجيالٌ أخرى من العوامِّ الذين سعدوا بحضور دروسه ومجالسه العلمية»[1].

وقال –رحمه الله–: «وهذه دروسٌ من دروسه، ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنَّة الأستاذ محمَّد الصالح رمضان أحد طلاَّبه، فجاءت عقيدةً مُثلى يتعلَّمها الطالب، فيأتي منه مسلمٌ سلفيٌّ موحِّدٌ لربِّه بدلائل القرآن، كأحسنِ ما يكون المسلم السلفي، ويستدلُّ على ما يعتقد في ربِّه بآيةٍ من كلام ربِّه»[2].

وقال –رحمه الله– أيضا: «وهذا درسٌ من دروسه ينشرها اليوم في أصل العقيدة الإسلامية بدلائلها من الكتاب والسنَّة تلميذُه الصالح كاسمه: محمَّد الصالح رمضان، فجاءت عقيدةً مُثلى يتعلَّمها الطالب، فيأتي منه مسلمٌ سلفيٌّ موحِّدٌ لربِّه بدلائل القرآن كأحسن ما يكون المسلم السلفي، ويستدلُّ على ما يعتقد في ربِّه بآيةٍ من كلام ربِّه، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى: أمَّا برهان وجوده تعالى فحدوث العالَم!»[3].

«فلمَّا تفرَّقتِ المذاهب الفقهيَّة ونشأ علم الكلام، وتفرَّقت مَنازِعُه بين الأشاعرة والمعتزلة، وطما علمُ الجدل، وتفرَّق المسلمون شِيَعًا حتَّى أصبح كلُّ رأيٍ في علم الكلام أو الفقه يتحزَّب له جماعةٌ، فيُصبح مذهبًا فقهيًّا أو كلاميًّا يلتفُّ حوله جماعةٌ ويجادلون، فضَعُفَ سلطانُ القرآن على النفوس، وأصبح العلماءُ لا يلتزمون في الاستدلال بآياته، ولا يتنازعون الأحكام منها إلاَّ قليلاً، فعلماءُ الكلام صاروا يستدلُّون بالعقل، والفقهاء أصبحوا يستدلُّون بكلام أئمَّتهم أو قدماء

---

[1] «العقائد الإسلاميّة»، مرجع سابق ،ص(20).

[2] المرجع نفسه ،ص (19).

[3] المرجع نفسه ،**ص(22)**.

أتباعهم! ومن هنا نشأ علم الكلام وعلم الفقه، وعلى هذه الطريقة أُلِّفَتِ المؤلَّفات التي لا تُحصى في العلمين، وانتشرت في الأمَّة وطارت كلَّ مَطارٍ»[1].

وقال –رحمه الله– وهو يصوِّر لنا كيف كان التدريس في العقيدة، وأنَّ الناس لا يزالون في المغرب مقلِّدين لطريقة الأشعري إلى أنْ جاء الشيخ ابن باديس –رحمه الله– فأحيا طريقة السلف: «وأمَّا مغربنا هذا مع الأندلس، فلم يتَّسع فيه علم الكلام إلى هذا الحدِّ، وإن كانوا يدرسونه على هذه الطريقة ويقلِّدونه، ويدينون باتِّباع رأي الأشعري، ولم يؤلِّفوا فيه كتابًا ذا بالٍ إلاَّ الإمام محمَّد بن يوسف السنوسي التلمساني، فإنه ألَّف فيه على طريقة المشارقة عدَّة كتبٍ شاعتْ وانتشرتْ في الشرق والغرب، وقُرِّرَتْ في أكبر المعاهد الإسلامية كالأزهر، حتَّى جاءتْ دروس الإمام ابن باديس، فأحيا بها طريق السلف في دروسه، ومنها هذه الدروس، وأكملتْها جمعية العلماء، فمن مبادئها التي عملتْ لها بالفعل لزومُ الرجوع إلى القرآن في كلِّ شيءٍ، لا سيَّما ما يتعلَّق بتوحيد الله، فإنَّ الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبيَّات لا يكون إلاَّ بالقرآن، لأنَّ المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له، ونفي ما انتفى عنه، لا يكون إلاَّ بآيةٍ قرآنيّةٍ مُحكمةٍ، فالمؤمن إذا سوَّلتْ له نفسُه المخالفة في شأنٍ من أمور الآخرة، أو من صفات الله، فإنها لا تُسوِّل له مخالفة القرآن»[2].

وقال –رحمه الله– في حفل ختمِ الشيخ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم: «هذا هو اليوم الذي يختم فيه إمامٌ سلفيٌّ تفسيرَ كتاب الله تفسيرًا سلفيًّا ليرجع المسلمون إلى فهمه فهمًا سلفيًّا»[3].

وقال –رحمه الله– في مقالٍ آخرَ: «وأراد الله فحقَّق للأستاذ أمنيَّته مِن ختمِ التفسير، وللأمَّة رجاءَها في تسجيل هذه المفخرة للجزائر، ولأنصار السلفيةغرضَهم من تثبيت أركانهم بمدارسة كتاب الله كاملاً» [4].

---

[1] نفسه ،ص (23).

[2] «العقائد الإسلاميّة» ، مرجع سابق ،ص(24).

[3] «الآثار» ، سابق ،(362/1)، و«مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» ، مرجع سابق،ص (453).

[4] «مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير»، المرجع نفسه ،ص (453).

– وقال الشيخ مبارك الميلي –رحمه الله– مبيّنًا أنَّ العقيدة السلفية هي الأصل في أهل المغرب، وإنما دخلتْهم الأشعرية بسبب ابن تومرت: «وكان أهل المغرب سلفيّين حتَّى رحل ابن تومرت إلى الشرق وعزم على إحداث انقلابٍ بالمغرب سياسيٍّ علميٍّ دينيٍّ، فأخذ بطريقة الأشعري ونصرها، وسمَّى المرابطين السلفيّين مجسِّمين، ثمَّ انقلابه على يد عبد المؤمن، فتمَّ انتصار الأشاعرة بالمغرب، واحتجبت السلفية بسقوط دولة صنهاجة، فلم ينصرْها بعدهم إلاَّ أفرادٌ قليلون من أهل العلم في أزمنةٍ مختلفةٍ»[1]

وقال –رحمه الله–: «فنحن بالعقيدة السلفيَّة قائلون، ولِما مات عليه الأشعري موافقون»[2].

– ويُخبر الشيخ أبو يعلى الزواوي –رحمه الله– بكلامٍ واضحٍ جليٍّ لا غبارَ عليه يفهمه العامُّ والخاصُّ، أنه وإخوانَه على العقيدة السلفية، وأنهم متبرِّئون من الأشعرية وغيرها من المذاهب الكلامية فيقول: «أمَّا أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين فلا شريعةَ لنا ولا دينَ ولا ديوانَ إلا الكتاب والسنَّة وما عليه محمَّدٌ –صلَّى الله عليه وسلَّم– وأصحابُه وعقيدةُ السلف الصالح، فلا اعتزالَ ولا ماتريديَّ ولا أشعريَّ، وذلك أنَّ الأشاعرة تفرَّقوا واختلفوا، أيِ المتقدِّمون منهم والمتأخِّرون، ووقعوا في ارتباكٍ من التأويل والحيرة في مسائلَ يطول شرحها»[3].

وقال –رحمه الله تعالى– منتسبًا إلى السلفية ومتبرِّئا من سواها: «فالجواب عنه أنِّي أعلنتُ عن نفسي أنِّي سلفيٌّ، وأعلنتُ أنِّي تبرَّأتُ ممَّا يخالف الكتاب والسنَّة، ورجعتُ عن كلِّ قولةٍ قلتُها لم يقُلْها السلف الصالح»[4].

---

[1] «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» ، مرجع سابق،ص (711).

[2] «الشرك ومظاهره» ، مرجع سابق ،ص(26).

[3] أبو يعلى الزواوي ، «الإسلام الصحيح» تقديم :أبوالقاسم سعد الله،منشورات الحبر ،الجزائر ، 2008 م،ص(94).

[4] العدد 90 من «الشهاب» (951/2).

وقال –رحمه الله– عن الشيخ ابن باديس: «لما كنتُ كثير الكتابة في جريدة «الشهاب الثاقب»، وعرفتُ بظهر الغيب الأستاذَ الشيخ عبد الحميد بن باديس المشرف على «الشهاب» أنه قطب دائرتنا السلفية»[1]

2_ موقف الشيخ الورتلاني :

لقد سار الشيخ الورتلاني على المسار الذي رسمته الجمعيّة لنفسها في هذا الباب حيث أنّه انتهج نفس النّهج الذي سارت عليه جمعيّة العلماء ،ومن ذلك أنّه رفض التّعليم الزّيتوني [2] و اعتبره تعليما جامدا لا يصلح ، فهو يعتمد على الكتب الكلامية وشروحها وحواشيها ، فهي في نظره

[1] العدد 81 من «الشّهاب» (768/2).

[2] سبق الإشارة إلى ذلك في مرحلة تعلّمه باالزّيتونة ،ضمن الفصل السّابق .

قلت : وهو نفس الموقف الذي اتّخذه ابن باديس، ففي المقال الذي كتبه الشيخ حول إصلاح التعليم في جامع الزيتونة ، و ضمنه جملة من آرائه في الإصلاح التربوي ، و جملة من المقترحات التي يراها ضرورية لتخريج العالم العامل بعلمه المتفاعل مع قضايا أمته ، فإنّه كرّر الدعوة إلى وجوب تجديد الدرس العقدي ، و ذلك بالإبتعاد عن أساليب المتكلمين في تدريسه و بحث مسائله ، فقال (و على العقائد ، يجب أن تؤخذ هي أدلّتها من آيات القرآن فإنّها وافية بذلك كله ، و أما إهمال آيات القرآن المشتملة على العقائد و أدلتها و الذهاب مع تلك الأدلة الجافة فإنّه من إستبدال الذّي هو أدنى بالذّي هو خير).انظر :محمّد الدراجي ، الإمام عبد الحميد بن باديس ،مرجع سابق ،ص 14_15.

_هذه الكتب _ لا تصلح لزمانه فضلا عن كونها معقدة ولا يفهمها جميع النّاس _ و خاصّة العامة منهم _ ، فهي تعبير أهلها لخاصّة الخاصّة من العلماء .

فقد كتب مقالا بجريدة البصائر حين كان **مديرها الشّيخ العقبي** بين سنة (1935_1936م)[1] ، كتب مقالا يعتب فيه على جريدة تونسيّة و على بعض علماء تونس لما لهم من خلل في العقائد ذلك الخلل برأيه _أي الورتلاني _ هو السّبب في اصراف النّاس عن العقيدة الصّحيحة وعن التّوحيد و ميلهم إلى الشرك ،حيث كان المقال بعنوان : (**عنك عمّن ؟**) ،فقد تكلّم فيه عن ظاهرة الشّرك وعن ضريح (المنّوبية) ،وتكلّم عمّا يحدث فيه من شرك وضلال – حسب تعبيره – .

والشّيخ الورتلاني رغم أنّه نشأ في زاوية [2] والمعروف عن الزّوايا في ذلك الوقت أنّها كانت تدرّس كتب الأشاعرة وعلم الكلام (كالسنوسيّة) للسّنوسي ،وغيرها من كتب الأشاعرة ،ومع ذلك _أي الشيخ الورتلاني _ ثار على تلك الكتب وتلك المناهج بمجرّد أن عرف طريقة القرآن في إثبات العقائد .[3]

والورتلاني رغم أنّه لم يكتب أشياء كثيرة في هذا الباب _ على غرار غيره _ إلاّ أنّنا يمكن أن نعرف مواقفه بالتتبّع والإستقراء مع تعزيز هذه الإستقراءات بكلام ابن باديس وغيره حتى تتّضح الصّورة وتكتمل، ومن ذلك قول ابن باديس :

(أدلة العقائد مبسوطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان و نهاية التيسير ، و أدلة الأحكام أصولها كلّها فيه ، و بيانها و تفاصيلها في سنّة النبيّ صلى الله عليه و سلّم الذي أرسل ليبيّن للنّاس ما نزل إليهم ، فحقّ على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية و أذلة تلك العقائد من القرآن العظيم إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائدة الدينية على علم ، و لن يجد العامي الأدلّة لعقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله ، فهو الذي يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد للمسلمين إليه ، أما الإعراض عن أدلة القرآن و الذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات

---

[1] البصائر ،السنة الاولى ،ع1 _50 ، 1354_1355\ 1935_1936،المدير الطيب العقبي ،دار الغرب الإسلامي ،م 1 \118.

[2] محمّد مفلاح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان ، دار طليطلة ،الجزائر ،ط2،2012م،ص28.

[3] خاصّة بعد التحاقه بالجامع الأخضر .

العبارات الإصطلاحية ، فإنّه من الهجر لكتاب الله ، و تصعيب طريقة العلم إلى عباده و هو في أشدّ الحاجة إليه و قد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام و حقائقه).[1]

_أمّا بعد ذهابه _ أي الورتلاني _ إلى مصر والتحاقه بالأزهر ، فقد ثبت عنه بالتلميح ،إنكاره لبعض المناهج التّعليمية هناك ،بل إنّه أنكر _في أوّل وهلة _على زعيم حركة الإخوان "" **حسن البنا** "" [2]بعض الأمور لكونها تتنافى حسب تعبيره مع المبادئ التي عهدوها في الجمعيّة [3]_ممّا له صلة وثيقة بالتّصوّف وعلم الكلام _ إلاّ أن طريقته_ أي الورتلاني- في الإنكار تختلف عن غيره فهو يتعامل مع كلّ التوجّهات بما في ذلك الدّينية والسياسية وغيرها

_ المبحث الثاني : أشكاليّة الخلافة السّياسية وبروز الفرق الكلاميّة .

_المطلب الأول :تعريف الخلافة السياسّية .

_المطلب الثاني :بروز الفرق الكلاميّة.

_المطلب الثالث:موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من قضية الخلافة والحكم.

---

[1] محمّد الدراجي ، الإمام عبد الحميد بن باديس ،مرجع سابق ،ص 14.

[2] حيث أنّ الأستاذ البنّا تكلّم ببعض الأمور الصّوفيّة وبعض الإشارات الأمر الذي استنكره الورتلاني واعتبره منافي للخطّ الذي رسمته الجمعيّة _ وقدكان ذلك في أوّل وهلة _ إلّا أنّ الأستاذ الورتلاني غير رأيه فيه بعد ذلك واعتبر أنّ حكمه عليه كان سابقا لأوانه خاصّة بعد أن كثرت اللّقاءات وتوطّدت العلاقة بينهما جيّدا .

[3] مقال، مولود عويمر، (حسن البنا كما عرفه الورتلاني)، جريدة البصائر (الجديدة) ،الجزائر، ع695،ص13.

_المطلب الأول :تعريف الخلافة السياسّية .

الخلافة الإسلامية هي نظام الحكم في الشريعة الإسلامية الذي يقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية ليحكمها بالشريعة الإسلامية .وسميت بالخلافة لأن الخليفة هو قائدهم وهو من يخلف محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الإسلام لتولي قيادة المسلمين والدولة الإسلامية، وعليه فإنّ غاية الخلافة هي تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، وحمل رسالته للعالم بالدعوة والجهاد.

بينما الخلافة عند أغلب فرق الشيعة كالإمامية والإسماعيلية موضوع أوسع من الحكومة بعد الرسول، فالخلافة عندهم إمامة والخليفة إمام، وهي بذلك امتداد للنبوة، وكلام الإمام وفعله وإقراره حجة ويجب الأخذ به، حيث اتفق علماؤهم على أن الإمام يساوي النبي في العصمة والإطلاع على حقائق الحق في كل الأمور إلا أنه لا يتنزل عليه الوحي وإنما يتلقى ذلك من النبي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فالخليفة عند السنة يخلف بتعيينه حاكماً على الأمة، وعند الشيعة هو الإمام ولا يشترط أن يكون الإمام حاكماً. [1]لا يطبق الآن نظام الخلافة منذ سقوط السلطان العثماني عام1924 م.

الأصل اللّغوي :

الخلافة الإسلامية كلمة مشتقة من الفعل خَلَفَ أي تبع في الحكم. ومصطلح الاستخلاف في العقيدة الإسلامية هو سبب من الأسباب الرئيسة التي وضع الله البشر على الأرض من أجلها؛ كي يعبدوه ويطبقوا أحكامه التي أرسلها بواسطةالأنبياء والرسل على مر الزمن.

أن يقال "خلف فلان أباه في إدارة المتجر"، أي أخذ الولد مقام والده في إدارة باللغة العربية ودرج .المتجر بعد أن طعن الوالد بالسن على سبيل المثال .[2]

﴿ :وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) .[3]

((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ...))[4]. .

الخلافة والنظريات السياسية والفقهية :

الخلافة في الفقه السنيّ :

دلّت الأحاديث الواردة في الكتب السنيّة أنّ الخلافة يجب أن تنحصر في قبيلة قريش[5]، وأنّها ستستمر بعد محمد لفترة ثلاثين عاما، وهي فترة حكم الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إضافة

---

[1] انظر عقائدهم من خلال كتاب : أبي الفضل عباس بن ميصور الحنبلي ،البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ،مكتبة عبد الصبور بن محمّد ،القاهرة _عين شمس ، 1425م . أيضا ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ج2 ،دار ابن الهيثم ، مصر ،2005م ،ص 297وما بعدها .

وانظرفوارق بين أهل السنة والشيعة من خلال كتاب :عبد المحسن العباد البدر ،فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند اهل السنّة والجماعة ،مكتبة الرضوان ،مصر ،ص84 وما بعدها .

[2] . الفيروزآبادي ،القاموس المحيط ،دار الفكر للنشر والتوزيع ،1429هـ\2008م ،ص726ومابعدها . انظرها ضمن مادة خلف.

[3] سورة البقرة؛الآية 30.

[4] سورة ص؛الآية 26.

[5] لحديث :(**الأئمة من قريش**) أخرجه أحمد في مسنده (3 \ 129) ،وغيره ،وصححه الألباني **في**(**صحيح الجامع الصّغير**) (2\406) .

لعامين من الخلافة بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان يعتبرها السنة خلافة راشدة للحسن.ثم تحولت لملك عضوض وهي فترة تعاقب الدولة الأموية والدولة العباسية والدولة الفاطمية و الدّولة العثمانيّة وغيرها. ويُعتقد أن الدولة ستصبح حكما جبرياً، ثم ستعود مرة أخرى خلافة على منهاج النبوّة حسب المفهوم السنّي.

والخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهي عينها الإمامة، فإن الخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة فقط. ومن هنا يُعلم أن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة، ويقول أبو الحسن الماوردي" :الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "، وسمّيت خلافة لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين و**يخلف النبيَّ** في إدارة شؤونهم.

وتسمّى **الإمامة** لأن الخليفة كان يسمى إماماً، ويرى علماء المنهج السلفي أن طاعته واجبة سواء كان برّاً أو فاجراً ما لم يأمر بمعصية الله، سواء اجتمع عليه النّاس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه ولأنّ النّاس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة[1].

الخلافة في الفقه الإثنا عشري :

يعتقد الاثنا عشرية أن موضوع قيادة الأمة الإسلامية محسوم بالنص عن الرّسول محمد، حيث تنص الأحاديث الشيعية على أن علي بن أبي طالب هو أول خليفة بعد محمد. وهذه النصوص بعضها مشترك بين السنة والشيعة، مثل حديث الغدير _غدير خم_غير أن السنة يتؤولوون معناها إلى غير الخلافة. هناك كذلك حديث الكساء وحديث الثقلين وحديث يوم الدار، وغيرها من الأحاديث المشتركة بين الفريقين والتي يستشهد بها على إمامة علي، إضافة لأحاديث تفرد بها الشيعة في إثبات إمامة علي والأئمة الاثنا عشر من بعده [2].

_والخليفة عند الشيعة هو أحد الأئمة المعصومين، يختاره الإلاه و يوحي به للإمام الذي يسبقه.

و قالت الإمامية بانحصار الأئمة ولكنهم مختلفون في مقدارهم فقال بعضهم خمسة وبعضهم سبعة وبعضهم ثمانية وبعضهم اثنا عشر وبعضهم ثلاثة عشر وقالت الغلاة الأئمة آلهة أولهم محمد

---

[1] انظر كتاب نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ففيه الغنية ،نقلا عن ،موقع مكتبةالكتب ،-download-pdf-ebooks.net/6377-free-book

[2] قلت: وفي الحديث : (لو يعطى النّاس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم ،ولكنّ البيّنة على المدّعي) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10\ 252) ،وأصل الحديث في الصحيحين

رسول الله إلى الحسين ثم من صلح من أولاد الحسين إلى جعفر بن محمد وهو الإله الأصغر وخاتم الآلهة ثم من بعده نوابه وهم من صلح من أولاد جعفر وذهبت فرقة منهم إلى أن الإمام في هذه الأمة اثنان: محمد وعلي بن أبي طالب، وغيرهما ممن كان لائقا لهذا الأمر من أولاد علي فهم نوابهما[1].

الخلافة عند الزيدية:

بينما عند الشيعة الزيدية يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

خليفة المسلمين :

في التاريخ الإسلامي أول من أطلق عليه هذا اللقب هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وهو لقب يُطلق على الحكام المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين ابتداءً من عمر بن الخطاب حتى نهايةالعهد العباسي .ولم يكن هذا اللقب على أساس التزكية دائماً وإنما لُقب لمن يتقلد منصب الخليفة، وذلك كما هو الحال اليوم للألقاب التي تطلق على حكام ورؤساء الدول[2].

تاريخ الخلافة :

الخليفة الأول **أبو بكر الصديق** : تم اختياره كخليفة أول بعد الرسول محمد عن طريق البيعة بعد نقاش دار في سقيفة بني ساعدة بين الأنصار والمهاجرين .وكانت أسبقية أبي بكر في الإسلام ومكانته عند الرسول وخصوصا اختياره لإمامة المسلمين في الصلاة من قبل الرسول أثناء مرضه أحد الإشارات التي اعتمد عليها جمع من الصحابة لتأكيد أفضلية أبي بكر، كما ذُكر في القرآن كأحد اثنين في الغار أثناء هجرته مع رسول الله إلى يثرب .وتمت البيعة له وظل في الحكم لعامين.

الخليفة الثاني **عمر بن الخطاب** : عُين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عن طريق وصية مباشرة من أبي بكر الصديق، واستمر في حكمه مدة 10 أعوام.

---

[1] لمعرفة الفكر الشيعي في مثل هذه القضايا ينظر:(**الكافي**) **"للكليني** " مثال ذلك الصفحات التالية :(1\193)،(1|206)،(1\194)، (1\206)، وينظر :الخميني ،(**الحكومة الإسلامية**) ،ص52،نقلا عن :عبد المحسن العبّاد ،فضل أهل البيت ،مرجع سابق ،ص84 _91.قلت : ومن الكتب المليئة بالغلوّ الشيعي في مثل هذه القضايا كتاب (**نهج البلاغة**) ،المنسوب إلى علي بن أبي طالب .

[2] انظر: ar.wikipedia.org/wik

الخليفة الثالث **عثمان بن عفان** : قام عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤة وإحساسه بدنو أجله بتشكيل مجلس مؤلف من ستة أشخاص مرضيين من قبل رسول الله في الإسلام .على أن يتم الاختيار من بينهم بالشورى .وتم أول ما يمكن تسميته بانتخابات ضمن المجتمع الإسلامي الوليد للاختيار بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأسفرت النتائج كما تقول المصادر عن العملية الاستفتائية التي قام بها عبد الرحمن بن عوف 2 1 عن تسمية عثمان بن عفان خليفة للمسلمين، واستمر في الحكم 12 عاما.

الخليفة الرابع **علي بن أبي طالب** : بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان في أول فتنة تشهدها الدولة الإسلامية استلم علي بن أبي طالب الخلافة بمبايعته من قبل جمع من الصحابة ليستلم بذلك دولة في حالة اضطراب شديد اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ورفض والي الشام وقتها معاوية بن أبي سفيان مبايعة علي بن أبي طالب تذرعا بضرورة القصاص أولا من قتلة الخليفة عثمان مما أدى إلى فتنة بين المسلمين ومعارك بين الجانبين، واستمر علي في الحكم خمسة أعوام.

بعد اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه الحسن بن علي الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم قبل أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية محققا بذلك ما يؤمن المسلمون بكونها نبؤة للرسول محمد بأنه سيد وسيصلح بين فئتين عظيمتين، بعد تقلد معاوية بن أبي سفيان للخلافة في دمشق عمل على التوصية بالخلافة – خلال حياته – لابنه يزيد بن معاوية وبعد وفاة معاوية أصبح ابنه يزيد هو الحاكم الجديد مما أدى إلى رفض بعض الصحابة من ضمنهم الحسين بن علي لذلك الأمر، فقرر الحسين الدعوة لنفسه رافضا أن تتحول الخلافة إلى حكم وراثي، مما أدى لنشوب معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين على يد عبيد الله بن زياد، وبعد وفاة يزيد تولى ابنه معاوية بن يزيد مقاليد الحكم وراثيا ولكنه أعلن رفضه للأمر وقرر الانعزال وترك الأمر شورى بين المسلمين.

وفي تلك الأثناء كانت البيعة قد تمت لعبد الله بن الزبير في العراق وأصبح بذلك الخليفة الشرعي وبشكل تمرد على الدولة الإسلامية، إلا أن مروان بن الحكم وقف في وجه هذا التمرد وتم اختياره من قبل الأغلبية خليفة للمسلمين ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان والذي خرج على الخليفة في الحجاز عبد الله بن الزبير ونشبت معارك قادها رجل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي انتهت باستشهاد الخليفة عبد الله بن الزبير بجوار الكعبة لينتهي بذلك الأمل في عودة الخلافة

إلى شورى بين المسلمين. وبشكل عام تعتبر بداية تولي معاوية بن أبي سفيان هي بداية نهاية الخلافة وتحولها لملك عضوض وحكم وراثي منحصر في أسر حاكمة تتنافس فيما بينها على الحكم.
وهكذا يقسم التاريخ الإسلامي بعد ذلك لدولة أموية حكمها الأمويون، ودولة عباسية حكمها العباسيون، ودولة فاطمية حكمها الفاطميون [1].

ثم دولة عثمانية حكمها الأتراك العثمانيون، والتي انتهت عام 1924 بإعلان الجمهورية التركية من قبل مصطفى كمال أتاتورك وتحت تأثير الحرب العالمية الأولى وحركات الانفصال العربية عن الحكم التركي مثل تلك التي قادها الشريف حسين في الحجاز.

المسيرة التاريخية :

على زمن الدولة الإسلامية، قامت خلافة الخلفاء الراشدين من بعد موت الرسول، بداية من أبي بكر الصديق إلى علي بن أبي طالب .ومن ثم بدأت الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية .وقد انتهى نظام الخلافة الرسمي بنهاية الدولة العباسية على يد المغول .أما بالنسبة للدولة العثمانية،
فكان السلطان يلقب بصاحب مقام الخليفة أي الذي يحل محل الخليفة، وذلك لعدم اعتراف المسلمين بأي خليفة إلا أن يكون إما من سلالة الرسول أو من أشراف مكة أي من قبيلة قريش.
بالإضافة إلى الخلافة الفاطمية التي بدأت وانتهت في زمن الخلافة العباسية (أي أن الخلافة العباسية بدأت قبل الخلافة الفاطمية وانتهت بعدها) فلم يعترف بالخلافة الفاطمية إلا الشيعة .وأما بالنسبة إلى الخلافة الأموية بالأندلس فقد بدأت الدولة الأموية بحاكم يعتبر واليا وأُنصب خليفة أموي عليها

[1] انظر بمزيد إيضاح:جلال الدّين السيوطي ،تاريخ الخلفاء ،تحقيق :أحمد زهوة ،سعيد العيدروسي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،2005م .

بعد إسقاط الخلافة الأموية من قبل الخلفاء العباسيين. وكان العامة ينادون الخليفة بالأندلس تحت اسم خليفة المسلمين في بلاد الأندلس وذلك يعود إلى رفض المسلمين إلى مناداة خليفة المسلمين لأكثر من شخص واحد، حتى لا يدل ذلك على انقسام المسلمين بل انقسام دول المسلمين. وفي أثناء الخلافة العباسية قامت عدة دول أخرى تحت ظل العباسيين من ضمنهاالسلاجقة والدولة الطولونية ودولة القرامطة وعدة دول أخرى في عدة مناطق من العالم الإسلام [1].

_المطلب الثاني: بروز الفرق الكلاميّة .

إن المشكل السياسي الذي أعقب أحداث الفتنة الكبرى، وما صاحب ذلك من صراعات وانقسامات أفرز فرقا وتيارات سياسية تبنت في البداية مواقف سياسية تجاه مؤسسة الخلافة والحكم، سرعان ما تحولت هذه المواقف إلى طروحات نظرية. وكان موضوع (الكفر والإيمان) أول موضوع يطرح للمساءلة وللنقاش النظري الكلامي. هذه النقاشات النظرية أفرزت فرقا كلامية دينية لها أفكارها، ومبادئها، ونظرياتها، وطرق دفاعها عنها.

من أبرز تلك الفرق:

الخوارج:

ظهرت فرقة الخوارج بعد رفض مجموعة من أتباع علي التحكيم بينه وبين معاوية، بعد معركة صفين. فرقة كلامية منطلقها الأساسي هو أن الإيمان "تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح" وأي إخلال بشرط من هذه الشروط الثلاثة يؤدي بصاحبه إلى الكفر.. ومن ثم حكمت على مرتكب الكبيرة بالكفر .

المرجئة:

[1] **نقلا عن موقع :**ar.wikipedia.org/wik

هذه الفرقة التزمت بمبدأ الحياد تجاه المشكلة السياسية، أما على مستوى التنظير فقد حددت الإيمان بأنه تصديق بالقلب فقط وبذلك لا تنفع مع الكفر طاعة كما لا تضر مع الإيمان معصية .ومن ثم فإنها لم تكن لتكفر مرتكب الكبيرة.

لقد مثلت مختلف هذه الفرق أنساقا فكرية لها مبادؤها ومنطلقاتها وأهدافها. وسعت الدولة الأموية إلى دعم بعض الطروحات التي تخدم أهدافها وأيديولوجياتها مثل فكرة الإرجاء، وفكرة الجبر، وهما الفكرتان اللّتان استغلتهما الدّولة لتبرير انزلاقاتها السياسية والدينية.' [1]

وكانت هذه الظرفية الاجتماعية سببا لطرح موضوع العدل الإلهي طرحا نظريا ممنهجا، مما أفرز تيارات مختلفة ومذاهب متنوعة أدلت جميعها بدلوها في مناقشة موضوعات نظرية ممنهجة ومنظمة تمحورت أساسا حول مفهوم التوحيد والتنزيه المطلق للذات الإلهية[2].

ذ_ المعتزلة وعلم الكلام:

أفرزت مختلف العوامل السابقة، إضافة إلى عوامل أخرى، طائفة كلامية كان هدفها الأساس مواجهة مختلف التحديات والشبهات التي ألصقت بالعقيدة الإسلامية، ومن ثم سعت إلى إعادة تأسيس مفهوم جديد للتوحيد يقوم على مبدإ التنزيه المطلق للذات الإلهية، وتصور خاص للعدل الإلهي..

وهي فرقة المعتزلة، التي تمكنت من أن تؤسس إطارا فكريا متناسقا ومنسجما.. وخلاصة أمر ظهورهم جاء تدريجيا حسب المراحل التالية: ظهرت في أواخر الخلافة الراشدة مع بداية زمن الأمويين حيث تطورت ونضجت جل مقولاتهم الكلامية. ومع بداية عصر العباسيين شهدت ذروة القوة والهيمنة (193-227 هـ) حتى زمن المتوكل، وبعد ذلك عرف هذا المذهب مرحلة الضعف والانحطاط.

واشتهر المعتزلة بأصولهم العقدية المعروفة، وهي: التوحيد، والعدل الإلهي، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[3]

الأشاعرة وعلم الكلام :

---

[1] انظر :البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ،مرجع سابق ،ص5 وما بعدها.وانظر: محمود لطفي عامر ،الخوارج دعاة على أبواب جهنّم ،دارالآثار ،القاهرة –مصر ، 2004 م.وانظر :_ابن حزم ، الفصل ، مرجع سابق ،ج2 ، ص297 وما بعدها .

[2] انظر فرق المرجئة وهي كثيرة من خلال كتاب :البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ،المرجع السابق ،ص19 وما بعدها.

[3] ابن حزم ،الفصل ،ج2،307وما بعدها .و،محمد أمان بن علي الجامي ،العقيدة الإسلامية وتاريخها ،دار المنهاج ، مصر ،2004م ،ص72-75.

حينما تراجع الإمتداد والتوسع المعتزلي بسبب تحول سياسة الدولة العباسية تجاههم، خصوصا في زمن المتوكل والواثق والمعتصم أثّر ذلك سلبا على المذهب الاعتزالي، فبدأ انحسار الإتجاه المعتزلي وتقلص شعبيته، في الوقت ذاته الذي انفصل الأشعري وأسس مذهبه العقدي الجديد .

فالظرفية التاريخية التي سبقت ظهور المذهب الأشعري كانت فترة تاريخية متميزة في التاريخ الإسلامي، حيث وصلت بعض الفرق والمذاهب إلى درجة كبيرة من الغلو والتطرف في المعتقدات والأفكار..

لذلك وجدت الإتجاهات التي تبنت المواقف التوفيقية أرضية خصبة للامتداد والتوسع.

وهذا يعني أن الظرفية السياسية والثقافية كان لها الدور الأبرز في بروز هذا الفكر الجديد، وكأنه فكر – وسطي– [1]معتدل يشتمل بكيفية أو بأخرى على جوانب عقلانية وأخرى سنية.. جوانب منحته قدرة على الاستمرارية في ظل السلطة العباسية التي وفرت له مناخا مهما للتأقلم والتكيف[2].

_المطلب الثالث :موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من قضيّة الخلافة والحكم.

في شهر نوفمبر من عام 1922 اتخذ "مصطفى كمال أتاتورك"، زعيم تركيا الصاعد نجمه، إثر الحرب العالمية الأولى، قرارا بالغ الجِدّة في واقع الخلافة العثمانية المستقرّة في بلاد الأناضول منذ قرون عديدة. وقد قضى ذلك القرار بتجريد الخليفة العثماني من كل مضامين "السّلطة" التي كان يمارسها، مما يعني أنّه قد انتزع منها كلّ صلاحياتها السابقة في حكم البلاد، والتصرّف في كافة شؤون الدولة. وبذلك صارت مجرّد "مؤسسة رمزية" تُعْنى بالشّؤون الخاصة بالدّيانة الإسلامية. ولم يكن هذا القرار إلاّ إجراءً مرحليّا أتاح للحاكم الجديد أن يُهيّئ النفوس للقرار القادم الذي كان هو المقصود منذ بدْء استيلاء أتاتورك وأنصاره على السلطة.

وبالفعل، فقد صدر قانون 13 مارس عام 1924 الذي ألغى الخلافة نهائيا، وأعلن، في بلاد الترك "نظام الجمهورية ذا الطبيعة اللّائيكية". ومنذ هذا التاريخ قفزت "مسألة الخلافة" إلى مكان الصَّدارة في قائمة الاهتمامات الإسلامية، وأصبحت موضوعاً لأنواع من النقاش والمساجلات. وقد صدق الشيخ رشيد رضا حين قال في كتابه المسمّى "الخلافة أو الإمامة العظمى"، "إن مسألة الخلافة كان مسكوتا عنها، فجعلها الانقلاب التركي الجديد أهمَّ المسائل التي يبحثون فيها".

وفي أعقاب ما شهدته بعضُ أقطار الوطن العربي من تطورات ربيعية، وما استجد فيها، نتيجة لذلك

---

[1] هذا بالنّسبة إلى معتقديه طبعا .

[2] محمّد أمان الجامي ، المرجع السابق،ص92-99.

من أوضاع، عادت قضية الخلافة الإسلامية تطفو على السطح من جديد، سواء بالإيماء من بعيد إلى عهود الحكم الإسلامي الأولى، أو بالدعوة الصريحة إلى بعث الخلافة في شكل معاصر لتكون أداة للحكم... ولذلك بدا لنا أنه ربما كان من النافع أن نذكر بأن هذا الموضوع ليس جديدا كما قد يبدو للبعض وأنه قد أسال حبرا كثيرا، وأثار نقاشا كبيرا منذ ما يقرب من تسعين سنة. وبقي النقاش حاميا ووصل إلى التي كان كثير من علمائها وأدبائها وأعلام النضال الوطني فيها يتابعون كل ما يستثير النقاش.

---

(1)-انظر : علي بن محمد ،الشروق اليومي ،يوم 11_12_2011

_نقلا عن موقع جزايرس الإلكتروني

نشر الشّيخ ابن باديس، في عدد شهر مايو من عام 1938، في مجلته الشهيرة المسمّاة "الشِّهاب"، .مقالا لافتا للانتباه، جعل عنوانه في شكل تساؤل مثير هو: "الخلافة أم جماعة المسلمين؟"[1]

فما هي عناصر الإشكالية المطروحة في هذه القضية؟ وما هو الحلّ الذي توصّل إليه الشيخ ابن باديس للبسط القول في هذا التساؤل الكبير الذي طرحه؟.. والذي بدا لنا، من تحليل مقالته السالفة الذكر، أنه قد اهتدى إلى ثلاثة عناصر في الإشكالية.

_ وقد أبرزها _أي ابن باديس _ وخصّ كلَّ واحد منها بوقفة تحليلية:

العنصر الأول: يتعلّق بما يمكن أن نُسمّيه "الطابع الوقتي" للخلافة الإسلامية. فهو يرى أنّها لم تحتفظ طويلا بكل مُقوماتها؛ لا من حيث صلاحيّاتُها الوظيفية، ولا من حيث امتدادُها الزماني والمكاني. فهي منصب لم يَتَوَلَّه شخص واحد، بجميع صلاحيّاته، إلاّ في ما سماه فترة "صدر الإسلام وزمن

---

[1] مجلة "الشِّهاب، شهر مايو ،من عام 1938 . **_قلت** : وهو نفس الطّرح تقريبا الذي طرحه أبو يعلى الزّواوي في كتابه(**جماعة المسلمين**) والذي نشره قبل ذلك في جريدة الإصلاح التي كان يديرها الشيخ الطّيب العقبي في مدينة بسكرة ،والشيخ _أي الزّواوي _تعرّض لموضوع الخلافة بشكل موسّع ،حيث لعلّه لم يتعرّض لهذا الموضوع بهذا التّوسّع وهذا السّبق معا أحد _مثله _ من أعلام جمعيّة العلماء . انظر :أبويعلى الزّواوي ،جماعة المسلمين ،منشورات الحبر ، الجزائر ،ص 9 ومابعدها .

بعده". على أنّه حتى في هذه الفترة نفسها لم يسلم من "فُرقة واضطراب" كما يقول.

العنصر الثاني: يتعلق بصفة "التعددية" في منصب الخلافة. ويُعبّر الشيخ ابن باديس عن ذلك بقوله: "(لقد) قضت الضرورة بتعدّده في الشرق والغرب". ومعنى ذلك أنه فقدَ صفة أساسية من صفاته، وهي أن يكون كما كان في الأصل واحدا مُوَحِّدا. ومن المعلوم أنه كان، في وقت من الأوقات، ثلاثة خلفاء في أرض الإسلام: الخليفة العبّاسي في بغداد، والخليفة الأمويّ في قرطبة، والخليفة الفاطمي في القاهرة .

العنصر الثالث: وهو تحصيل للعنصرين السابقين، ومُؤدّاه أنّه إذا كانت الخلافة قد فقدتْ طابع الديمومة لكل مُقوّماتها الأصلية، ثم فقدت طابع الشمولية لتغطية كل الرقعة الإسلامية، كما يدلّ على ذلك لقب "أمير المؤمنين"، الذي هو اللقب الخاص بمن يتولى قيادة جميع المسلمين، فإن منصبها في نظر الشيخ الإمام، قد "انسلخ عن معناه الأصلي، وبقي رسمًا ظاهريًّا تقديسيا، ليس من أوضاع الإسلام في شيء".

وخلاصة هذه الإشكالية، من خلال عناصرها المتقدّمة، وكما لخصناها بألفاظ الشيخ، هي أن الأُمّة الإسلامية لم تخسر شيئًا بإلغائها في نظره. وفي ذلك يقول: "ويوم ألغى الأتراك الخلافة ولسنا نُبرّر كلّ أعمالهم لم يُلغُوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي، وإنّما ألغَوْا نظاما حكوميا خاصّا بهم، وأزالوا رمزا خياليّا فُتِنَ به المسلمون لغير جدوى[1] .

[1] الشروق اليومي ،11-12-2011 ،علي بن محمّد ،(موقف الامام عبد الحميد بن باديس من قضيّة الخلافة الإسلاميّة) .

وهكذا، بعد طرح الإشكالية بكل عناصرها، واستخلاص الدروس الهامة منها، يصل الشيخ ابن باديس إلى استعراض المواقف الصادرة عن نُخَب المجتمع الإسلامي إزاء القضية. وهو يُجْمِلُها في موقفين اثنين يورد كل واحد منهما مُعلّقا عليه في الوقت ذاته.

الموقف الأوّل: هو ذلك المتمثل في اندفاع فئات من نُخب المسلمين إلى التشبّث برمز الخلافة. وهو يُبدي عجبه الكبير من تهافُتهم في البحث عن الكيفية التي تمكنهم من الاهتداء إلى أسلوب يُعيدون به بَعْثَ الخلافة بعد إزالتها في تركيا "الكمالية". وهو لا ينسى أن يُلاحظ أنّ الصّحف في الشرق والغرب، ولاسيما صحف الانكليز، تُتابع هذا الموضوع باهتمام شديد.

الموقف الثاني: هو ذاك الصادر عن الناس في مصر، وفي مُقدّمتهم مؤسّسة الأزهر التي يُولي عُلماؤها موضوع "الخلافة" عناية فائقة، ويعملون على بعثها في ديارهم، وتَوْلِيَة مَلِكِهم أمرَها. ويُبدي ابن باديس شديد العجب من ذلك لأنه لا يفهم كيف يمكن أن يستقيم هذا السعي مع واقع مصر آنئذ. وفي ذلك يقول: "يتحدّثون في مصر، وفي الأزهر، عن الخلافة كأنهم لا يرون المعاقل الانكليزية الضاربة في ديارهم، ولا يشاهدون دُور الخمور والفجور المعتَرف بها في قانونهم."[1].

وبعد خطوات الدرس والتحليل هذه، يصل الشيخ الإمام إلى الإعراب عن موقفه الحازم، الصريح، الذي يُبديه في شكل صرخة استنكار وإدانة لِما يراه عبثا لا طائل من ورائه، فيقول: "كفى غرورا وانخداعًا! إن الأُمم الإسلامية اليوم، حتى المستعْبَدة منها، (يقصد الواقعة تحت الاحتلال)، أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجُبَب والعمائم"..! أجل، حتى من كانوا في منزلة التبجيل والتوقير من علماء الدين الإسلامي، وحتى المنتمين منهم إلى مؤسسة ثقيلة في الميزان من نوع علماء الأزهر (أصحاب الجُبَب والعمائم!) لم يعد بإمكانهم أن يُقنعوا الجماهير المسلمة بمثل هذه "التهاويل" كما يُسمّيها ابن باديس. وكأن نظرة شيخنا إلى أصحاب العمائم تتجاوب مع نظرة الإمام محمد عبده، حين اشتكى منهم في ذلك البيت الشعري المعروف:

ولكن دينا عشت أبغي صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم [2]

[1] المقال السابق (بدون أرقام للصفحات).

[2] المقال السابق ، وانظر: madrasala@hotmail.com

_ قضايا في مسائل الحكم والإمارة :

(نبذ من كلام الأستاذ الورتلاني في نصيحته للإمام أحمد بن يحي ملك اليمن وحاكمها) .

_ قضيّة الحكم بغير القرآن :

قال الأستاذ الورتلاني ناصحا لإمام اليمن وحاكمها ، ومبيّنا له سبب تقدّم الدّول وتخلّفها :(ليسمح لي مولاى أن أتقدم بين يدي التقرير بمقدمة ظاهرها بعيد عن الموضوع و باطنها في صميمه فأقول : إن أبلغ وصف يا مولاي لبلاد اليمن السعيدة هو الذي جاء به القرآن الكريم الذي أنزل على جدنا العظيم صلوات الله و سلامه عليه) [1] .

[1] محمّد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص 110.

ثمّ ساق له مجموعة من الآيات مع الشّرح والتّحليل: ((قال الله جلت قدرته: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [1]

إنّ من مميزات كلام الله كما تعلمون الخلود و الإعجاز و حظ التذكير لنا في هده الآيات أنه من ناحية الخلود يؤخذ ان طيبة البلد أمر مستمر إلى يوم القيامة ،و من ناحية الإعجاز يؤخذ من كلمة(طيبة) عدم قدرة أحد من الخلق أن يصفها بكلمة واحدة مثلها على شمولها ، لكل ما تنطوي عليه من خيرات نافعة ، ثم إنه لولا كثرة ما أودعه الله فيها من المنافع ما جعلها عبادة في كتابه العزيز يتعبد بها إلى يوم القيامة . [2]

فكأن الله تعالى و هو أعلم بالمراد ، يخاطب المسلمين بواسطة كتابه الكريم أن يحتفظوا بهذا البلد الطيب ولو كلفهم ذلك ثمنا غاليا من دمائهم و حياتهم ، و هذا ما حصرتم عليه جلالتكم في كل ما مضى جزاكم الله عن اللإسلام كل خير ، و كأنه عز و جل في الوقت نفسه يحثهم في المبالغ في البحث و التنقيب و العثور على ما في هذه التربة من (طيبة) يستعينون بها على إعزاز الجماعة المسلمة لأنه قد قضى بأن العزة لله و لرسوله و للمؤمنين و إعلاء كلمة الحق في هذه المعمورة ، و كأنه يقول :أنا أكتفي بوصف البلدة (بالطيبة) و انا اصدق الواصفين , و اكتفي بالإنعام عليكم بعقول مدركة و قد قلت ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [3](اتلوا إن شئتم نبأ من قبلكم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [4] و العلة تدور مع المعلول وجودا و عدما و لن تجد لسنة الله تبديلا , و هنا يبدو من ظاهر الآية الكريمة ان الخيات كامت شاملة في هذه البلاد و

[1] سورة سبإ؛ الآية 15 .

[2] المرجع السابق نفسه ،ص111.

[3] سورة النساء؛ الآية 82.

[4] سورة سبإ؛ 17/16

ان العمران كان عاما و متصلا مع ثروة و رفاهية ، ذلك من قوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [1] الآية

ثمّ بيّن له **نهاية من ترك أحكام الله وشريعته الغرّاء** بقوله : (و لم تعد القرى الآن مع الأسف ظاهرة فكثيرا ما يسير المسافر في اليمن الحاضرة عشرات الأميال و لا يقع بصره على قرية ظاهرة , و في الوقت نفسه لولا ما أكرم الله به هذه البلاد من حزم جلالتكم و الأخذ بناصية الأمور لما كان هنا من أمن ...خلافا لما كان عليه في الماضي والذي تشير إليه الآية :ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ [2]

ثمّ وضّح له تصريحا _بعد أن كان تلميحا _سبب هلاك الأمم فقال : ((و يشتم من (باعد بين أسفارنا) أنّ القرى كانت متلاصقة فكانت مراحل أسفارهم قريبة فكان الأمن شملا بسببه **و لما أعرضوا عن شكر الله خرب سدودهم و تعطلت زراعة أرضهم فشاع فيهم الجوع فتفرقوا ايدي سبأ و الله أعلم .))** [3]

_ قضيّة الشّورى في الحكم :

تأسيس مجلس الشّورى :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] سورة سبأ،الآية 18.

[2] سورة سبأ،الآية ،18_19.

[3] محمد العيد تاورته ،مرجع سابق ،ص112،113.

قال متمّما نصيحته للإمام يحي ملك اليمن ،**مبيّنا أهمّية الشّورى في الحكم الإسلامي** : ((و إنّي أرى من واجبي المقدّس الذي أستمده من الإخلاص لجلالتكم أن أنصح بتأسيس مجلس لشورى لجملة من الإعتبارات منها : [1]

أولا: تخفيف الأعباء العظيمة الملقات على عاتق جلالتكم في التدبير و التنفيذ

ثانيا : إعداد نخبة صالحة من رجالكم النابهين المخلصين لاحتمال المسؤوليات و التبعات فذلك خير سبيل لتربية الرجال و المملكات فقد حفظ الله هذه المملكة طول حياتكم بحسن تدبيركم و إعظام الناس لمقامكم و ليس عزيزا عليه أن يحفظها بعد إلتحاقكم بالرفيق الاعلى (بعد عمر طويل إن شاء الله) بحسن تدبيركم بمن ترجحونهم من الرّجال... .

ثالثا : إن هذا العصر الذي نعيش فيه يا مولاي عصر الشورى فما أكثر دول العالم تعتمد الشورى أساسا لنظامها و لسنا في غنا على مسايرة هذا العالم فيما لا يخالف ديننا ... .

رابعا : سيحدث اعظم وقع في نفوس رعيتكم المخلصين يزداد به حبها لجلالتكم و لبيتكم الكريم و الاخذ بالخواطر من سنن جدكم المصطفى صلوات الله عليه .

خامسا : لعله من الخير لشخص جلالتكم أن تلقو ربكم و لستم وحدكم المسؤولين عن هذه الامة بل أشركتم معهم أهل العلم والفضل بمقتضى قوله تعالى : چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ [2]وقوله تعالى : چ ں ڻ ڻ ۀ چ [3]

---

[1] المرجع نفسه ،ص125،124.

[2] آل عمران ،الآية 159.

[3] الشورى:،الآية 38.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المبحث الثالث : التّصوف وظهور الطّرق الصوفيّة (الطرقية).

_المطلب الأول : تعريف التّصوف .

_المطلب الثاني :التّصوف في المغرب (تاريخه وظروف نشأته) .

_المطلب الثالث: موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من الصوفية (الطرقية) .

_المطلب الأوّل :تعريف التصوّ ف.

قبل الحديث عن الصوفيين لابد أولاً أن نستعرض ما قيل عن التصوف في بعض المصادرالعربية.
التصوف لفظة اختلف المفكرون في أصلها قال القشيري) ت 465 هـ (في رسالته القشيرية لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية سوى صحبة رسول الله إذ لا فضيلة له فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل اعصر الثاني تسمى من صحب الصحابة التابعين و رأوأنّ ذلك أشرف سمة أ ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين و ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقبل خواص الناس — ممن لهم شدة عناية بأمر الدين— الزهاد والعباد ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً ،فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله سبحانه وتعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة)[1]

[1] أبو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ،دار التربية، د ت ،ص115_117.

وعرفه ابن خلدون بقوله : ((هذا العلم – يعني التصّوف – من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة – وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية ، و أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والأارض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانف ا رد عن الخلقفي الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختفى المقبلون على العبادة اسم الصوفية والمتصوّفة .)) [1]

ويؤكد **حاجي خليفة** ما ذهب إليه **القشيري** في رسالته القشيرية من أن كلمة التصوف ظهرت للمرة الأولى نهاية القرن الثاني للهجرة إذ يشير بقوله ((ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا إن فيهم زهاداً ، فانفرد خواص أهل السنة المر ا عون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاءالأكابر قبل المائتين من الهجرة [2])

ويمكن القول إن التصوف منذ بدايته نشأ باتخاذ الزهد في الدنيا ، وزينتها والإقبال على الطاعات والاستز ا دة منها على الآخرة والعمل لها ، وهذا ما دعا إليه القر آ ن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين الذين كانوا أزهد الناس للحثّ على الدعوة الخالصة للإسلام.

_(بداية الإنحراف) انحراف المتصوفة :

((كما ذكرنا سابقاً بأن الدين الإسلامي أكد على الاهتمام بأمور الدنيا وتنظيمها ، كما يدعوا إلى العمل للآخرة ، وإلى تطهير الجسم والنفس وعدم الحرص على الملذات .

وأكد الله تعالى في محكم كتابه العزيز ذلك بقوله : ((د د ئا ئا ئه ئەئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆئۈ)) .[3]

---

[1] .عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،دار البيان، د.ت،ص329.

[2] حاجي حليفة ، (كشف الظنون عن أساليب الكنى والفنون) ،اسطنبول (1941 أعيد طبعه بالاوفست) بغداد : د.ت (ج1\414).،نقلا عن : لمياء عز الدين الصباغ ، (الصوفيون والتصوّف في المغرب العربي حتى القرن الرابع) ، مجلة كليّة العلوم الإسلامية ، المجلد السابع العدد14) ، 1434هـ 2013 م/1).

[3] القصص: 77

كما أكد بعض الصحابة والتابعين على التقشف في الحياة والزهد فيها ، وعلى مرّ الأيام أصبح الزهد عند فريق من المسلمين أسلوباً في الحياة ، ثم تطور فأصبح طريقاً إلى المعرفة ، وطريق التصوف يجمع بين الزهد والتصوف في آن واحد وهو يتطلب تصفية النفس وتزكيتها ، وقد ذكر أبو نصر السراج الطوسي بقوله إن المتصوف لا يترقى إلى مقام أعلى من مقامه إلا بعد أن يكون قد مر بالمقامات السبعة منها : التوبة ثم الورع ثم الزهد التام في خيرات الدنيا حتى الحلال الموجود منها ثم يأتي إلى الفقر ثم الصبر على المكاره والبلايا بعدها التوكل والثقة بالله وأخيرا الرضا أي تقبل العبد لكل ما يحدث متمثلاً في ذلك لإرادة الله تعالى) وهكذا بدا الراغب في سلوك طريق الصوفية

وانحرافهم عن الزهد يقضي نهاره في التفكيروالتعمق في العبادة والمغالاة فيها والدعاء بلسانه وإدامة الذكرالعبارات بعينها ومحاسبة النفس واجهادها وبزيادة العبادة من صلاة وصيام وقيام في الليل والتبتل ووقراءة القرآن وقلة أكل والامتناع عن كل ما احل الله من الطيبات ، وامتناع عن كل ما هو مباح))[1].

نشأة التصوف في المغرب :

لابد أن تنشأ جماعة متميزة من الزهاد لها طريقتها في العبادة كما يصفها ابن خلدون بقوله :

"لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأ ع ا رض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[2]) " .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أصحاب التصوف اعتكفوا منذ البدء على العبادة والانقطاع إلى الله عز وجل والابتعاد عن ملاذة الدنيا وزينتها والإقبال على الآخرة والعمل لها ، وهذا

---

[1] لمياء عز الدين الصباغ ، (الصوفيون والتصوّف في المغرب العربي حتى القرن الرابع).

[2] ابن خلدون ، مرجع سابق ،ص329.

ما نص عليه والصحابة ، فقد كانوا من أوائل الزهاد والمتصوفة يحثون على القرآن وسيرة الرسول الناس بالدعوة إلى الكتاب والسنة يشاركونهم حياتهم ويقومون بدور فعال في توجيه المجتمع وإصلاحه ويحثون على الجد والعمل.

لقد ظهرت بدايات التصوف في المغرب قبل الانحراف من خلال العبادة والانقطاع والإقبال إلى الله سبحانه وتعالى والبكاء عند قراءة القرآن والاستماع إلى المواعظ والتي تعد من ابرزسمات الزهاد الأوائل وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى البعض من هؤلاء الزهاد والعباد في بلاد المغرب العربي [1] .

– تراجم لبعض الزّهاد المغاربة :

رباح بن يزيد اللخمي المكنى بأبي يزيد ت 172 هـ 88 –م (كان رجلاً صالحاً مشتهرا بالفضل والزهد ، متعبداً ثقة مستجاب الدعوة والمنقطع إلى الله تعالى بالعبادة وقيل عنه " كان اذا دخل الشتاء أخذ في البكاء رحمة للفقراء وكان يوصي بكتاب الله وينصح بالالتزام به . وفي رسالة إلى بن ا رشد يقول له " واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين) "

–عبد الخالق المعروف بالقباب المكنى بأبي خالد:

يقول أبو العرب كانت وفاته بعد وفاة البهلول بن ا رشد بسنتين فالبهلول مات سنة (183 هـ / 799م (فتكون وفاته سنة 185) هـ 801 /م(وكان من المجتهدين في العبادة ويغلب عليه الخوف ، وهو من أصحاب البهلول بن ا رشد)) قال أبو العرب " ما علمت انه روى عنه علم غير مناقبه وفضائله) "

_عبد الملك بن أبي كريمة :

[1] لمياء عز الدين الصباغ ، المرجع السابق ،البحث بدون تصفيح .

ت 204 هـ 819 /م (كان ذا ثقة ، مستجاب الدعوة وكان مولى (لإسماعيل بن عبيد تاجر الله ، كثير الرواية عن خالد بن أبي عمران ؛ كان يقوم الليل كله ، فإذا أقبل السحر جعل يدعو بصوت محزون).[1]

_المطلب الرابع : موقف الورتلاني وجمعيّة العلماء من الصوفية(الطرقية).

أمَّا ما يتعلَّق بالتصوُّف فحسْبُ القارئِ في الجواب عنه هذه النقولات من كلام علماء الجمعية –رحمهم الله– الصريح في إنكار دعوتهم على الصوفية وطرائقهم :

– نبتدئ أوَّلاً بإلقاء نظرةٍ في الأصول التي قد قامتْ عليها الجمعية وبنتْ عليه دعوتها، والتي قد ذُكِرَت تحت عنوان: «دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها»[2]، وحينئذٍ نجد أنَّ منها تبديع الطرق الصوفية، وذلك في ما يلي: «الأصل السادسَ عشرَ: الأوضاع الطُّرقية بدعةٌ لم يعرفْهاالسلف، ومبناها كلِّها على الغلوِّ في الشيخ والتحيُّز لأتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من الإذلال والاستغلال ومن تجميد العقول وإماتةٍ للهمم وقتلٍ للشعور وغير ذلك من الشرور»[3] .

يقول "**الشيخ الورتلاني** " في معرض ذمّهم : ((**تلك أيّها الإخوان طائفة الخرافيين ،وشرذمة الدّجالين أباد حضائرهم ونفخ فينا من روحه** ...))[4] .

---

[1] لمياء عز الدين الصباغ ، (الصوفيون والتصوّف في المغرب العربي حتى القرن الرابع).

[2] _ «من وثائق جمعيّة العلماء المسلمين» ،مرجع سابق ،ص(15)

[3] المرجع نفسه ،ص(19).

[4] مسعود الورتلاني ، مرجع سابق ، ص91 .

ويقول" **الورتلاني** "أيضا : ((**ففتح _ الله _ منافذ التّفكير ... بعد أن كانت موصدة بحكم خرافات ديوان الصّالحين ،وعلى رؤوسم الأقطاب السّتة والغوث النافع ، هنا انفتح الباب** ...) [1] .

كما كتب الشيخ مقالا يعتب فيه على جريدة تونسيّة و على بعض رجال الدّين في تونس لما لهم من خلل في العقائد _ برأيه _ذلك الخلل هو السّبب في انصراف النّاس عن العقيدة الصّحيحة وعن التّوحيد و ميلهم إلى الأضرحة وأصحاب القبور [2] .

ومعلوم أنّ الصّوفية هم أكثر النّاس انشغالا بالأضرحة والقبور وهي من الأمور التي اشتهر بها أصحاب الطّرق على اختلافهم [3].

وقال **الورتلاني** _ رحمه الله _ في مقال بعنوان (رحلات وفد جمعية العلماء) : ((**حتى إذا انجلى نور الله ... انجلى ما كان في الكون مختبئا من آيات في عهد صالحي الأموات حاجبيها على الأبصار بأجنحة الأولياء الذين يتألّف منهم الديوان أو (البرلمان) ...**)) [4]

واالشّيخ **الورتلاني** رغم أنّه نشأ في زاوية إلاّ أنّه استطاع التّخلّص **من رواسب الصّوفيّة** ، على غرار ممّن نسب نفسه إلى الجمعيّة ، أو حاولت الجمعيّة ضمّه إليها بطريق التّألّف لا التّزلّف [5].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 90 .

[2] البصائر ،السنة الاولى ،ع1 _50 ، 1354_1355\ 1935_1936،المدير الطيب العقبي ،دار الغرب الإسلامي ،م 1 \118.

[3] **قلت** : ومن أكثر المدافعين عن هذه الطّرق في هذه الايّام في بلادنا الاستاذ محمّد بن بريكة وانظر إن شئت كتابه : محمد بن بريكة البوزيدي الحسني ، موسوعة الطرق الصّوفية ،دار الحكمة ،الجزائر ، 2007.

[4] البصائر ، العدد السابق نفسه ، ص 160

[5] ،انظر : جمعيّة العلماء المسلمين في مدينة غليزان ،مرجع سابق ، ص 31.

إلاّ أنّ بعض أعداء الجمعيّة ، من ذوي العداء الشديد _لزعمائها خاصّة _ ، اتّخذوا منحى آخر ، حيث راحوا يناو ؤنها العداء الشّديد رغم محاولة استقطابهم وجلبهم _ من طرف الجمعية _ في بادئ الأمر .[1]

_ أقوال أعلام الجمعيّة في الطّرق الصوفيّة :

قال البشير الإبراهيمي –رحمه الله– في معرض الردِّ على أصحاب الطرق: «لعمرك إنَّ الطُّرقية في صميم حقيقتها احتكارٌ لاستغلال المواهب والقوى، واستعمارٌ بمعناه العصريّ الواسع، واستعبادٌ بأفظع صوره ومظاهره، يجري كلُّ هذا والأشياخ أشياخٌ يُقدَّس ميِّتُهم، وتُشاد عليه القباب، وتُساق إليه النذور، ويُتمرَّغ بأعتابه، ويُكتحل بترابه، وتُلتمس منه الحاجات، وتفيض عند قبره التوسُّلات والتضرُّعات، ويكون قبره فتنةً بعد الممات كما كان شخصُه فتنةً في الحياة، ثمَّ تتولَّد الفتن فيكون اسمُه فتنةً، وأولاده فتنةً ودارُه فتنةً، فإذا هو مجموع فتونٍ، تربو عدًّا على ما في مجموع المتون»[2].

وقال –رحمه الله– في معرض الموازنة بين علم الكلام والتصوُّف أيُّهما أشرُّ وأضرُّ: «أمَّا المذاهب الكلامية فلم يكن أثرها بالقليل في تفرُّق المسلمين وتمزُّق شملهم، ولكن لما كان موضوعها البحث في وجود الله وإثبات الصفات، وما يجب له من كمالٍ وما يستحيل عليه من نقصٍ –كلُّ ذلك من طريق العقل– كانت دائرتها محدودةً، وكان التعمُّق فيها مِن شأن الخواصِّ، وقعد بالعامَّة عن الدخول في معتركها إحساسُها بالتقصير في أدواته من جدلٍ وعقليَّاتٍ يُحتاج إليها في مقامات

---

[1] أمثال : مولود الحافظي الذي راح يناوئ الجمعيّة وأسّس جمعيّة(**علماء السّنّة الجزائريين**) التي أسّست تحت رئاسته في 15 سبتمبر 1932م . انظر :

Merad ali . le réformisme musulman algérian .de 1925 a 1940 lesédition el_hikma .1999.D.126_129 .

[2] آثار الإبراهيمي ، مرجع سابق ،(172/1).

المناظرة والحجاج، فليس علمُ الكلام كعلم التصوُّف مطيَّةً ذلولاً يندفع لركوبها العاجز والحازم، فالتصوُّف شيءٌ غامضٌ يُسعى إليه بوسائلَ غامضةٍ، ويسهل على كلِّ واحدٍ ادِّعاؤه والتلبُّس به، فإن خاف مدَّعيه الفضيحةَ لم يُعدمْ سلاحًا من الجَمْجَمَة والرَّمز وتسمية الأشياء بغير أسمائها، ثمَّ الفزع إلى لزوم السمت والتدرُّع بالصمت والإعراض عن الخلق، والانقطاع والهروب منهم ما دام هذا كلُّه معدودًا في التصوُّف وداخلاً في حدوده»[1].

وقال –رحمه الله–: «إنَّ الخلاف بيننا وبين هؤلاء ليس في مسائلَ علميةٍ محصورةٍ يعدُّونها في كلِّ بلدٍ بعددٍ ويُكثرون حولها اللغط ليوهموا الناس أنَّ الخلاف علميٌّ .. وإنما الخلاف بيننا وبينهم في طُرقهم وزواياهم، وما يرتكبونه باسمها من المنكرات التي فرَّقتْ كلمة المسلمين، وجعلت الدين الواحد أديانًا، فقلنا لهم ولا نزال نقول: «لا طرقيَّةَ في الإسلام»، وأقمْنا على ذلك الأدلَّة من الدين وتاريخه الأوَّل والعقل ومقتضَياته»[2].

وقال –رحمه الله–: «...لأنه يعلم من الدراسة اليسيرة لهذا الحاضر المشهود أنَّ كلَّ ما يراه في المسلمين من جمودٍ وغفلةٍ وتناكرٍ، وقعودٍ عن الصالحات، ومسارعةٍ في المهلكات، فمردُّه إلى الطُّرق ومأتاه مباشرةً أو بواسطةٍ منها، فلا كانت هذه الطرق ولا كان مَن طرَّقها للناس»[3] .

وقال –رحمه الله–: «ومن مكرها الكُبَّار أنْ تعمد إلى العلماء –وهم ألسنة الإسلام المنافِحة عنه– فترميَها بالشلل والخرس، وتصرفها في غير ما خُلقتْ له، فقد ابْتَلَتْ هذه الطرقُ علماءَ الأمَّة في القديم بوساوسها وأوهامها حتَّى سكتوا لها عن باطلها، ثمَّ لم تكتفِ منهم بالسكوت بل تقاضَتْهم الإقرارَ لها والتنويه والتمجيد، وابْتَلَتْهم في الحديث بدُرَيْهِماتها ولُقَمِها حتَّى زادوا على السكوت

---

[1] المرجع نفسه ،(166/1).

[2] المرجع نفسه ،(303/1).

[3] المرجع نفسه، (168/1).

والإقرارِ الاتِّباعَ والانتسابَ والوقوفَ بالأعتاب، حتَّى أصبحنا نرى العالِم المؤلِّف يعرِّف نفسه للناس في صدر تأليفه بمثل قوله: فلان المالكي مذهبًا الأشعري عقيدةً التيجاني طريقةً»[1].

وقال -رحمه الله-: «...ومع أنَّنا نعلم أنَّ الطرق منتشرةٌ في العالَم الإسلاميِّ وأنَّ آثارها فيه متشابهةٌ، وأنها هي السبب الأقوى في كثيرٍ ممَّا حلَّ به من الأرزاء والنكبات، وكثيرًا ما كانت مفتاحًا لاستعمارِ ممتلكاته، فإنَّ حربنا موجَّهةٌ أوَّلاً وبالذَّات إلى طرقية الشمال الإفريقي، وبينها من الوشائج ما يجعلها كالشيء الواحد، فعلى مقدار هؤلاء الذين نعرف جنسهم وفصلهم، وفرعهم وأصلهم نفصِّل القول، وإلى هذا الهدف نسدِّد السهام، والأمرُ بيننا وبينهم من يوم شُنَّتِ الغارة دائرٌ على أحوالٍ، وسائرٌ على مراحِلَ، ينتقلون بنا من إحداها إلى الأخرى، ولا نزال نُطاردهم وهم يلتجئون من ضيِّقٍ إلى أضْيَقَ إلى الآن، وذلك لما أنكرْنا عليهم باطلهم الذي يرتكبونه باسم الدين -زعموا أنَّ الطريق هي الدين-، ولما نقضْنا لهم هذه الدعوة تنزَّلوا فزعموا أنَّ لها حبلاً وَاصِلاً بالدين وسندًا متَّصلاً بالسلف، ولما بيَّنَّا لهم بأنَّ الحبل مقطوعٌ وأنَّ السند منقطعٌ؛ ....وانظر «طبقات الشعراني الكبرى» وما طُبع على غرارها من الكتب تجدْ أصناف المحتمين بهذه القلعة -وهم ببركة حمايتها- طلقاءُ من قيود الشريعة، وإنَّ هذه القلعة لَهِيَ المعقل الأسمى والملاذ الأحمى لأصحابنا اليوم، فكلُّ راقصٍ صوفيٌّ، وكلُّ ضاربٍ بالطبلِ صوفيٌّ، وكلُّ عابثٍ بأحكام الله صوفيٌّ، وكلُّ ماجنٍ خليعٍ صوفيٌّ، وكلُّ مسلوب العقل صوفيٌّ، وكلُّ آكلٍ للدنيا بالدين صوفيٌّ، وكلُّ مُلحدٍ في آيات الله صوفيٌّ، وهلمَّ سحبًا، أفيَجْمُلُ بجنودِ الإصلاح أن يَدَعُوا هذه القلعة تحمي الضَّلال وتُؤْويه، أم يجب عليهم أن يحملوا عليها حملةً صادقةً شعارُهم: «لا صوفيَّةَ في الإسلام» حتَّى يدكُّوها دكًّا، وينسفوها نسفًا، ويَذَرُوها خاويةً على عروشها؟... والحقيقة أنَّ الطرقيِّين أرادوا أن يصبغوا طرقهم بالقدسيَّة الدينيَّة، فانتحلوا لها هذه الأباطيل، وأعطَوْها خصائص الدين كلَّها»[2].

---

[1] المرجع نفسه ،(**170/1**).

[2] «آثارالإبراهيمي» ،المرجع نفسه،(176/1-175).

_ المبحث الرابع : منهج الإستدلال على العقائد عند الشيخ الورتلاني.

(تقرير العقائد عنده)

_ تمهيد :

_المطلب الأول : تقرير العقيدة من خلال نصوص الكتاب و السنّة.

_المطلب الثاني : موقع النّظر في الإستدلال على العقائد .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_ تمهيد :

لقد كانت جهود الجمعية كبيرة في الإهتمام بالقرآن والسنة المصدريين الأساسين للتشريع، والذين يعدّان المرجعية الأساسية لبرامج الجمعية الدّعوية والتربوية والتوعوية وإليهما تكون العودة، في كل مجالات الحياة.

و لما كان الإستعمار الفرنسي قام بطمس معالم الشخصية الجزائريةالمسلمة وجرّدها من ثوابتها وقيمها _ وأهم هذه الثوابت القرآن والسنة، اللّذان كانت النّهضة تقوم على العودة إليهما _ تصدّت له الجمعيّة بإحياء هذه الثّوابت و هذه المعالم وإعادة غرسها في قلوب النّاس وعقولهم.

_المطلب الأول : تقرير العقيدة من خلال نصوص الكتاب و السنّة.

_موقع الكتاب والسنّة في تقرير العقائد عند الورتلاني .

1_القرآن الكريم (الكتاب):

2_ السنّة :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_موقع الكتاب والسنّة في تقرير العقائد عند الورتلاني .

1_القرآن الكريم (الكتاب) :

إنّ للشيخ الورتلاني_ رحمه الله _ ، نصوصا يصرّح فيها تصريحا واضحا لا لبس فيه و لا غموض ،أنّ المنهج الذي يرتضيه في تدريس العقائد ، هو منهج القرآن نفسه ، و بيانه الشارح و هو السنّة النبوية الشريفة ، لأنّ هذا المنهج أيسر على عموم المسلمين كي يفهموا عقائدهم خلافا لمنهج المتكلمين الذّي يتسم بالصعوبة و التعقيد ، بل الغموض و التكلّف ، إذ يزجّ بهم في عالم من المصطلحات ، كالجوهر و العرض ، و الجنس و النوع ، و عالم من الجدليات التي تتعب عقول العلماء إزاءها ناهيك عن عقول العوّام ، بل و يعتبر السير مع طريقة المتكلمين ، و الحرص عليها ، مع الإعراض على طريقة القرآن في عرض العقائد و بسطها ، نوعا من الهجر لكتاب الله عزّ و جل. [1]

[1] يستشف ذلك من خلال استقراء مجموعة كبيرة من النّصوص .

وعلماء الجمعيّة عموما كما اهتموا بالقرآن الكريم تعليما وتحفيظا اهتموا به كذلك شرحا وتفسيرا بطريقة ميسّرة وسهلة يفهمها عوّام النّاس فضلا عن خواصّهم. [1]

2_السنّة :

و إلى جانب المصدر الأول للإسلام كتاب الله تعالى ، هناك المصدر الثاني و هو السنّة النبوية الشريفة ، القولية والفعلية و التقريرية ، و هو المصدر الشارح و المبين و المفصل لما جاء في المصدر الأول ، و الذي لا إستغناء عنه لمن أراد أن يفهم القرآن فهما سليما و أن يطبّقه تطبيقا حسنا ، و لقد كان الشيخ _ رحمه الله _كثير الإحتفاء بالسنّة النبوية الشريفة ، شديد الدعوة إلى التمسك بها ، و التعويل عليها في فهم الدّين فهما صحيحا بعيدا عن تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين .[2]

_ ومن النّصوص الدّالة على عناية الورتلاني بجانب الصّحة والضّعف في الأحاديث وتحرّيه للصّحيح منها دون الضّعيف هذا النّص ،الذي هو عبارة عن رسالة بعث بها إلى الأستاذ الميلي ليتبيّن من صحّة أحد الأحاديث أو ضعفها .

_النّص كاملا بعنوان : (المصلحون و السنّة) .

_((النّص جاء ضمن :(**مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير**) لابن باديس ص33)).[3]

((تقوم الدعوة الاصلاحية على أساس الكتاب و السنة [4] فلا جرم كان رجالها من المعتنين بالسنة القائمين عليها رواية و دراية الناشرين لها بين الناس و من عنايتهم تحريهم فيما يستدلون به و يستندون

---

[1] كابن باديس الذي قام بتفسيره .

[2] انظر مثلا تقريره عن اليمن وكثرة استشهاده بالأحاديث النبويّة الشريفة .

[3] انظر :عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النّذير ،من مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية ، دار البعث للطباعة والنّشر، قسنطينة –الجزائر،ط1، 1403 / 1983 م ، ص338 . وانظر أيضا:آثار الشيخ مبارك الميلي ،مرجع سابق،1/ 389.

[4] نعم هذا هو ديدن الجمعية دائما بما في ذلك الأستاذ الورتلاني مع قلّة كتاباته في هذا الباب _ باب العقائد _ على غرار غيره من أعلام الجمعية الذين تهيّأت لهم ظروف ذلك .

إليه منها فلا يجوزعليهم إلا ما يصلح للإستدلال والإستناد ولا يذكرون منها شيئا إلا مع بيان مخرجه ورتبته حتى يكون الواقف عليه على بينة من أمره مما لو إلتزمه كل عالم _ كما هو الواجب_ لما راجت الموضوعات والواهيات بين الناس فأفسدت عليهم كثيرامن العقائد والأعمال .

ونحن ننشر إثر **هذاحوارا دار بين مصلحين يدل على ما ذكرناه في المصلحين من الاعتناء والتحرير: المعلم النصوح ، و المتعلم البحّاثة الأخ"" الشّيخ الورتلاني "" السلام عليكم و رحمة الله** , منذ يومين وقع بصري على خاتمة الجزء الاول من الحاوى للفتاوى فتاوى السيوطي على هذا الحديث : روى الحاكم في المستدرك و صححه و البيهقي في شعب الايمان عن عائشة قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(لا تنزلوهن الغرف . و لا تعلموهن الكتابة . يعني النساء و علموهن الغزل و سورة النور). فذكرت أّنك كنت تسألني عنه فلم تجد عندي علما به . و اليوم لما وقفت عليه و رأيتّ ن الحاكم صححه ظهر لي أن أبحث عنه . فإن الحاكم على جلالته في علم الحديث لا يعول كثيرا على تصحيحه حتى إن النقاد قالوا لو لم يؤلف المستدرك لكان خيرا له

طالعت فهرست كتاب(حسن الأسوة فيما ثبت من الله و رسوله في النسوة)لصديق خان فلم اجد مبحثا يناسب هذا الحديث .

و تتبّعت خاتمته التي خصها لذكر الأحكام الخاصة بالمرأة . فلم اجد هذه المسألة . و رجعت الى التفاسير فوجدت البغوي قد روى آخر سورة النور هذا الحديث بسنده الى محمد ابن ابراهيم الشامي قال حدثنا شعيب ابن اسحاق عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة . فذكره.

هنا رجعت الى ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي لا تعرف هل في هذا السّند ضعفاء . فألفيته يذكر في ترجمة محمد ابن ابراهيم الشامي عن الدار قطني انه كذاب و عن ابن عدي ان عامة احاديثه غير محفوظة و عن ابن حبان انه لا تحل الرواية عنه الا عند العتبار كان يضع الاحاديث . ثم خرج له احاديث منها حديثه عن شعيب ابن اسحاق عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة . فذكره كما اورده السيوطي الا قوله يعني النساء و الظاهر ان الحاكم رواه من طريق هذا الشامي لانه لو كان له متابع في هذا الحديث لم يورده الذهبي في ترجمته و لم يصح قول ابن عدي ان عامة احاديثه غير محفوظة . و لو كان

عندنا المستدرك لاسترحنا من هذا الخرص . و بعد فلنكتف بما لدينا و لا نقف ماليس لنا به علم . و السلام عليكم)) [1].

_ المطلب الثّاني : موقع النّظر في الإستدلال على العقائد .

_ (رأي جمعية العلماء في هذه المسألة من خلال تقريرات أعلامها) :

الواجب الأوّل هو معرفة الله عزّ و جل و الرسول صلى الله عليه و سلم ن و الذي يترجم ذلك ، هو النطق بكلمتي الشهادة شهادة أ، لا إله إلا الله و أنّ محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، مع معرفة معناهما و فهمها حقيقة الفهم و إدراك أبعادها و مغزاها ، و عليه فإن لم يكن فاهما لمعناها فإنّها لا تجدي نفعا ، و لا تحقق قصدا بل بالعكس فإنّ الإنسان إذا كان فاهما لمعناها و أدّاهات بأي لفظ قبل ذلك منه .

[1] **قلت** : هذا النص فيه دلالة واضحة على العناية بالحديث صحة وضعفا لما يترتّب عن ذلك من آثار عقديّة وعبادية ومعاملاتية على حدّ سواء ،والشّيخ الورتلاني مع انشغاله بالسياسة وغلبة الطابع السياسي على رصيده الفكري والمعرفي إلاّ أنّه لم يغفل هذا الأمر.

و لكن إلى جانب التصديق الجازم لابدّ من إعمال العقل و النّظر في آيات الله الكونية و التشريعية و هذا النظر العقلي و التأمل و التفكر هو النّظر الذي دعا إليه القرآن الكريم و حثّ عليه في كثير من الآيات و جعله الأسلوب المفضل للقضاء على الشبهات التي تطرأ على الإنسان [1].

لقد عرف الراهب الأصفهاني النّظر بالقول : (النّظر تقليب البصر و البصيرة لإدراك الشيئ و رؤيته ، و قد يراد به التأمل و الفحص ، و قد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص و هو الروّية يقال : نظرت فلو تنظر ، أي لم تتأمل و لم تتروّ.) [2].

و النظر الذي عوّل عليه القرآن الكريم كثيرا في بناء العقيدة ، و المحافظة عليها ، هو التأمل في آيات الكون الدالة على عظيم قدرة الله ، و سعة علمه ، يقول الشيخ محمد الغزالي : (.... و نلخص من ذلك إلى أن الذهول عن الكون و دراسته ، باب إلى الجهل و الضلال ، و أنّ الإسلام يبني المعرفة على البصر العميق بالكون ، و البحث المستمر فيه ، و أنّ إنطلاق العلم بعيدا عن هذا المجرى ، انحراف إغريقي ليس إسلامي ، و أنّ الذين مالوا مع هذا الإنحراف أضروا الإسلام و رسالته.

و لنتتبع القرآن الكريم و هو يعرض قضايا العقيدة الكبرى ، و يحاجّ المشركين ، و يدفع شبهاتهم ، و كيف أقامها على أساس من البرهان العقلي ...و إلى جانب مطالبته المشركين بإقامة الدليل على صحة معتقداتهم ، فإنّه عرض العقائد الإسلامية الكبرى على ضوء هذا الدليل العقلي...) [3] .

و هكذا يعرض القرآن الكريم قضايا العقيدة الكبرى على أساس من العقلي أو البرهان العقلي ، و هذه البراهين العقلية التي يعرضها القرآن تسبق إلى العقل و تقنعه و يسارع إلى قبولها و الإنتفاع بها كما قرر ذلك أبو حامد الغزالي ، و الإمام عبد الحميد ابن باديس قد جعل من مظاهر التجديد في الدّرس الكلامي ، تخليصه من الصطلحات المعقدة ، و القياسات المنطقية و العودة به إلى أدلّة القرآن و طريقته في العرض و المحاججة ، و لقد أدرك هذه الميزة في العقيدة التي أملاها ابن باديس على طلبته الشيخ الإبراهيمي فقال في المقدمة التي كتبها لها : (فجاءت عقيدة مثلى يتعلّمها الطالب فيأتي منه

---

[1] محمد الدراجي ، مرجع سابق ، ص28.

[2] الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، 2006 م ،ص376.

[3] محمّد الغزالي ،المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص 61. نقلا عن : محمّد الدراجي ، ص 28.

مسلم سلفي ، و يستدلّ على ما يعتقد في ربّه بآية من كلام ربّه ، لا بقول السنوسي في عقيدته الصغرى : أما برهان وجوده تعالى : فحدوث العالم) [1].

و يقول الإبراهيمي كذلك : (حتّى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريقة السلف في دروسه ، ـ و منها هذه الدروس ـ و أكملتها جمعية العلماء ، فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كلّ شيئ ، لا سيما ما يتعلّق بتوحيد الله ، فإنّ الطريقة المثلى هي الإستدلال على وجود الله و صفاته و ما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن لأنّ المؤمن إذا استند في توحيد الله و إثبات ما ثبت له و نفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في أمور الآخرة ، أو صفات الله ، فإنّها لا تسوّل له مخالفة القرآن) [2].

يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس :(المقلد في العقائد الذي لا دليل عنده أصلا ، و إنما يقول سمعت النّاس يقولون فقلت ـ هذا آثم لإتباعه ما ليس له به علم ، فأما إذا كان عنده دليل إجمالي كاستدلاله بوجود المخلوق على وجود خالقه ، فقد خرج من الإثم لتحصيل هذا الإستدلال له العلم) [3].

بينما ابن باديس يجعل الواجب الأول هو النطق بالشهادتين و فهم معناها مع التصديق التام و الإعتقاد الجازم ، ثمّ يسعى إلى النّظر على الطريقة القرآنية لتعميق هذا الإعتقاد و تثبيته و أن يعتمد على القرآن في دحض الشبهات التي تطرأ ، فهو عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [4].

[1] العقائدالإسلامية، مرجع سابق ،ص22.

[2] المرجع نفسه ،ص 24 .

[3] مجالس التّذكير ، مرجع سابق، ص 141.

[4] الفرقان ؛الآية 33.

_قال (إذ تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الضالين و اعتراضاتهم و نقضتها بالحقّ الواضح و البيان الكاشف في أوجز لفضه و أقربه و أبلغه ، و هدا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتّم على رجال الدعوة و الإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية و مزيد دراية و خبرة و لا نحسب شبهة تردّ على الإسلام إلا في القرآن العظيم ردّها بهذا الوعد الصادق في هذه الآية الكريمة فعلينا عند حلول شبهة من كلّ ذي ضلالة أن نفزع إلى آي القرآن ...) [1] .

_المبحث الخامس : الدّعوة إلى التّوحيد ومحاربة الشّرك .

_ تمهيد :

_المطلب الأوّل : الدّعوة إلى التوحيد .

[1] مجالس التّذكير ، سابق ،ص 260.

ـ المطلب الثّاني : محاربة الشرك و مظاهره .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إنّ توحيد الله عزّ و جل ، و محاربة جميع مظاهر الشرك المنافية للتوحيد هي أساس الدين ، و ركنه القويم ، و هو المهمّة السّامية التي ابتعث الله عزّو جل بها جميع الأنبياء و الرّسل .

و هكذا كانت دعوة الرسول صلى الله عله وسلم إلى أن لقي ربّه و قد بلّغ الرسالة ، و أدّى الأمانة ، و ترك أمته على المحجّة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيع عنها إلا هالك و على نهجه سار الصحابة الكرام ، و التابعون ، و التّابعون لهم بإحسان من العلماء المجددين و الدعوة إلى الله المصلحون

، كانوا كلّما رأوا افتئاتا على التوحيد ، أو بروزا لمظاهر الشرك إلا و شمّروا على ساق الجّد و بذلوا أقصى الجهد [1]، من أجل ردّ الأمور إلى نصابها ،و العودة بالشريعة إلى نقائها ، و ردّ الأمة إلى دينها ردا جميلا .

وبما أنّه لا يخلوا عصر من قائم لله بالحجة و أنّ هؤلاء المجددين لا بدّ أن يتعرضوا إلى بعض المتاعب و تعترضهم جملة من الصعوبات و المشاق و يصيبهم بعض الأذى ، يقول الامام النووي : (يجوز أن تكوّن طائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع و بصير بالحرب ، و فقيه و محدث و مفسر ، و قائم بالأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ، و زاهد و عابد و لا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز إجتماعهم في قطر واحد ، و إفتراقهم في أقطار الأرض ، و يجوز أن يجتمعوا في بلد واحد و أن يكونوا في بعض دون بعض منه ، و يجوز إخلاء الأرض من بعضهم ، أولا بأول إلى أن يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله ...) .[2]

و من هؤلاء العلماء المصلحين ،الشيخ **الفضيل الورتلاني** ، _ رحمه الله _ الذي أقام مشروعه الإصلاحي الدّعوي التربوي على تطهير الإسلام من كلّ البدع و الخرافات ، و كذا بناء الإنسان القرآني على أساس الكتاب و السنّة و هدي السلف الصالح ، لأنّ إصلاح العقيدة ، هو منطلق كلّ إصلاح جاد في المجتمع و لأنّ فساد العقيدة ، و سيطرة جملة من المفاهيم الغربية على الكتاب و السنّة، على عقل و قلب الإنسان المسلم في عصور الإنحطاط هي سبب تدهور المجتمعات الإسلامية و ابتعاد الإنسان المسلم عن الفعالية و ركونه للسكون و الإستسلام .[3]

---

[1] كما فعل الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب في كتابه، (كتاب التّوحيد) ،والشّيخ مبارك الميلي في كتابه ،(رسالة الشّرك ومظاهره).

[2] نقلا عن : محمّد الدّرّاجي ،مرجع سابق ،ص39.

[3] والمتتبّع لأقوال الورتلاني في باب العقائد يجدها حذو القذّة بالقذّة مع أقوال الجمعيّة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المطلب الأوّل : الدّعوة إلى التوحيد .

_أقسام التّوحيد:

1_ توحيد الربوبية :

2_ توحيد الألوهية :

3)_توحيد الأسماء والصّفات :

_المطلب الأوّل : الدّعوة إلى التوحيد .

_ من هذه القضايا العقدية التي أولتها جمعية العلماء _وعلى رأسها ابن باديس _عناية فائقة، قضية التوحيد و الشرك ، ففي العقيدة التي أملاها على طلابه _ أي ابن باديس _ [1] ، و تحت عنوان "عقائد الإيمان بالله" يقول : "هو الموجود الحقّ لذاته الذي لا يقبل وجوده العدم فهو القديم الذي لا بداية لوجوده و هو الباقي الذي لا نهاية لوجوده)).

((وهو الموجود الذي سبق وجوده كل وجود ، فكان تعالى وحده و لا شيئ معه ثمّ خلق ما شاء من مخلوقاته ... فهو الغنيّ بذاته عن جميع الموجودات ، و هي المفتقرة كلّها ابتداءا و دواما إليه ...)).

[1] في كتاب (العقائد الإسلامية) طبعا .

فوجود الله عزّ و جل هو الوجود الحقيقي ، لأنّ كلّ وجود آخر مستمد من وجوده فهو مسبوق بالعدم ، و يلحقه الفناء أمّا وجوده سبحانه و تعالى فهو وجود ذاتي لم يسبق بعدم و لن يلحقه العدم ، غهو الأول الذي لا شيئ قبله ، و هو الآخر الذي لا شيئ بعده .

و لقد عبّر العلماء على هذا الوجود المتميز تعبيرا لطيفا موحيا وهو أنّه "واجب الوجود"

لذا فهو المتفرّد بصفاة الجلال و الجمال و الكمال ، و التّفرد في الذّات و الصفات هو باب التوحيد الحقّ الذي جانبته البشرية حين إنحرفت عن ميراث الرسل الكرام ، فوقعت إما في التجسيد و إما في التجريد .

يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس : ((و هو الواحد في ذاته ، و صفاته ، و أفعاله ، فلا ثاني له ، لا نظير ،و لا شريك له في ذاته.

و لا ثاني له و لا نظير له و لا شريك له في أفعاله .

فتوحّد الله عزّ و جل هو أساس الدين ، و ملاك الأعمال كلذها و قوامها ، و منه بدايتها إليه نهايتها لذاكان من اللازم ، أن تبدأ حياة المسلم بالتوحيد ، و ان تنتهي به كذلك ، و عليه فقد فصل الشيخ عبد الحميد ابن باديس في موضوع التوحيد ، و بيّن أقسامه و شرح كل قسم بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة و أقوال الأئمة فقال: ((التوحيد هو اعتقاد وحدانية الله ، و إفراده بالعبادة ، و الأول هو التوحيد العلمي ، و الثاني هو التوحيد العملي ، و لا يكون المسلم مسلما إلا بهما)).[1]

و التوحيد : هو اعتقاد وحدانية الله ، و إفراده بالعبادة .[2]

_أقسام التّوحيد

1_ توحيد الربوبية : فالقسم الأول من أقسام التوحيد هو الإعتقاد الجازم بأنّ لهذا الكون خالق أوجده من عدم بعد أن لم يكن ، و أنّه هو المتصرف في هذا الكون ، فالله وحده هو الخالق الرازق ،

---

[1] العقائد الإسلامية ،ص (67_77).

[2] وهو نفس التعريف الذي عرّف به _ التّوحيد _ الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب النّجدي .انظر :(مجموعة التّوحيد) ،لمجموعة من المؤلّفين ،دار الفكر للطباعة والنشروالتّوزيع ،بيروت _لبنان ،ص5 .وانظر عبد الرّحمان بن حسن ، قرّة عيون الموحّدين ،الشّركة الجزائرية اللّبنانية ،الجزائر ،ط1، 2007، ص10.

المبدئ ،المعيد المحي ، المميت ، الضار النّافع ، فهو وحده قيّوم السماوات و الأرض ، و هذا الأمر تشهد له نصوص القرآن الكريم ، و نصوص السنّة النّبوية الشريفة.

2_ توحيد الألوهية : و الذي قال عنه ابن باديس: ((و من توحيده تعالى ، توحيده في الألوهية و هو العلم بأنّ الله تعالى هو المستحقّ للعبادة ، فلا يعبد إلا الله و لا يعبد إلا بما شرّع و النصوص الشرعية التي تشهد لهذا المعنى كثيرة[1].

و لابن تيمية نصّ في تحديد العلاقة بين قسمي التوحيد يقول : ((و ليس المراد بالتوحيد : مجرّد توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أنّ الله وحده خالق العالم ، كما يظنّ ذلك من يظنّه ، من أهل الكلام و التصوّف ، و يظنّو يظنّ هولاء إذا أثبتوا ذلك الدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد ، و أنّهم إذا شهدوا هذا و فنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد ، فإنّ الرجل إن أقرّ بما يستحقه الرّب تعالى من الصفات و نزّه عن كل ما ينزه عنه و أقرّ بأنّه هو خالق كل شيئ ، لم يكن موحدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده ، فيقرّ أنّ الله وحده هو الإله المستحقّ للعبادة ، و ياتزم بعبادو الله وحده لا شريك له ، و الإله هو المأ لوه المعبود الذي يستحقّ العبادة و ليس هو الإله بمعنى القادر على الإختراع فإذا فسر المفسر (الإله) بمعنى القادر على الإختراع و اعتقد أنّ هذا المعنى هو أخص وصف الإله و جعل إثبات هذا غاية في التوحيد _

كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمهالصفاتية _ وهو الذي يقول عن أبي الحسن و أتباعه ، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسول الله صلى الله عليه و سلّم . فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأنّ الله وحده خالق كل شيئ و كانوا مع هذا مشركي))[2] .

3)_توحيد الأسماء والصّفات : إنّ نصوص الشريعة تقضي بأنّ الله تعالى موصوف بكل صفات الجلال و الجمال و الكمال المنزّه عن كلّ صفات النّقص التي لا تليق بكمال الربوبية و جلال الألوهية

---

[1] انظر : محمّد الدّراجي ،مرجع سابق ، ص42. وانظر : محمّد علي فركوس ، تحفة الأنيس شرح عقيدة التّوحيد للإمام ابن باديس ،دار العواصم للنّشر والتّوزيع ، القبة _ الجزائر ، ط1 ،2014م ،ص 84 وما بعدها

[2] محمّد الدّراجي ، المرجع السابق ،ص43، 44.

و هذا الأصل محل اتفاق بين المسلمين جميعا لم يخالف فيه أحد بل إتفقت كلمة المسلمين جميعا على أنّه من التحريف الذي وقعت فيه الديانات السابقة ما انتهت إليه من القول بالتشبيه حين نسبت إلى الحقّ تبارك و تعالى كثيرا من صفات المخلوقين مما لا يليق بذات الربوبية و كمال الألوهية [1].

_ المطلب الثّاني : محاربة الشرك و مظاهره .

_موقف الأستاذ " الورتلاني " من مظاهر الشّرك :

_أهمّ قضايا الشّرك التي واجهتها **الجمعيّة والورتلاني** :

1_ المسألة الأولى : اتّخاذ الوسطاء والشّفعاء على أنّها تقرّب إلى الله .

[1] انظر :محمّد حاج عيسى الجزائري ، أصول الدّعوة السّلفيّة عند العلاّمة ابن باديس 1359 هـ ،دار الإمام مالك ،الجزائر ، ط1، ص 36 وما بعدها. وانظر: محمّد علي فركوس ،امتاع الجليس شرح عقائد الإيمان للإمام ابن باديس (ومنهجه في تقرير أسماء الله وصفاته) ، دار العواصم للنّشر والتّوزيع ، القبة _ الجزائر ، ط1 ،2012م ، ص 31 و ما بعدها .

2 _ المسألة الثّانية :الذّبح عند المقامات إرضاءا لها وطلبا لمساعدتها .

3_ المسألة الثّالثة : الحلف بمن يعظّمونهم من شيوخ وأولياء ومقامات وغيرها .

_ قضايا أخرى مهمّة :

_موقف الأستاذ الورتلاني من مظاهر الشّرك :

لقد خصّصت جمعيّة العلماء والورتلاني جهدا ليس بالقليل ولا الهيّن في محاربة الشّرك ومظاهره إلى أن جاء الأستاذ مبارك الميلي فكتب مؤلّفا كاملا في هذا الباب أسماه " رسالة الشّرك ومظاهره "،والذي يقول :

((إن كنت باحثا في علل انحطاط الأمم ، فلن تجد كالشّرك أدلّ على ظلمة القلوب و سفه الأحلام و فساد الأخلاق ، و لن تجد كهذه النّقائص أضرّ بالإتحاد و أديم للفوضى و أذلّ للشّعوب ، و إن كنت باحثا عن أسباب الرقي ، و لن تجد كالتوحيد أطهر للقلوب و أرشد للعقول ، و أقوم للأخلاق ، و لن تجد كهذه الأسوس أحفظ للحياة ، و أضمن للسيادة و أقوى على حمل منار المدنيّة الطّاهرة ، و إنّ نظرة في حياة العرب قبل البعثة لتؤيد ما أضفناه إلى الشّرك

من علل و نتائج ، و إنّ وقفة على حياتهم بعد البعثة لتبعث على التّصديق بما أنطناه بالتّوحيد من أسباب و ثمرات و إنّ تلك النّظرة و هاته الوقفة لمفتاحان لسرّ حياة المسلمين بعد عصر النبوة ، و كلّ من قارن بين حياتنا اليوم و جياة جيراننا من غير ملّتنا استيقن أنّ و سائل الشرك قد و جدت في المسلمين منذ أمد ، و أنّ نتائجه قد ظهرت عليهم ، فلا تخفى على أحد)) [1].

يقول الأستاذ محمّد الحسن فضلاء متحدّثا عن الأستاذ الورتلاني ودوره في بلاد القبائل ،في توعية النّاس هناك ونشر الثّقافة الإسلامية فيهم ، بعد أن كادت تمحى مظاهر الإسلام بها بسبب هذه الخراقات وإن شئت قل ــ الهراءات ــ [2].

يقول الأستاذ فضلاء : ((في جمعة بني ورتلان هضبة تتربع عليها أشجار عديدة من البلوط ، و تدعى هذه الأشجار (**أشجار الأو لياء**) و هي غالبا (مزارة) بلا قبور و لا بخور و ا أنواط ، و إنّما يتجه إليها النّاس ....

ليستظلوا بظلالها الظّليلة و أنسامها المنعشة العليلة التي تتماوج بين أغصانها ، **فالخرافيّون** يلتمسون البركة بالإقتراب منها ، و الطواف حولها ، و خاصة العجائز التّاجرات في يوم السّوق ، و من في حكم العجائز من الرجال ، و تقريبا أصبحت هذه الأشجار (كشجرة ذات الأنواط في المدينة) ، التّي كانت يجلس تحتها أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلّم و آله ، و يعقلون على أغصانها و يستظلون بظلّها ، فكادت تكون هذه الشجرة ــعلى مرّ السنين ــ مدعاة للشّرك ، فقطعها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه سدّا للذّريعة[3] ...**وكان" الأستاذ الورتلاني" يجلس بجماعاته أحيانا لا سيما في فصل الصّيف تحت ظلّ هذه الأشجار ، يفنّد لهم خرافة الإعتفاد الباطل فيها ... وأنّ هؤلاء الأولياء ... كانوا يلتجؤن إليها هربا من قيظ الصّيف**..)) [4].

---

[1] رسالة الشّرك ومظاهره ، مرجع سابق ،ص 64.

[2] وقد ذكر الميلي أشياء كثيرة منها في " **رسالة الشّرك و مظاهره** " .

[3] قلت : باب سدّ الذرائع مهمّ جدّا في القضاء على هذه الظّاهرة وانظر إن شئت ، رسالة الشّرك ومظاهره ،ص105 ــ106 .

[4] انظر : مسعود حسنين الورتلاني ، مرجع سابق ، ص 209 ــ 210.

_ أهمّ قضايا الشّرك التي واجهتها الجمعيّة والورتلاني :

_ إنّ أهمّ المسائل التي واجهتها الجمعيّة في هذا الباب _ وهي كثيرة جدّا _ ما يلي:

1_ **المسألة الأولى** : اتّخاذ الوسطاء والشّفعاء على أنّها تقرّب إلى الله [1] .

2 _ **المسألة الثّانية** :الذّبح عند المقامات إرضاءا لها وطلبا لمساعدتها[2]

[1] قال عليه السّلام حين سأله أبو هريرة رضي الله عنه _ من أسعد النّاس بشفاعتك _ ،فأجابه بقوله : (من قال لا إلاه ألاّ الله خالصا من قلبه دخل الجنّة) أخرجه البخاري برقم ، (99)، ورقم (6570).

[2] من الأحاديث الدالة على ذلك حديث : (لعن الله من ذبح لغير الله) أخرجه مسلم برقم (1978).

_ **المسألة الثّالثة :** الحلف بمن يعظّمونهم من شيوخ وأولياء ومقامات وغيرها [1].

_ **قضايا أخرى مهمّة :**

بالإضافة إلى القضايا السابقة هناك قضايا أخرى لا تقلّ أهميّة عن هذه مثل :

((**الكهانة** [2]، **السّحر** ،**العزائم والتمائم** [3]،...

بالإضافة إلى النّذور[4]،**و الزّردات** [5] **وغيرها من الأمور الشركيّة والبدعيّة**)) [6].

وفي الأخير هذه هي المسائل[7] التي تناولتها **الجمعية** _ بما في ذلك "**الأستاذ الورتلاني رحمه الله**"

---

[1] وفي الحديث (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).رواه التّرمذي وحسّنه برقم (1535) ، وصحّحه الحاكم برقم (1\18) (45،46) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

قلت :وانظر هذه المسائل في :مجالس التّذكير ،95،109،و أيضا: _ محمّد الدراجي ، مرجع سابق ،ص48 ،49 .

[2] لحديث :(من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلّم),حديث صحيح رواه أبو داود (4\39) و الترمذي (135), وهناك أحاديث أخرى تدلّ على ذلك . .

[3] لحديث(إنّ الرقى و التّمائم و التّولة شرك), حديث صحيح أخرجه أبو داود برقم (3883),

[4] وفي الحديث :(من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)، أخرجه البخاري برقم :(6696)، (6700).

[5] للشّيخ الإبراهيمي مقال بعنوان : (**أعراس الشيطان**) ، هذا العنوان يغني عن كلّ مقال ، من كلامه رحمه الله فيه قوله: (هذه "**الزّرد** " التي تقام في طول العمالة الوهرانية وعرضها هي أعراس الشيطان وولائمه ،وحفلاته ومواسمه ، وكلّ ما يقع فيها في البداية والنّهاية كلّه رجس من عمل الشيطان ...) انظر : الإبراهيمي والآثار ،ج 3 ،ص 320 .

[6] انظر هذه المسائل مفصّلة في (**رسالة الشرك ومظاهره**). ملاحظة :وهذه المسائل هي نفس المسائل تقريبا التي تعرّض لها الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب النّجدي في دعوته وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على مدى التّقارب بين الدّعوتين انظر : محمّد بن عبد الوهّاب التّميمي،كتاب التّوحيد ، الدّار العلميّة ، 2005 م ،وعبد الرّحمان بن حسن ،قرّة عيون الموحّدين (حاشية كتاب التّوحيد) ، مرجع سا بق .

[7] وقد قام الأستاذ مبارك الميلي بجمع هذه المسائل وزاد عليها فتحصّل له من ذلك كتاب عظيم في بابه هو _ (**رسالة الشّرك ومظاهره**) _ لدرجة أنّ بعض الجامعات إتّخذته للتّدريس ضمن مناهجها الدّراسيّة .

باعتباره علما من أعلامها وواحدا من دعاتها النّشيطين في الدّاخل والخارج_ فجزاهم الله خير الجزاء على ما بذلوه في سبيل وطنهم الصّغير _الجزائر _ ، ووطنهم الكبير _ العالم العربي والإسلامي _ .

_وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أقول رحم الله **العلاّمة الورتلاني** ، وجزاه الله كلّ خير على ما قدّم كما لا يسعني إلاّ أن أختم **بقول الله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ** [1].

الخاتمة :

[1] سورة يونس ؛ الآية 26 .

الخاتمة :

نتائج البحث و توصياته

وفي الختام وبعد حمد الله وشكره على منّة التّوفيق لإنهاء هذا البحث المتعلّق بأحد أعلام الجزائر وهو،–الشّيخ الورتلاني – ، رأيت أن أذكر أهمّ النتائج المتوصّل إليها من خلال البّحث ، وذلك بغية تمكين القارئ من الوقوف على مضمونه، وأخذ زبدته من غير كدّ ولا عناء، كما أودّ من خلال هذه الخاتمة _ أسأل حسنها _ الإشارة إلى أهمّ القضايا التي أرى أنّها مهمّة أو تحتاج إلى عناية من قبل الطّلبة أوالبّاحثين .

أوّلا : نتائج البّحث :

إنّ العناية بآثار العلماء أمر غاية في الأهميّة ، ومن هنا كان منطلقي في هذه الدّراسة بغية وصولي إلى الأهداف التي سطّرتها من خلال البحث في إشكاليّة هذا الموضوع ، وعليه فقد خلصت إلى النتائج التّالية :

أمّا عن نتائج البحث فهي مقسّمة إلى ثلاثة أقسام ، مع تضمّنها _ هذه النتائج _ الإجابة عن تلك التّساؤلات المطروحة ضمن إشكاليّة البحث ، وهي كالتّالي :

الأولى : متعلّقة بالعصر الذي عاش فيه :

إنّ العصر الذي عاش فيه الورتلاني كان له أثر بالغ في تكوّن نخبة من أمثال الورتلاني، فهو _إن صحّ التعبير _ ، عصر "مخاض" ، الأمر الذي حتّم على العلماء والمصلحين القيام بثورة علميّة شاملة ، من أجل نفض الغبار المتراكم ، نتيجة الإحتلال الصّليبي الحديث.

الثّانية : متعلّقة بحياته وجهوده الإصلاحية :

أمّا عن ملابسات حياته : فالملاحظ أنّ المحيط الأسري لعب دورا فعّالا في حياة الشّيخ الورتلاني وفي توجّهه نحو العلم والتعلّم ، بالنّظر إلى كونه ينتمي إلى أسرة علم وعلماء _ هذا _ بصرف النّظر عن البيئة العامّة التي لا تنفكّ عن الحالة الإجتماعية التي كان يعيشها المجتمع _آنذاك _ ، وكما يقال الإنسان ابن بيئته وابن عصره وزمانه .

وأمّا إصلاحاته : فقد كان له دور توعويّ فعّال في منطقة القبائل ، كما كان له دور فعّال توعية مناطق أخرى من الوطن وإسماع صوت الجمعيّة فيها ،أمّا على الصّعيد الخارجي فقد كان له دور إسماع صوت الجزائر وصوت الثّورة بالخارج وكان له دور في تأسيس مختلف الجمعيّات واللّجان الحقوقية ، كما كانت له مساهمات دينيّة وثقافيّة وسياسيّة في أقطار شتى من العالم واتصالات بمختلف السّاسة والزّعماء والدّعاة والمصلحين في _وطنه الصّغير _الجزائر ،ووطنه الكبير _العالم العربي والإسلامي .

الثّالثة : متعلّقة بآرائه العقديّة :

_إنّ الورتلاني في منهجه العقدي اعتمد على النّص بمصدريه (الكتاب والسنّة) واعتبرهما أساس الحياة ، كما دعى إلى ضرورة الرّجوع إليهما ،والتمسّك بهما أبدا ، لأنّ بهما تتقوّم الحياة .

_ويمكن القول أنّ الورتلاني قوّم الواقع تقويما شاملا ، تناول فيه جميع جوانبه العقدية والإجتماعيّة والسّياسّية والثقافية والأخلاقيّة .

_كما أنّه قام بتوظيف العقيدة توظيفا دقيقا ، ضمن خطبه ومراسلاته بهدف تنشيط المجتمع العربي _ عموما _ والجزائري _ خصوصا _ بغية تحريره من الإستعمار الصّليبي _ من جهة _ ومن الإستعمار الرّوحاني بزعامة مشايخ الطّرق_ من جهة أخرى _ .

إنّ الورتلاني وبعد معايشته الطّويلة لواقع الأمّة في الجزائر، عقيدة ، وسلوكا إجتماعيّا وسياسيّا ، مكّنته _ تلك المعايشة _من الوقوف على أسباب المرض والإنحراط في المجتمع ،حيث مسّ مجالات

الواقع ، من خلال إدراك أسباب الفساد والإهتداء إلى وضع خطّة لتجديد هذا الواقع ، و ذلك بتوعية وتثقيف الشّباب و بدعوتهم إلى العلم والعمل .

وفي الأخير : إنّ الحقيقة التي يمكن تأكيدها في آخر المطاف هي أنّ الشّيخ الورتلاني كان أمله الأوّل والأخير هو الحريّة _ حريّة الوطن _ ، وكان أمله الثّاني هو الوحدة ، فقد انصبّ اهتمامه على توحيد الشعب الجزئري في شعائره الدّينيّة ، كما كانت جمعيّة العلماء _ بمبادئها _ هي حجر الأساس الذي ينطلق منه في كلّ صغيرة و كبيرة .

ثانيا : **التّوصيات** : لأهمية الموضوع ، وبناءًا على ما صادفته أثناء البحث، رأيت أن أورد بعض التوصيات التي أراها تخدم الموضوع ، وتخدم الأمة والعقيدة الإسلامية منها :

1-يجب أن تهتم المؤسسات التربوية، بشتى المستويات الإبتدائية والمتوسطة والثانوية، والجامعات، بتعليم العقيدة الصحيحة باعتبارها أصل كل مشروع إصلاحي أو تنموي.

2_ يجب العناية أكثر بآثار جمعية العلماء المسلمين وبآثار أعلامها _ بما فيهم الشّيخ الورتلاني _ وما تركوه من رصيد فكري ومعرفي .

3_ ينبغي على الجامعات ، تخصيص ندوات علمية وملتقيات مكثّفة في موضوعات الإصلاح العقدي لدى أعلام جمعيّة العلماء و أيضا على ما تركوه من تراث معرفي.

الإقترحات :

إنّني _ وأنا العبد الضعيف _ أعترف أنّني لم أبلغ مرتبة الكمال في هذا البحث ، ولكن حسبي أنّ البحث هو فاتحة خير لي و للطلبة من أجل البحث أكثر في آثار الشيخ الورتلاني ليس في هذا الموضوع فحسب بل في شتّى المجالات التي تناولها الورتلاني بالدّراسة من ذلك مثلا :

_ دراسة فكره السّياسي .

_ دراسة قضايا التّربية عنده بتعمّق أكثر.

_ دراسة جانب التّفسير عنده .

وأخيرا : فإنّني أهيب بالطّلبة والباحثين للتّنقيب أكثر في آثار هؤلاء الأعلام الذين هم رمز لهذه الأمّة و_ الذين _ تعدّ آثارهم بمثابة صمّام أمان لأجيالها من الإنفلات .

_الفهارس:

_فهرس الآيات :

_فهرس الأحاديث:

_فهرس الأعلام :

_ فهرس المصادر والمراجع :

_ فهرس الموضوعات :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_فهرس الآيات :

الرقم	الآية	السّورة	رقمها	الصّفحة
1	ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ	البقرة	30	
2	ﭖ ﭗ ﭘ	آل عمران	159	
3	ﭙ ﭚ ﭛ	النساء	82	
4	ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ	يونس	26	
5	ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ	**الفرقان**	**33**	
6	ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ	القصص	77	
7	ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ	سبإ	15	مكرّرة

8	ڈ ڤ ڤ ڤ	سبإ	17\16	مكرّرة
9	ک گ گ گ گ	سبإ	19\18	مكرّرة
10	ں ں ڻ ڻ ڈ	فاطر	14	
11	ئې ئې ئى ئى	ص	26	
12	ں ں ڻ	الشورى	38	
13	بي تج تح تخ تم تى تي	محمّد	19	
14	ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ	الذّاريات	56	
15	ڀ ڀ ٹ ٹ ڈ	التين	4	

سبأ مكرّرة (18) 3 مرّات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_فهرس الأحاديث :

الرّقم	طرف الحديث	الصّفحة
1	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّالله	**110**
2	الأئمة من قريش	**129**
3	إنّ الرقى و التّمائم و التّولة شرك	**173**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4	من أتى كاهنا فصدّقه بما يقول	**173**
5	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	**173**
6	من قال لا إلاه ألاّ الله خالصا	**173**
7	من لا يشكر النّاس لايشكر الله	**48**
8	من نذر أن يطيع الله فليطعه	**174**
9	لو يعطى النّاس بدعواهم	**130**
10	لا تنزلوهن الغرف	**158**
11	لعن الله من ذبح لغير الله	**173**

_فهرس الأعلام:

الرّقم	اسم المترجم	الصّفحة
1	الأمير خالد	**06**
2	أحمد الشّريف الورتلاني	**49**
3	الحسين الورتلاني	**49**
4	رباح بن يزيد اللّخمي	**148**
5	عبد الخّالق (القباب)	**148**
6	عبد الملك بن أبي كريمة	**148**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7	محمّد السّعيد البهلولي	**73**
8	مصطفى كمال أتاتورك	**55-54**

_فهرس المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم (برواية حفص) .

(أ)

_**أحمد أمين** ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ، 1979م.

_**أحمد توفيق المدني** ، كتاب الجزائر ، نشر دار الكتاب ، البليدة –الجزائر ، 1382هـ / 1963م.

_أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م

_ **أحمد بن حنبل** ، مسند أحمد ، شرح : أحمد محمّد شاكر ، طبعة 4، مؤسسة قرطبة ، توزيع مكتبة خزار ، جدّة .

_ **أحمد الرّحومي**، و وثائق الثورة اليمنية ، تقديم علي عبد الله صالح ،أسرار و آخرون ، دار الثقافة العربية ،الشارقة ، دار الحداثة ط ن ت ، بيروت ،ط3 ، 1993م.

_**أحمد شرفي الرفاعي** ، جمع و تعليق الإمام الشيخ العربي التبسي ، القسم الأو ل مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، نشر دار البعث ط ن ، قسنطينة – الجزائر، ط1 ، 1981/1402م.

_**أحمد بن محمد الشامي** ، رياح التغيير في اليمن ، المطبعة العربية ، جدّة ،دون تاريخ .

_ **الألباني** (محمّد ناصر الدين) ،سلسلة الأحاديث الصّحيحة ،مكتبة المعارف ، الرياض .

_ الألباني (محمّد ناصر الدين) ،صحيح الجامع الصّغير وزياداته ، ط3 ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، 1988

_**أنور الجندي** ، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، الدار القومية ط ن ، القاهرة ، 1985/ 1965م.

(ب)

_ **البخاري** (محمّد بن إسماعيل) ، صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدّوليّة ،الرياض ، 1998م.

_**بسام العسلي** ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري ، دار النفائس ، ط1، 1402هـ.

**بشير بلاّح** ، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية ، 1345 1359هـ ، 1925_1940م ، عالم المعرفة ن ت ، الجزائر ، 1434هـ،2013م.

_**بوصفصاف** عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية ، الجزائرية ، دار البعث قسنطينة ، الجزائر، ط1401،1 هـ / 1981 م .

_**بوضرساية بوعزّة** ، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة و مقاوم ، 1830 / 1848م،دار الحكمة للنشر ،الجزائر ، 2010م.

_ **البيهقي** (أحمد بن الحسين) ، السّنن الكبرى ، ت : عبد القادر عطا ، دار الكتب العلميّة ،بيروت ، 1999م .

(ت)

_**تركي رابح** ، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ،الجزائر ،1981م.

_ **التّرمذي** (محمد بن عيسى الترمذي) ، سنن التّرمذي ، ، بيت الأفكار الدّوليّة ،الرياض.

_**تمشباش محمد**، بحوث من أعماق الثورة التحريرية 1954، دار علي بن زيد ط ن ، بسكرة – الجزائر ،ط1،2013 م.

(ج)

_**جان بول سارتر** ، مواقف مناهضة للإستعمار ، ترجمة محمد معراجي ، مراجعة أحمد معراجي ،المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر والإشهار،الرويبة– الجزائر، 2008م.

_**جمال الدين بوقلي حسن** ،الإمام بن يوسف السنوسي و علم التوحيد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م

_**جلال الدّين السيوطي** ،تاريخ الخلفاء ،تحقيق :أحمد زهوة ،سعيد العيدروسي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،2005م .

_**جلال يحي** ، السياسة الإستعمارية في الجزائر _1960/1830م، دار المعرفة القاهرة –مصر ، ط1، سبتمبر 1959م.

(ح)

_**حاج عيسى الجزائري** ،أصول الدعوة السّلفية عند العلامة ابن باديس 1359 هـ ، دار الإمام مالك ، 1427هـ/ 2006م.

_ **الحاكم** (أبو عبد الله محمّد بن عبد الله) ، المستدرك على الصّحيحين ، ت : عبد القادر عطا ، ط1 ،1990 م .

_ **ابن حزم** ،التقريب لحدّ المنطق والمدخل ،ت: عبد الحق التركماني ، دار ابن حزم ،بيروت ،ط1، 2007.

_ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،دار ابن الهيثم ، مصر ،2005م .

_ **أبي الحسين (مسلم بن الحجّاج)** ، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدّوليّة ،الرياض ،1998م.

_ **الحفناوي** أبو القاسم محمد الحفناوي ، (تعريف الخلف لرجال السلف) تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني . موفم للنّشر ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية _الجزائر .

_**حسن العشماوي** ، حصاد الأيام أو مذكرات هارب ، ط2، دار الفتح ط ن ، بيروت ، 1985 م.

- **حامد حنفي داوود**، تاريخ الأدب (معالمه الكبر ى، مدارسه)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

_**عبد الحميد بن باديس** ،العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ،تعليق محمدحسن الفضلاء، دار البعث ط ن ، قسنطينة- الجزائر ، ط1406،1هـ،1985م.

_عبد الحميد ابن باديس ، رجال السلف و نساؤه ، تقديم محمد صالح رمضان و توفيق محمد شاهين ، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر،دون طبعة ولا تاريخ .

_عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النّذير ،من مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية ، دار البعث ط ن ، قسنطينة –الجزائر،ط1، 1403 / 1983 م

_**عبد الحميد بن بشير** دمان المقري ، بذل الوسع في شرح مقالات فلسطين التسع ، دار الإمام مالك ط ن ت ، الجزائر، ط1 ، 1433هـ،2012م .

_**حمودة غرابة** ، ابن سينا الدين و الفلسفة ،منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ،1392هـ/1972م.

(د)

_ **أبو داود السجستاني** ،سنن أبو داود ، بيت الأفكار الدّوليّة ،الرياض .

(ر)

_**رابح لونيسي** ، الشهيد العربي التبسي (الفقيه الثائر) ، دار المعرفة ، الجزائر ،2004 .

_**عبد الرحمان الجيلالي** ، تاريخ الجزائر العام ، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط، 1982/1302م

_ **عبد الرحمن بن خلدون** ، مقدمة ابن خلدون ،دار البيان، د.ت.

_ **عبد الرّحمان بن حسن** ، قرّة عيون الموحّدين ،الشّركة الجزائرية اللّبنانية ،الجزائر ،ط1، 2007.

_**عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون** ، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر ،الفترة الأولى 1936/1920، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م.

_ **عبد الرحمان شيبان** ، «من وثائق جمعيّة العلماء المسلمين»، دار المعرفة، باب الواد_ الجزائر .

_**ابن رحمون** ، الديوان ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر، 1980م.

_**رضا سعادة** ، مشكلة الصراع في الفلسفة و الدين ، (من الغزالي و ابن رشد إلى الطوسي و الخواجة زاده)، الدار العالمية ط ن ت ، بيروت لبنان ، 1981م.

_ **ابن رشد**، "مناهج الأدلة في عقائد الملة"، دار الكتب العلمية، 2002م.

_ **الراغب الأصفهاني** ، معجم مفردات القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، 2006 م .

(ز)

_ **الزواوي (أبو يعلى)** ، الإسلام الصحيح ، تقديم أبو القاسم سعد الله ، منشورات الحبر ، بني مسوس الجزائر ، 2008م .

_ الزواوي (أبو يعلى)، خطب أبي يعلى الزواوي ، اعتنى بها عادل بن الحاج همال الجزائري ، الشركة الجزائرية اللبنانية ، الجزائر ، دار بن حزم ط ن ت ، بيروت لبنان ، 1429هـ / 2008م .

_ الزّواوي (أبويعلى)،جماعة المسلمين ،منشورات الحبر ، الجزائر.

(س)

_**سليمة كبير** ، الحاج أحمد باي (الصامد في وجه الغزاة) ،المكتبة الخضراء ط ن ت ، الشراقة – الجزائر ،2007م.

_سليمة كبير ، موسى أحمدي نويوات العلامة في الفقه و العروض ، المكتبة الخضراء ، ط ن ت ، الشراقة –الجزائر .

_**سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2008م .

(ش)

_**شارل روبير أجرون** ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ترجمة: عيسى عصفور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، 1972م.

(ص)

_**صالح فركوس** ،تاريخ الجزائر ، من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال ، دار العلوم ن ت م ، عنابة ، 2005م .

_ **صاح الخرفي**، الأعمال الشعرية، طبعة وزارة المجاهدين المؤسسة الوطنية للإعلام و النشر و الإتصال ، الرويبة الجزائر ، 2005 م .

_صالح الخرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر.

_صالح الخرفي ، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983م.

(ع)

_**عمار طالبي** ، ابن باديس حياته و آثاره ، ج3، دار اليقظة العربية للترجمة و التأليف و النّشر ، ط1، 1968/1477م.

_**علي بن ناصر الفقيهي**، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ، دار الإمام أحمد ، القاهرة –مصر، ط1، 1724هـ/ 2006م .

_**عثمان سعدي** ، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، ج1 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ،دون تاريخ.

_**عبد العزيز فيلالي** ، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية ،دار الهدى ط ن ت ، عين مليلة _الجزائر ،2012 م.

_**عائدة أديب بامية** ، تطور الأدب القصصي الجزائري 1967/1925م ، ترجمة :محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

(ف)

_**فرحات عباس**، ليل الإستعمار ، نقله إلى العربية :أبو بكر رحال ، مطبعة فضالة ، المحمدية _المغرب ،دون ذكر الطبعة و لا تاريخ .

_ **الفضيل الورتلاني** ، الجزائر الثائرة ، دار الهدى ط ن ت ، عين مليلة _ الجزائر،بدون ط ت .

_**الفضيل الورتلاني** ،سلسلة أعلام الجزائر ، منشورات القصبة ،حيدرة _الجزائر،بدون ط ت.

_**أبي الفضل** عباس بن منصور الحنبلي ،البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ،مكتبة عبد الصبور بن محمّد ،القاهرة _عين شمس ، 1425م .

_**فوزي مصمودي** ،أعلام من بسكرة ،مطبعة الفجر ،بسكرة _ الجزائر ، 2010م .

._ **الفيروزآبادي** ،القاموس المحيط ،دار الفكر للنشر والتوزيع ،1429هـ\2008م

(ق)

_ **أبو القاسم القشيري** ،الرسالة القشيرية ،دار التربية، د ون تاريخ الطّبع .

_**أبو القاسم سعد الله** ، تاريخ الجزائر الثقافي ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2011م .

_ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، ج3 ، المنظمة العربية للتّربية و الثقافة و العلوم ، 1977م.

_أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الأدب بيروت ، ط2، كانون الثاني (يناير)، 1977م.

_ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، دار الآداب ، بيروت ، ط1، 1969م.

_أبو القاسم سعد الله ، محمد العيد آل خليفة ، رائد الشعر الجزائري الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ،ط2، 1976م.

(ل)

_ (**عبد الله**) **حمادي** ،دراسات في الأدب المغربي القديم ، دار البعث ط ن ، قسنطينة _الجزائر ،ط1 ، 1406 هـ /1986 م .

_عبد الله الركيبي ، الفرانكوفية مشرقاو مغربا ، دار الكتاب العربي ، القبة – الجزائر ،2009 .

_عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، دار العربية للكتاب ، تونس ،ط3، 1977/1397م.

_عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر ،ط7 ،1401هـ/ 1981م.

_**لوثروب ستودارد الأمريكي** ، حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية :عادل نويهض ، م1، ج1، دار الفكر ط ن ت ، ط4 ، 1394هـ /1974م.

(م)

_ **ابن ماجه** (أبو عبد الله محمّد يزيد) ، سنن ابن ماجه ، بيت الأفكار الدّوليّة ،الرياض .

_**عبد المالك مرتاض** ، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية ، 1954م، 1962م ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ،2010 م .

_**مالك بن نبي** ، مذكرات شاهد على القرن ، دار الفكر ، دمشق ، 1984 م .

_مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الوعي ن ت ، الرويبة _الجزائر، ط1، 1434هـ ،2013م .

_مالك بن نبي ،شروط النهضة (مشكلات الحضارة)، دار الوعي ، الجزائر ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، 1433هـ / 2012 م .

_**مبارك بن محمد الميلي** ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، تقديم :محمد الميلي ، دار الكتاب العربي ، ط ن ت ، القبة _الجزائر ،2011 م.

_مبارك بن محمد الميلي ، رسالة الشرك و مظاهره ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت _ لبنان ،ط5،1421 هـ /2000 م .

_**عبد المجيد عبد السلام** المحتسب ، طه حسين مفكرا ، مكتبة النهضة الإسلامية (عمّان) ، ط2، 1980/1400م.

– **عبد المحسن العباد البدر** ،فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند اهل السنّة والجماعة ،مكتبة الرضوان ،مصر.

_**محمد الدرّاجي** ، عبد الحميد ابن باديس شهادة الإمام الإبراهيمي فيه ، دار الهدى ط ن ت ، عين مليلة الجزائر ، 2013.

_محمد الدرّاجي ، الإمام عبد الحميد بن باديس و جهوده في تجديد العقيدة الإسلامية ، دار الهدى ط ن ت ، عين مليلة _الجزائر ، 2012 م.

_**محمد الطاهر فضلاء** ، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، دار البعث ط ن ، قسنطينة _الجزائر ،ط1، 1404هـ،1984م.

_محمدالطاهر فضلاء ، الشيخ محمد خير الدين (آثار و مآثر) ، مؤسسة الضحى، برج الكيفان ،ط1، 2000م .

_محمد الطاهر فضلاء ، أعلام الجزائر ، الشيخ محمد أبهلول الورتلاني (في مجموعة رسائله و مجالسه و فتاويه)، دار هومه، الجزائر .

_ **مولود قاسم نايت بلقاسم** ، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية ، قبل سنة 1830، دار البعث ط ن ، قسنطينة- الجزائر،1405هـ،1985م.

_مولود قاسم نايت بلقاسم ،(ردود الفعل الأوّلية داخلا وخارجاعلى غرّة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر)، دار البعث ط ن ، قسنطينة –الجزائر، ط1، 1404هـ /1984م .

_**محمد الميلي** ، الشيخ مبارك الميلي ، حياته العلمية و نضاله الوطني ، ط، دار الغرب الإسلامي ، بيروت -لبنان ، 2001م.

_**محمد البشير الإبراهيمي**، الآثار ،جمع وتقديم نجله :أحمد طالب الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط1، 1997م .

_محمد البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ((1)) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 .

_محمد البشير الإبراهيمي ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ،بدون تاريخ ولاطبعة.

_محمد البشير الإبراهيمي ، في قلب المعركة ، دار الأمةللطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط1، 2008م .

_**محمد الصالح صديق** ، أعلام من المغرب العربي ، ج 2، موفم للنشر ، الجزائر، ط2008،2 م .

_**محمد الصالح بن عتيق** ،أحداث و مواقف في مجال الدعوة الإصلاحيةو الحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب،حسين داي – الجزائر،سنة 1990 م.

– **محمد الصالح الجابري** ، النشاط العلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900_1962م، تونس ، 2007م.

_ **محمد أمان بن علي الجامي** ،العقيدة الإسلامية وتاريخها ،دار المنهاج ، مصر ،2004م.

_ **محمد إبراهيم** ،(**ابن الوزير اليماني**)، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تحقيق :سعيد بن أحمد أفندي ، مؤسسة المختار ن ت ، القاهرة –مصر، ط1428،1 هـ،2007م.

**مجموعة مؤلّفين** ، مجموعة التوحيد ، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع ، بيروت لبنان ،1425 هـ ،2005 م.

_**محمد علي فركوس** ، المنطق الأرسطي و أثر إختلاطه بالعلوم الشرعية ،دار الرغائب و النفائس ، القبة _الجزائر،ط1 ،1427 هـ،2006م.

_محمد علي فركوس ، تحفة الأنيس شرح عقيدة التوحيد للإمام ابن باديس ، دار العواصم للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1، 1435هـ / 2014م

_محمّد علي فركوس ،امتاع الجليس شرح عقائد الإيمان للإمام ابن باديس (ومنهجه في تقرير أسماء الله وصفاته) ، دار العواصم للنّشر والتّوزيع ، القبة _ الجزائر ، ط1 ،2012م

_**محمد بن سمينة** ، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت _لبنان، ط1، 1997م.

_ محمد بن سمينة ،محمد العيد آل خليفة (دراسة تحليلية لحياته)، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون _الجزائر ،دون طبعة لاتاريخ.

_**محمد بن محمد مخلوف** ، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع .

_ **منّوبة برهاني** ، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا ، تقديم :بن موسى فلوسي ، دار بن حزم ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 1431 /2010 م.

**محمد الطيب العلوي** ، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830حتى ثورة نوفمبر1954 ، نشر دار البعث ،قسنطينة –الجزائر،ط1 ، 1406 1985 .

_**محمد علي دبوز** ، أعلام الجزائر من عام 1340 هـ /1921م ، إلى عام 1395_1975م ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية _الجزائر ، 2009 م .

_ **محمد بن بريكة البوزيدي** الحسني ، موسوعة الطرق الصّوفية ،ج1 ،دار الحكمة ،الجزائر ، 2007.

_ **محمّد بن عبد الوهّاب التّميمي**، كتاب التّوحيد ، الدّار العلميّة ، 2005 .

_**محمد مفلاح** ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غيليزان (1931 م / 1957 م)، دار طليطلة ، الجزائر ، ط2 ،1433 هـ/ 2012 م.

_**مريم سيد علي مبارك** ، مثقفون خلال الثورة ،دار المعرفة ، الجزائر ، 2012م.

_مريم سيد علي مبارك ، أعلام الجزائر ، دار المعرفة الجزائر ، 2012 م.
_محمد طمّار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الجزائرية للنّشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م.
_محمد العيد آل خليفة ، الدّيوان ، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر.
_**محمد ناصر** ، المقالة الصحفية الجزائرية(نشأتها ، تطورها ، أعلامها، من 1903 م إلى 1931 م)، ج2، الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978/1398م.
_محمد ناصر ، الصحف العربية الجزائرية ، من 1847/ 1939م ،الشركة الوطنية للنّشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980.
– **محمود شمام** ، أعلام الزيتونة ، تونس ، 2000م .
_**محمود قاسم** ، الإمام عبد الحميد ابن باديس (الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية)،دار المعارف، بمصر ، سنة 1986م.
_**محمود لطفي عامر** ،الخوارج دعاة على أبواب جهنّم ، دارالآثار ، القاهرة – مصر ، 2004 م.
_**محمد العربي الزبيري** ، الثورة الجزائرية في عامها الأول ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة – الجزائر ،ط1، 1984/1404م.
_**محمد علي دبوز** ، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، ج1، المطبعة التعاونية ، ط1، 1965/1385م .

_ **محمود (أبو عبد الرحمان)** ، آثار الشيخ مبارك الميلي ، دار الرشيد ، الجزائر، ط1، 1433 هـ ، 2012م

(ن)

_ **نور سلمان** ،الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، يناير 1981.

(ي)

_**يحي بوعزيز**،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،الجزء 1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت _لبنان،ط1 ،1995.

_يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ، دار البعث ، ط ن ، قسنطينة – الجزائر ، ط1، 1980/1400م.

_ فهرس المجلات و الجرائد والملتقيات :

1_المجلاّت :

_مجلة الإصلاح ، تصدر عن دار الفضيلة للنشر و التوزيع ، المحمدية –الجزائر .

_ مجلة الإحياء ، تصدر عن الموقع الرسمي لمحمد علي فركوس ، القبة – الجزائر ، العدد الرابع ، ذو القعدة 1433هـ / الموافق لسبتمبر2012 م

_البصائر ،السنة الاولى ،ع1 _50 ، 1354_1355\ 1935_1936،المدير الطيب العقبي ،دار الغرب الإسلامي ،م 1 \118._

_مجلة الثقافة الإسلامية ، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، الجزائر ،السنة الأولى العدد التجريبي ،1425هـ/ 2004م.

_الثقافة مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الخامسة عشر ، العدد 86 ، الجزائر، جمادى الثانية ، رجب، 1405هـ مارس ، أفريل 1985م.

_ الثقافة ،السنةالحادية عشر ، ع66 ، الجزائر ، محرم

_ الرؤيا ، ع2 ، السنة الأولى ،صيف ، خريف 1982/1402

_ مجلة "الِشّهاب، شهر مايو ،من عام 1938 .

_ مجلة المجاهد الأسبوعية ،ع1124 ، الجمعة 25 ربيع الثاني 1402هـ ، 19فيفري 1982م.

_مجلة أول نوفمبر ، العدد 53 _ 1981م .

_ مجلة أول نوفمبر ، العدد 54_ 1982م .

_ مجلة أول نوفمبر ،العدد 55-1982

_مجلة الوطن العربي ، السنة الخامسة ، ع231، من 17 إلى 23 يونيو 1981

، صفر 1402 ، نوفمبر، ديسمبر1981م.
_ مجلة سيرتا ، ع5، السنة الثالثة ، رجب 1401، ماي 1981.
_جريدة "التقدّم " ، لابن التهامي.
_مجلة كليّة العلوم الإسلامية ، المجلد السابع العدد14) ، 1434هـ 2013 - م/1) .

2_الجرائد :

_جريدة البصائر (الجديدة)،جريدة أسبوعية، تصدرها (بعد الإستقلال) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
_ جريدة الشروق اليومي(الجزائر)،إخبارية وطنية.

3_ الملتقيات:

_محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي ، قسنطينة ،8 _ 17، جمادى الثانية ، 10_ 19_أوت 1970م
_ أعمال اللتقى الوطني السابع ، الشهاب الجديد، المجتمع المدني و دوره في التنمية الشاملة و ترقية المواطنة ، السنة الثامنة ، العدد الثامن ، ربيع الثاني 1430 هـ/ أفريل 2009م.
- كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامي ، الجزء الأوّل، نشر وزارة التعليم الأصلي الشؤون الدينية ، و طبع مطبعة البعث ، قسنطينة، 1972م .
- كتاب الملتقى العاشر ،نصوص تارخية حول المغرب العربي (منتخبة من كتابات ابن باديس)،مؤسسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

_فهرس المواقع الإلكترونيّة و الكتب الأجنبيّة :

https://groups.google.com/d/topic/
books.google.com
www.goodreads.com
www.neelwafurat.com
www.arabphilosophers.com/Arabic -

assala-dz.net/ar
download-pdf-e**books**.net/6377-free-**book** موقع مكتبة
الكتب
: **ar.wikipedia.org/wik**
_موقع جزايرس الإلكتروني
madrasala@hotmail.com

_الكتب الأجنبيّة :

Merad ali . le réformisme musulman algérian .de 1925 a 1940
lesédition el _hikma .1999.D.126_129 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_فهرس الموضوعات :

الموضوعات	الصّفحة
إهداء	
شكر و تقدير	
المقدّمة:	(أ – ه)
الفصل الأوّل : عصره	01
تمهيد:	03
المبحث الأول : الحالة السياسية	05
ا– حركة الأمير خالد	06
ب– حزب نجم شمال افريقيا	08
ج– حزب الليبراليين	08
د– جمعية العلماء	09
و– حزب الشّعب	10
ز– الحزب الشيوعي	11
ط– حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية	12
– الإعداد للثورة (1954م)	15
المبحث الثاني :الحالة الاجتماعية.	18
ب– الوضع العام	19
ب–النهضة الحديثة	21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ح- نتائج النهضة	25
المبحث الرابع :الحالة الثقافية	28
ت- الصحافة والتعليم.	30
ث- النوادي والجمعيات والمنظمات.	34
ج- الحياة الثقافية.	38
-المبحث الرابع : الحالة الإقتصادية	41
أ – الفلاحة و الثّروة الحيوانية	42
ب-التجارة	43
ج-الصادرات و الواردات	44
_الفصل الثاني : حياته وجهوده الإصلاحية .	45
المبحث الأول : مولده و نشأته.	47
_تمهيد:	48
-المطلب الأوّل:أصوله الأسرية.	49
_المطلب الثاني:مولده و نشأته.	51
-المطلب الثالث:بيئته	52
-المبحث الثاني : مراحل تكوينه العلمي (تعلّمه)	53
-المطلب الأوّل :مرحلة التعليم الأوّلي(في بني ورتلان)	54

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-تعريف بالشيخ البهلولي :	54
-المطلب الثاني :مرحلة التعليم الباديسي(في قسنطينة).	56
-البرنامج الدّراسي بالجامع الأخضر:	58
الكتب المدروسة :	58
الورتلاني مدرّسا:	58
-المطلب الثالث :مرحلة التعليم الزيتوني(في الزيتونة ،بتونس)	59
-البرنامج المتّبع في جامع الزيتونة:	59
-مرحلة التّطويع :	59
-مرحلة ما بعد التّطويع :	59
-بعض شيوخ الزيتونة في تلك الفترة :	60
-المطلب الرابع :مرحلة التعليم الأزهري(في الأزهر، بمصر)	61
_رسالة من ابن باديس إلى الفضيل الورتلاني حول البعثة الأزهرية و الشامية :	61
-المبحث الثالث: الورتلاني في رحاب الحركة الإصلاحية (الورتلاني مصلحا وطنيّا)	64
- المطلب الأول :تعريف حركة الإصلاح بالجزائر	65
- المطلب الثاني:ظهور الحركة الإصلاحيّة .	66
- المطلب الثالث:مبادئ الحركة الإصلاحيّة .	69
-المبحث الرابع:الورتلاني في رحاب حركة الإصلاح بالعالم(مصلحاعالميّا)	72

–المطلب الأوّل: الورتلاني في فرنسا.	73
– أثر دعوة الورتلاني وأعوانه:	74
_المطلب الثاني:الورتلاني في مصر.	76
أهم أعماله بمصر:	77
–المطلب الثالث:الورتلاني في اليمن	78
–رأي المؤرخ اليمني عبد الله الشماخي في دور الورتلاني باليمن :	79
–رأي الأستاذ أحمد الشّامي:	80
_ تقرير عن اليمن:	81
– ثورة اليمن الزراعية :	83
–اعتذار:	85
–المطلب الرابع:الورتلاني في أقطار شتى من العالم (سوريا، لبنان ،باكستان،الأندلس،بورما،تركيا،وبلدان أوروبية ،وعربيةأخرى.)	86
_نموذج من أسفاره:	86
_الورتلاني في أوروبا :	86
_وفاء الورتلاني لإخوانه و تلامذته:	87
_رحلته إلى الشرق:	87
_أعماله في لبنان :	87
–المبحث الخامس:موقف الورتلاني من القضايا الجوهرية للأمة.	89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-المطلب الأول :القضية الجزائرية .	90
-المطلب الثاني:القضية الفلسطينية.	92
_يوم إفريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين:	92
_ في سبيل فلسطين:	94
-المبحث السادس:الورتلاني مآثر وآثار	95
-المطلب الأول: الورتلاني مواقف وعبر .	96
_((الشيخ الفضيل الورتلاني في طريقه إلى مقر أسرته وما ينصب للمصلحين من عراقيل)) :	96
_((الشيخ الفضيل الورتلاني في بني يعلى)):	97
-المطلب الثالث: وفاته وآثاره.	99
أ)_ وفاته :	99
_ رثاؤه :	100
ب)_ آثاره :	101
_(كتاب الجزائر الثائرة)	101
- المطلب الثالث:شهادات العارفين به.	103

103	
103	**(شهادات حول الشيخ الفضيل حسنين الورتلاني) :**
103	-الشيخ مبارك الميلي :
103	-الشيخ محمد الغزالي :
104	- الشيخ محمد الصالح بن عتيق :
104	- الأستاذ محمد الطاهر فضلاء :
104	-المعلّق الصحفي محمد الطاهر بو الشعير :
104	-الأستاذ عبد الحفيظ أمقران وزير (سابق) :
	- الدكتور العيد مسعود :
105	
	_ الفصل الثالث:الورتلاني وآراؤه في العقيدة .
108	
108	**مدخل :**
	_مقدّمة لابدّ منها :
109	**_المبحث الأول : مدخل تاريخي لتطوّر الدّرس العقدي والدّعوة إلى تجديده.**
110	**تمهيد:**
111	**_المطلب الأول : طموحات العلماء والمفكّرين قديما وحديثا في تجديد علم الكلام .**
114	
115	**_المطلب الثاني:علم الكلام والعلوم الإنسانيّة المعاصرة.**
	_ علم الكلام في الأدبيات المعاصرة:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

118	
	_المطلب الثالث: موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من علم الكلام.
118	
125	1_ موقف جمعيّة العلماء :
	2_ موقف الشيخ الورتلاني :
127	
128	_المبحث الثاني :إشكالية الخلافة السياسية وبروز الفرق الكلاميّة .
128	_المطلب الأول :تعريف الخلافة السياسّية .
129	الأصل اللّغوي :
129	الخلافة والنظريات السياسية والفقهية :
	الخلافة في الفقه السنيّ :
130	
130	الخلافة في الفقه الاثنا عشري
130	الخلافة عند الزيدية:
131	خليفة المسلمين :
133	تاريخ الخلافة :
	المسيرة التاريخية :
134	
134	_المطلب الثاني: بروز الفرق الكلاميّة .
134	من أبرز تلك الفرق:
134	الخوارج:
135	المرجئة
135	_ المعتزلة وعلم الكلام:
	الأشاعرة وعلم الكلام :
136	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_المطلب الثالث :موقف جمعيّة العلماء والورتلاني من قضيّة الخلافة والحكم.	136
_موقف الشيخ الورتلاني من قضيّة الخلافة والحكم :	140
	140
	142
_ قضايا في مسائل الحكم والإمارة :	142
قضيّة الحكم بغير القرآن :	
_موقفه من قضيّة الشّورى في الحكم :	144
تأسيس مجلس الشّورى :	145
_المبحث الثالث : التّصوف وظهور الطّرق الصوفيّة (الطرقية).	146
_المطلب الأول : تعريف التّصوف .	147
	148
_(بداية الإنحراف) انحراف المتصوفة :	
نشأة التصوف في المغرب :	149
– تراجم لبعض الزّهاد المغاربة :	
	151
_المطلب الرابع :موقف الورتلاني وجمعيّة العلماء من الصوفية(الطرقية).	
	154
_ أقوال أعلام الجمعيّة في الطّرق الصوفيّة :	
_ المبحث الرابع : منهج الإستدلال على العقائد عند الشيخ الورتلاني.	155
(تقرير العقائد عنده)	
	156

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_ تمهيد :	157
_المطلب الأول : تقرير العقيدة من خلال نصوص الكتاب و السنّة.	157
	157
_موقع الكتاب والسنّة في تقرير العقائد عند الورتلاني .	160
_القرآن الكريم (الكتاب):	
_(السّنّة) :	163
2_ المطلب الثّاني : موقع النّظر في الإستدلال على العقائد .	164
_المبحث الخامس : الدّعوة إلى التّوحيد ومحاربة الشّرك .	166
_ تمهيد :	168
_المطلب الأوّل : الدّعوة إلى التوحيد :	168
_أقسام التّوحيد:	168
1_ توحيد الربوبية :	169
2_ توحيد الألوهية :	170
3)_توحيد الأسماء والصّفات :	171
_ المطلب الثّاني : محاربة الشرك و مظاهره .	173

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_مقاومة الأستاذ " الورتلاني " لمظاهر الشّرك :	173
_أهمّ قضايا الشّرك التي واجهتها الجمعيّة والورتلاني :	173
1_ المسألة الأولى : اتّخاذ الوسطاء والشّفعاء على أنّها تقرّب إلى الله .	173
2 _ المسألة الثّانية :الذّبح عند المقامات إرضاءا لها وطلبا لمساعدتها .	173
3_ المسألة الثّالثة : الحلف بمن يعظّمونهم من شيوخ وأولياء ومقامات وغيرها .	176
_ قضايا أخرى مهمّة :	180
_ الخاتمة	181
–الفهارس:	183
	184
_فهرس الآيات :	185
_فهرس الأحاديث :	200
_ فهرس الأعلام :	
_فهرس المصادر والمراجع:	
_فهرس الموضوعات :	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية